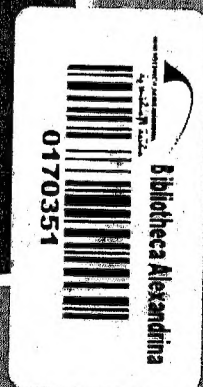


السِّيَاسَةُ الْمَالِيَّةُ

لأبي بكر الصديق

قطب الراحمين



السِّيَاسَةُ الْمَالِيَّةُ لأبي بكر الصديق

تأليف
قطب ابراهيم محمد



المنشأة المصرية للنشر والتوزيع

١٩٩٠

ماجده البنا

الاخراج الفنى

درية محمد على

تصميم الغلاف

بسم الله الرحمن الرحيم

« الا تنصروه فقد نصره الله اذ اخرج
الذين كفروا ثاني اثنين اذ هما في الغار اذ يقول
لصاحبه لا تحزن ان الله معنا فأنزل الله
سكينته عليه وأيده بجنود لم تروها وجعل
كلمة الذين كفروا السفلى وكلمة الله هي العليا
والله عزيز حكيم »

(التوبة / ٤٠)

صدق الله العظيم



مقدمة

توفى رسول الله صلى الله عليه وسلم بعد أن بلغ الرسالة وأدى الأمانة وأسس دولة إسلامية دستورها القرآن ومنهجها السنة ، وأدار تلك الدولة بسياسات عامة منها السياسة المالية التي استمدت بعض عناصرها من آيات من القرآن المجيد والبعض الآخر مما سنده رسول الله صلى الله عليه وسلم قولاً أو عملاً ٠٠ وقد أحاط عليه الصلاة والسلام بتنفيذ السياسة المالية للدولة الإسلامية باطار من المبادئ وأخلاقيات تبغى كفاءة أداء مواطنى الدولة الإسلامية للفرائض المالية وترشيد الانفاق العام ليؤدى دوره فى خدمة الدين وتمويل الخدمات العامة التى تحقق رعاية الأمة ، كما أكد على العدالة المالية وتعفف الحكام وأمانة الجباة ورشد الادارة المالية ٠

صاحب أبو بكر الصديق رضى الله عنه رسول الله صلى الله عليه وسلم ورافقه ، وصديق دعوته ومولها بأمواله ودافع عنها بجهاده ، كما عاصر مراحل تأسيس الدولة الإسلامية الاولى ووعى السياسات العامة التى أدار بها رسول الله تلك الدولة ومنها سياسة المال العام ، فعرف أن الإيرادات العامة لتلك الدولة كانت أيام الرسول عليه الصلاة والسلام من حصيلة الزكاة المفروضة بالقرآن وخمس الغنائم طبقاً لآية الخمس وجزية يؤديها أهل الكتاب إذا لم يستجيبوا لدعوة الاسلام وخراج أراض آلت للدولة الإسلامية بعد جهاد المجاهدين وتحقيق نصر الله ٠٠

كما علم الصديق أيضا أن من الانفاق العام انفاق من الزكاة مخصص لوجوه معينة حددها القرآن وأن الانفاق من خمس الغنائم يوجه للفئات المبينة بآية الخمس وأن الانفاق العام من باقى الموارد العامة يوجه للأنشطة العامة للدولة ولساندة الدين ولتحقيق رعاية الأمة . .

ووعى الصديق رضى الله عنه أيضا مبادئ إدارة رسول الله صلى الله عليه وسلم للأموال العامة وأحاديثه عنها كوجوب أداء الزكاة وشجبه غلول الغنائم وتأثيمه قبول عمال الصدقات الهدايا ونصحه المؤمنين منهم بأداء ما أؤتمنوا عليه ، وعدم ظلم أهل الكتاب ، وعدم تعذيبهم عند استئداء الجزية ، وغير ذلك من المبادئ العامة التى تنضبط معها حركة الأموال العامة وتترشد .

فلما توفى رسول الله صلى الله عليه وسلم ، خلفه صاحبه أبو بكر الصديق رضى الله عنه ، وأدار الدولة بسياسات عامة ومنها السياسة المالية . .

هذا الكتاب يتناول تلك السياسة فى عهد الصديق ، فيوضح الأوضاع العامة للسياسة المالية للدولة كما تركها رسول الله صلى الله عليه وسلم والعقبات التى صادفتها غداة موته وظروف خلافة أبى بكر وشكل حكومته وسمات سياسته المالية للدولة استنتاجا من خطابه الأول للأمة بعد مبايعته . .

ويوضح الكتاب كيف أزال الصديق العقبات التى اعترضت السياسة المالية فحارب المتنعين عن أداء الزكاة والمرتدين عن الاسلام وقاتلهم وانتصر عليهم ففأوا لدين الله وأدوا الزكاة للدولة الاسلامية ، فأدار الصديق أموالها طبقا لكتاب الله وسنة رسوله .

كما يبين الكتاب كيف أحيا الصديق فريضة الجهاد فى سبيل الله وإداره إدارة حازمة مخلصه ، وانضمام صحابة رسول الله صلى الله عليه وسلم لجيوش المجاهدين ، حتى تحقق نصر الله ، وغنم المسلمون مغائم كثيرة آل خمسها للدولة الاسلامية استنادا لآية الخمس . . كما أن الجهاد أفاض الجزية للموارد العامة للدولة ، فدفعها أهل الكتاب طبقا لشروط الصلح التى عقدها معهم قواد

جيوش الاسلام ، ومهد الجهاد كذلك لآيولة أراضى الغنائم فيما بعد للدولة الاسلامية وتدفق خراجها على بيت مال المسلمين ٠٠

شمل الكتاب أيضا تحليلًا للنفقات العامة في عهد الصديق رضى الله عنه سواء كانت نفقات عامة مخصصة لوجوه اتفاق محددة بالقرآن أو كانت نفقات عامة غير مخصصة مولتها الموارد العامة للجزية والخراج ٠٠

تناول الكتاب كذلك إدارة الصديق للمال العام بالايضاح والتحليل وأظهر كيف حققت تلك الإدارة فائضا ماليا قام الصديق بتوزيعه على المسلمين في شكل عطاء متساو لهم خلال مدة خلافته القصيرة التي بلغت سنتين وثلاثة أشهر كما أبرز الكتاب وصايا الصديق المالية في مرض موته وضربه المثل في التعفف عن المال العام وردة كل ما آل اليه من أموال المسلمين وترشيحه عمر بن الخطاب رضى الله عنه الذى فاضت الأموال العامة في عهده ٠٠

هذا وقد روعى في أعداد الكتاب تحديث تراث السياسة المالية في عهد الصديق رضى الله عنه لتواكب الأوضاع الفنية الحديثة للمالية العامة ليسهل على القراء متابعتها فتم مقارنة الإيرادات العامة في عهد الخليفة الأول بأنواع الإيرادات العامة الحديثة كما قيست النفقات العامة في عهده بمقياس التعريف الحديث للنفقة العامة وتم كذلك تصوير موازنة عامة للدولة الاسلامية في عصر الصديق على نفس النمط والشكل الذى تعد به الدول حديثا موازاتها العامة فأثبت ذلك أن المالية العامة الاسلامية كما وضعها رسول الله صلى الله عليه وسلم وكما طبقها خليفته من بعده ، مالية عامة كاملة الأركان ، قابلة للتطوير والتحديث والتطبيق في جميع العصور •

ولما كانت لصحابة رسول الله صلى الله عليه وسلم في عهد الصديق مساهمات في نماء المالية العامة للدولة وذلك بمعاونتهم الخليفة الأول في إدارة الدولة وتطويعهم للجهاد في سبيل الله تثبيتا للزكاة وتحقيقا للنصر وحصولهم على الغنائم التى آل خمسها للدولة وعقدتهم الصلح مع أهل الكتاب لاداء الجزية ، ولما كانوا في عهد

الصدىق ىمثلون السلطة التشريعية التى تقدم المشورة وتزاول الرقابة العامة ومنها الرقابة على أمور المال العام ، فقد تم تضمين الكتاب تحليلا لشخصيات منهم ممن كانوا حول الصديق ٠

وقد استلزم انجاز موضوع الكتاب جهدا مكثفا بسبب قصر عهد الخليفة الأول وعدم وجود مراجع متخصصة للمالية العامة عن عهده ، وتداخل الوقائع المالية تداخلا متواريا مع وقائع الحروب بغير تركيز من المؤرخين على الوقائع المالية ، وغياب الصورة الرقمية لعمليات المالية العامة فى عهد الصديق وهى فى المالىات العامة الحديثة تساعد على التحليل المالى ٠٠

وبهذا الكتاب يكرن بعون من الله قد صدرت لى المؤلفات التالية عن المال فى الاسلام :

- النظم المالية فى الاسلام ٠٠
 - الاطار الأخلاقى للمالية المسلم ٠٠
 - المالية العامة فى الاسلام ٠٠
 - السياسة المالية للرسول ٠٠
 - السياسة المالية لأبى بكر الصديق ٠٠
 - السياسة المالية لعمر بن الخطاب ٠٠
 - السياسة المالية لعثمان بن عفان ٠٠
 - السياسة المالية لعمر بن عبد العزيز ٠٠
- فاذا كنت بهذا قد قدمت علما نافعا للناس
فانما ذلك كان بتوفيق من الله جل وعلا
انه نعم المولى ونعم النصير ٩

المؤلف

قطب إبراهيم محمد

الباب الأول

تولى الصديق دولة ناشئة
ومالية عامة مهتزة

الفصل الاول

تولى الصديق أمور مالية عامة مهتزة ودولة اسلامية ناشئة

هيكل المالية العامة الاسلامية كما تركه رسول الله :

لما توفي رسول الله صلى الله عليه وسلم ترك عناصر هيكل المالية العامة للدولة الاسلامية على النحو التالى :

ايرادات عامة :

وتتكون من :

— زكاة مفروضة بالقرآن ومفصلة بسنن رسول الله القولية والفعلية ..

— خمس الغنائم مفروضة بالقرآن ومفصلة بسنن رسول الله القولية والعملية ..

— جزية مفروضة بالقرآن على اهل الكتاب الذين آثروا الاحتفاظ بدينهم ومفصلة بسنة رسول الله القولية والفعلية ..

– خراج يستأدى من الأرض العامة التى يزرعها أهلها وآلت للدولة كبعض أرض الغنائم .

نفقات عامة :

وكانت على النحو التالى :

- اتفاق عام من الزكاة على وجوها الموضحة بالقرآن .
- اتفاق عام من خمس الغنائم على وجوها الموضحة بالقرآن
- اتفاق عام من باقى أنواع الإيرادات العامة وهى الجزية والخراج على سائر الأنشطة العامة للدولة . .

ادارة الإيرادات العامة والنفقات العامة :

أدار رسول الله صلى الله عليه وسلم الإيرادات العامة والنفقات العامة للدولة الإسلامية الأولى . .

بالقرآن

وبعبادىء خلقه العظيم(١)

اهتزاز هيكل المالية العامة للدولة الإسلامية بسبب وفاة الرسول :

تعرض هيكل المالية العامة للدولة الإسلامية للاهتزاز بسبب موت رسول الله صلى الله عليه وسلم نتيجة لاهتزاز الدولة الإسلامية واهتزاز بعض القبائل المسلمة كما يتضح مما يلى :

– ادعت بعض القبائل المسلمة أن الزكاة كانت تؤدى لشخص رسول الله صلى الله عليه وسلم وبوفاته لا تؤدى لغيره وامتنع أفراد هذه القبائل عن أدائها . .

(١) للتفاصيل يرجع لكتابنا السياسة المالية للرسول – الهيئة المصرية

العامة للكتاب – طبعة ١٩٨٨ .

– ادعت بعض القبائل المسلمة ان الزكاة اتاوة او جزية كانوا يؤدونها لمن بالمدينة ولاحق لأهل المدينة في ذلك .

– ظنت بعض القبائل المسلمة التي دخلت الاسلام في اواخر عهد الرسول أن بلادها مستقلة عن الدولة الاسلامية ولا ترتبط بعاصمة الدولة الاسلامية وهي المدينة وقتئذ الا برباط الدين الاسلامي دون سائر الروابط السياسية والمالية ، فلا يحق على افراد هذه القبائل للدولة زكاة .

– تابعت بعض قبائل العرب من ادعوا النبوة ، فكان ولاؤهم للمدعين الكاذبين ، وأسقطت هذه القبائل الولاية العامة للدولة الاسلامية وأسقطوا بالتبعية الزكاة المفروضة بعد أن ارتدوا .

– بموت رسول الله صلى الله عليه وسلم ، وظهر اتجاهات الامتناع عن أداء الزكاة وادعاءات النبوة ووقوع الردة ، اشترأت أعناق أهل الكتاب من اليهود والنصارى ليروا أى مصير ينتهى اليه الدين الاسلامي والدعوة الاسلامية ، أملين أن تنقسخ دولة الاسلام . فلا يؤدون ما التزموا به من جزية أو خراج فى حياة رسول الله صلى الله عليه وسلم .

– أدرك الفرس والروم أن الدولة الاسلامية قوة يزداد نموها ، وأن ذلك مما يهدد سلطانهم ، فانتهزوا وفاة رسول الله صلى الله عليه وسلم لاضعاف هذه القوة بالدعاية السياسية بين قبائل العرب المسماة للاستقلال الذاتى وبالدعاية الدينية للمسيحية تارة وللإهودية تارة ثانية وللوثنية العربية تارة ثالثة خصوصاً بين شمال شبه الجزيرة المتصل بالشام وجنوب شبه الجزيرة المتصل بالفرس والقريب من الحبشة .

– أثرت العوامل السابقة تأثيراً نفسياً على بعض قيادات الدولة الاسلامية وقتئذ فجعلتهم غير متحمسين لأى اجراء حربي من الدولة الاسلامية لرأب ما أصابها من تصدع الامر الذى لو أخذ

برأيهم وقتئذ لانفتحت ثغرة واسعة غى هيكل المالية العامة قد لايمكن
سدّها اطلاقا أو قد يتعذر سدّها الا بعد وقت طويل وجهد جهيد ٠٠

ـ تنافس الأنصار والمهاجرون على الخلافة فور موت رسول
الله صلى الله عليه وسلم فأراد كل منهم أن يكون الخليفة من بينهم ،
وقد أحدث ذلك فى بادئ الأمر خلافا فى الرأى وتحمس كل من
الأنصار والمهاجرين لرأيهم ،وكاد ينقلب الخلاف الى فتنة حال دون
وقوعها قوة ايمان الفريقين وحكمة الصحابة واسراعهم فى إنهاء
الخلاف ٠ وعوامل أخرى سنوضحها فيما بعد ٠

ولو وقعت الفتنة لزلزت الدولة الاسلامية الوليدة زلزالا
شديدا ، ولكان من بين نتائج تلك الفتنة أن تشح الإيرادات العامة
للدولة وأن تعجز عن تمويل نفقاتها العامة ، وأن ينوء كاهل الدولة
الناشئة بعجز مالى كبير له آثاره الاقتصادية والاجتماعية المدمرة ٠

أيلولة أمور الدولة الناشئة وماليتها العامة المهتزة للصدىق :

آل أمر الدولة الاسلامية الوليدة وماليتها العامة المهتزة لأبى
بكر الصديق رضى الله عنه ، فقد بويع بعد وفاة رسول الله صلى
الله عليه وسلم ليكون خليفته ، وتمت البيعة كما يلى :

مبايعة أبى بكر الصديق بالخلافة :

توفى رسول الله صلى الله عليه وسلم يوم الاثنين لثنتى عشرة
ليلة خلت من شهر ربيع الأول(٢) فزلزل الناس زلزالا شديدا وبكوا
على رسول الله صلى الله عليه وسلم وود بعضهم لو ماتوا قبله فقد

(٢) تاريخ الطبرى لأبى جعفر بن جرير الطبرى - الطبعة الثانية

لدار المعارف بمصر - الجزء الثالث ص ٢٠٠

كانوا يخشون أن يفتنوا بعده (٣) ، وقام عمر بن الخطاب رضى الله عنه وقال :

« ان رجالا من المنافقين يزعمون أن رسول الله توفى ، وأن رسول الله ما مات ولكنه ذهب الى ربه كما ذهب موسى بن عمران ، فغاب عن قومه أربعين ليلة ثم رجع بعد أن قيل قد مات ، والله ليرجعن رسول الله فليقطعن أيدي رجال وأرجلهم يزعمون أن رسول الله مات » ٠٠

واقبل أبو بكر الصديق حين بلغه الخبر ودخل على رسول الله صلى الله عليه وسلم في بيت عائشة أم المؤمنين ورسول الله مسجى في ناحية البيت عليه برد حبره فكشف عن وجهه وقبله ثم قال :

« بأبى أنت وأمى ! طبت حيا وطبت ميتا أما الموتة التي كتب الله عليك فقد ذقتها ثم لن يصيبك بعدها موة أبدا » ٠٠

ثم رد الثوب على وجهه وخرج للناس فحمد الله وأثنى عليه ثم قال :

« من كان يعبد الله فان الله حي لا يموت ومن كان يعبد محمدا فان محمدا قد مات » ٠٠

ثم قرأ : « انك ميت وانهم ميتون ثم انكم يوم القيامة عند ربكم تختصمون » (الزمر / ٣٠ ، ٣١) ٠٠

« وما محمد الا رسول قد خلت من قبله الرسل افان مات او قتل انقلبتم على أعقابكم ، ومن ينقلب على عقبيه فلن يضر الله شيئا وسيجزي الله الشاكرين » (آل عمران / ١٤٤) ٠

وكأن الناس لم يعلموا أن هذه الآيات نزلت على رسول الله صلى الله عليه وسلم حتى تلاها أبو بكر وأخذها الناس عنه ٠٠

وفي ذلك يقول عمر بن الخطاب رضى الله عنه :

(٣) المرجع السابق ص ٢٧ وكان معنى بن عدى يقول « والله ما أحب ان تمته قبله حتى اصدقته ميتا كما صدقته حيا » ٠

« والله ما هو الا أن سمعت أبا بكر يتلوها ففقرت حتى وقعت الى الأرض ما تحملنى رجلاى وعرفت أن رسول الله قد مات » ٠٠

وفى ذلك اليوم والرسول لم يدفن بعد ، اجتمع الانصار فى سقيفة بنى ساعدة ليبايعوا سعد بن عباد ، فبلغ ذلك أبا بكر فأتاهم ومعه عمر وأبو عبيدة بن الجراح ٠٠

فأراد عمر أن يتكلم فنهاه أبو بكر ٠٠

وتكلم أبو بكر وقال للانصار : ما هذا ؟

فقالوا : منا أمير ومنكم أمير ٠٠

فقال أبو بكر : منا الأمراء ومنكم الوزراء

ولم يترك شيئا نزل فى الانصار ولا ذكره رسول الله صلى الله عليه وسلم فى شأنهم الا وذكره ٠٠

وقال : لقد علمتم أن رسول الله صلى الله عليه وسلم قال :

« لو سلك الناس واديا وسلكت الانصار واديا سلكت وادى الانصار » ٠٠

ولقد علمت ياسعد أن رسول الله قال وأنت قاعد :

« قريش ولاة هذا الأمر فبر الناس تبع لبرهم وفاجرهم تبع لفاجرهم » ٠٠

فقال سعد : صدقت فنحن الوزراء وأنتم الأمراء ٠٠

ثم قال أبو بكر : انى قد رضيت لكم أحد هذين الرجلين : عمر أو أبا عبيدة ٠٠

ان النبى صلى الله عليه وسلم جاءه قوم

فقالوا : ابعث معنا أمينا

فقال : لأبعثن أمينا حق أمين

فبعث معهم أبا عبيدة بن الجراح وأنا أَرْضَى لكم أبا عبيدة .

فقام عمر فقال : أيكم تطيب نفسه أن يخلف قدمين قدمهما
النبي صلى الله عليه وسلم .

وقال لأبى بكر : أبسط يدك يا أبا بكر فلا يبيعك

فقال أبو بكر : بل أنت يا عمر فانت أقوى لها منى

وفتح عمر يد أبى بكر وباعه وقال : ان لك قوتى مع قوتك

فبايع الناس . .

وفي اليوم التالى لبيعة أبى بكر فى السقيفة جلس أبو بكر على
المنبر وقام عمر وتكلم قبل أبى بكر فحمد الله وأثنى عليه بما هو
أهله . .

ثم قال : « أيها الناس ، انى قد قلت لكم بالأمس مقالة ماكانت
الا عن رأيى وما وجدتها فى كتاب الله ، ولا كانت عهدا عهدا الى
رسول الله صلى الله عليه وسلم ، ولكنى قد كنت ارى أن رسول الله
سيدبر أمرنا ، حتى يكون آخرنا ، وأن الله قد أبقى فيكم كتابه الذى
هدى به رسول الله ، فان اعتصمتم به هداكم الله لماكان هداه له ،
وان الله قد جمع أمركم على خيركم صاحب رسول الله وثانى اثنين
ان هما فى الغار فقوموا فبايعوا » . .

فبايع الناس أبا بكر بيعة العامة بعد بيعة السقيفة .

وكان على ابن أبى طالب فى بيته وعلم بجلوس أبى بكر للبيعة،
فخرج فى قميص ماعليه ازار ولا رداء كراهية أن يبطيء عن البيعة
وبايع أبا بكر .

هذه احدى الروايات التى وردت فى بيعة على بن أبى طالب
لأبى بكر من روايات أخرى كثيرة وردت عن هذه البيعة أثرناها لأنها
أكثر الروايات ملاءمة مع موقف على من الاسلام ومؤازرته له وحسن
بلائته فيه . .

فمن الروايات الأخرى أن طائفة من المهاجرين تخافوا عن
بيعة أبى بكر ومالوا مع على بن أبى طالب منهم العباس بن عبدالمطلب
وأنهم اجتمعوا مع على بن أبى طالب فى دار فاطمة بنت الرسول

يدعون الى مبايعته ، فبلغ أبو بكر وعمر اجتماعهم بدار فاطمة فذهبا
اليه ودار نقاش ..

فقال عمر : انك لست متروكا حتى تبائع ..

فأجاب على : نحن أحق بهذا الأمر منكم ما كان فينا القارىء
لكتاب الله الفقيه فى دين الله العالم بسنن الله ، المضطلع بأمر الرعية
الدافع عنهم الأمور السيئة ، القاسم بينهم بالسوية ، والله انه لفينا ،
فلا تتبعوا الهوى فتضلوا عن سبيل الله فتزدادوا من الحق بعدا) .

ومن الروايات أن عليا خرج من الدار ليلا ومعه فاطمة زوجته
فحملها على دابة وأخذ يطوف بها مجالس الأذصار تسألهم النصرة .

فكانوا يقولون : « يا بنت رسول الله ، قد مضت بيعتنا لهذا
الرجل ، ولو أن زوجك وابن عمك سبق إلينا قبل أبى بكر ما عدلنا
به » ..

فجيبهم على : « أفكنت أدع رسول الله فى بيته لم أدفنه وأحن
أنازع الناس سلطانه » .

وتجيب فاطمة : « ما صنع أبو الحسن الا ما كان ينبغى له ، ولقد
صنعوا بالله حسيبهم عليه وطالبهم » ..

ومن الروايات ما تقف فى أمر على وبيعته موقفا وسطا ،
فيقولون ان أبا بكر صعد المنبر عقب البيعة ، فنظر فى وجوه القوم
فلم ير عليا فدعا به فجاءه ..

فقال أبو بكر له : ابن عم رسول الله وخنته على ابنته أردت
أن تشق عصا المسلمين ؟

فقال على : لا تثريب يا خليفة رسول الله

فقام فبايعه ..

وقيل أن بنى أمية أرادوا أن يثيروا الشغب بين بنى هاشم وأبى
بكر ، فأخذ أبو سفيان بن حرب رأس بنى أمية ..

يقول : والله أنى لأرى عجاجة لا يطفئها الا دم ، يا آل عبد مناف
فيم أبو بكر من أموركم ؟ أين المسستضعفان ؟ أين الأذلان على
والعباس ثم أتى على ..

وقال : أبا حسن ، أبسط يدك حتى أبايعك ، فوالله لأملأنها على
أبى فصيل (يعنى أبى بكر) خيلا ورجلا ..

فأبى على وزجره وقال : انك والله ما أردت بهذا الا الفتنة ،
وانك والله طالما بغيت الاسلام شرا ! لا حاجة لنا في نصيحتك(٤) .

رواية لأم المؤمنين عائشة عنبيعة أبى بكر(٥) :

قالت أم المؤمنين عائشة رضى الله عنها :

ان رسول الله صلى الله عليه وسلم مات وأبو بكر بالسمنج
(يعنى بالعالية)

فقام عمر يقول : والله مامات رسول الله صلى الله عليه وسلم
وقال عمر : والله ما كان يقع في نفسى الا ذاك وليبعثنه الله
فليقطعن أيدي رجال وأرجلهم ..

فجاء أبو بكر فكشف عن رسول الله صلى الله عليه وسلم فقبله
فقال : بأبى أنت وأمى ! طبت حيا وميتا والذي نفسى بيده
لا يذيقك الله الموتتين أبدا(٦)

ثم خرج فقال : أيها الحالف على رسلك

(٤) الوقائع الخاصة بيوم السقيفة ومبايعة الصديق مقبسة من عدة
مراجع منها المرجع السابق ص ٢٠٣ حتى ص ٢١١ .

(٥) حديث أم المؤمنين عائشة رضى الله عنها ورد في صحيح البخارى
- الجزء السادس - الصفحات ٨٥ ، ٨٦ ، ٨٧ طبعة المجلس الأعلى للشئون
الإسلامية .

(٦) يعنى انه لن يبعث في الدنيا كما قال عمر ثم يموت مودة أخرى .

فلما تكلم أبو بكر جلس عمر ، فحمد الله أبو بكر وأثنى عليه
وقال : ألا من كان يعبد محمدا صلى الله عليه وسلم فإن محمدا
قد مات ومن كان يعبد الله فإن الله حي لا يموت ٠٠

وقال : « أنك ميت وانهم ميتون » (الزمر / ٣٠)

وقال : « ومحمد إلا رسول قد خلت من قبله الرسل أفان مات
أو قتل انقلبتم على أعقابكم ومن ينقلب على عقبيه فلن يضر الله
شيئا وسيجزى الله الشاكرين » (آل عمران / ١٤٤) ٠

فنشج الناس بيبكون ٠٠

واجتمعت الأنصار الى سعد بن عباد ة في سسقية(٧) بقرى
ساعده

فقالوا(٨) : منا أمير ومنكم أمير

فذهب اليهم أبو بكر وعمر بن الخطاب وأبو عبيدة بن الجراح ،
فذهب عمر يتكلم فأسكته أبو بكر ٠٠

وكان عمر يقول : والله ما أردت بذلك الا أنى قد هيات كلاما
قد أعجبنى خشينا أن لا يبلغه أبو بكر ، ثم تكلم أبو بكر فتكلم أبلغ
الناس ٠٠

فقال في كلامه : نحن الأمراء وأنتم الوزراء ٠٠

فقال حباب بن المنذر(٩) : لا والله لا نفعل ، منا أمير ومنكم
أمير ٠٠

فقال أبو بكر : لا ولكننا الأمراء ، وأنتم الوزراء ، هم (أى
قريش) أوسط العرب دارا وأعربهم أحسابا ، فبايعوا عمر أو أبا
عبيدة ٠٠

(٧) موضع مسقوف يجتمع اليه الأنصار .

(٨) أى قال الأنصار للمهاجرين .

(٩) من الأنصار .

فقال عمر : بل نبأيتك أنت فأنت سيدنا وخيرنا وأحبنا إلى رسول الله صلى الله عليه وسلم .

فأخذ عمر بيده فبايعه وبايعه الناس . .

فقال قاتل : قتلتم سعد بن عباد . .

فقال عمر : قتله الله

بيعة الصديق كانت فلتة موفقة (١٠) :

في عهد أمير المؤمنين عمر بن الخطاب رضى الله عنه كان يحج بالناس فبلغه أن أحد الناس قال : « لو قد مات أمير المؤمنين لبايعت فلانا والله ما كانت بيعة أبى بكر الا فلتة فتمت »

فغضب عمر ونوى أن يقوم فى الناس ليحذرهم من الناس الذين ينشرون مثل هذه الراجيف ثم رأى التمهيل حتى يقدم المدينة نأر الهجرة والسنة وفيها أصحاب رسول الله من المهاجرين والأنصار فيكون لمقاتله أثرها . .

فلما قدم المدينة جلس على المنبر وكان يوم جمعة ، فلما جلس عمر على المنبر أذن المؤذنون ، فلما قضى المؤذن أذانه قام عمر فحمد الله وأثنى عليه وقال :

« أما بعد فانى أريد أن أقول مقالة قد قدر أن أقولها ، من وعاما وعقلها وحفظها ، فليحدث بها حيث تنتهى به راحلته ، وعن لم يعها فانى لا أحل لأحد أن يكذب على :

ان الله عز وجل بعث محمدا بالحق وأنزل عليه الكتاب . وكان فيما أنزل عليه آية الرجم ، فرجم رسول الله ورجمنا بعده ، وانى تد خشيت أن يطول بالناس زمان . .

(١٠) حديث عمر ورد في الطبرى - مرجع سابق - جزء ٣ - ص ٢٠٣

حتى ٢٠٣ .

فيقول قائل : والله ما نجد الرجم في كتاب الله

فيضلوا بترك فريضة أنزلها الله . . .

وقد كنا نقول : لا ترغبوا عن أبائكم فإنه كفر بكم أن ترغبوا
عن أبائكم . .

ثم أنه بلغني أن قائلاً منكم يقول : لو قد مات أمير المؤمنين
بايعت فلانا ، فلا يغرن امرأ أن يقول : إن بيعة أبي بكر كانت قلعة .

فقد كانت كذلك ، غير أن الله وقى شرها ، وليس منكم من
تقطع إليه الأعناق مثل أبي بكر وأنه كان من خيرنا ، حين توفي الله
نبيه صلى الله عليه وسلم أن علياً والزبير ومن معهما تخلفوا عنا في
بيت فاطمة وتخلفت عنا الأنصار بأسرها ، واجتمع المهاجرون إلى
أبي بكر . .

فقلت لأبي بكر ! انطلق بنا إلى أخواننا هؤلاء من الأنصار .

فانطلقنا نؤمهم ، فلقينا رجلاً صالحاً (١١) قد شهدا بدرا .

فقالا : أين تريدون يا معشر المهاجرين ؟

فقلنا : نريد أخواننا هؤلاء من الأنصار . .

قالا : فارجعوا فاقضوا أمركم بينكم . .

فقلنا : « والله لنأتينهم »

فأتيناهم وهم مجتمعون في سقيفة بني ساعدة وإذا بين أظهرهم
رجل مزمل (١٢) .

(١١) الرجلان هما عدي بن ساعدة قال رسول الله صلى الله عليه وسلم
أنه من الشار إليهم في آية « فيه رجال يحبون أن يتطهروا والله يحب المطهرين »
(سورة التوبة/ ١-٨) والثاني معن بن عدي قال بعد موت الرسول وحين تمنى
الناس موتهم قبله خشية الفتنة قال أنه ما أحب أن كان مات قبله حتى يصدق
حيا وميتاً ، وقتل شهيداً يوم اليمامة في خلافة أبي بكر يوم مسيلة الكذاب
- انظر الطبري جزء ٣ - مرجع سابق ص ٢٠٦ - ٢٠٧ .
(١٢) مزمل أى ملتف في كساء أو في غيره .

قلت : « من هذا ؟ »

قالوا : « سعد بن عباد »

فقلت : « ما شأنه ؟ »

قالوا : وجع

فقام رجل منهم فحمد الله

وقال : أما بعد فنحن الأنصار وكتيبة الاسلام وأنتم يامعشر قريش رهط نبينا وقد دفت إلينا من قومكم دافة « (١٣) » .

فلما رأيتهم يريدون أن يخنزلونا من أصلنا ويغصبونا الأمر ، وقد كنت زودت (١٤) في نفسي مقالة أقدمها بين يدي أبي بكر ، وقد كنت أداري منه بعض الحد (١٥) وكان هو أوقر مني وأحلم فلما أردت أن أتكلم ..

قال : « على رسلك »

فكرهت أن أعصيه ، فقام فحمد الله وأثنى عليه فما ترك شيئا كنت زودت في نفسي أن أتكلم به لو تكلمت ، الا وقد جاء به ؟ وبأحسن منه ..

وقال (أبو بكر) : « أما بعد يامعشر الأنصار ، فإنكم لا تذكرون منكم فضلا الا وأنتم له أهل ، وإن العرب لا تعرف هذا الأمر الا لهذا الحي من قريش ، وهم أوسط العرب دارا ونسبا (١٦) ، ولكن قد رضيت لكم أحسن هذين الرجلين ، فبايعوا أيهما شئتم » .

(١٣) الدافة : القوم يسيرون جماعة سيرا ليس بالشديد .

(١٤) زودت مقالة : هيأتها وأعدتها .

(١٥) الحد : أي الحدة .

(١٦) أوسط العرب وأشرفهم دارا : أي بلدا يريد مكة .

فأخذ بيدي وبيد أبي عبدة بن الجراح

واني (أي عمر) والله ما كرهت من كلامه شيئاً غير هذه
الكلمة ، أن كنت لأقدم فتضرب عنقي فيما لا يقربني إلى أثم أحب
إلى من أن أؤمر على قوم فيهم أبو بكر . .

فلما قضى أبو بكر كلامه ، قام منهم رجل

فقال : « أنا جذيلها (١٧) المحكك وعذيقها (١٨) المرجب ، منا
أمير ومذكّم أمير يامعشر قريش » .

فارتفعت الأصوات وكثر اللغط (١٩) ، فلما أشفقت الاختلاف .

قلت لأبي بكر : أبسط يدك أبايعك .

فبسط يده وبايعه المهاجرون وبايعه الأنصار .

ثم نزونا (٢٠) على سعد حتى قال قائلهم : « قتلتم سعد بن
عبادة » . .

فقلت : « قتل الله سعدا »

وانا والله ما وجدنا أمرا هو أقوى من مبايعة أبي بكر ، خشينا
أن فارقنا القوم ولم تكن بيعة أن يحسدوا بعدنا بيعة ، فاما أن
نتابعهم على ما نرضى أو نخالفهم فيكون فسادا .

(١٧) الجدبل : تصغير جلد وهو هود يكون في وسط مبرك الإبل تحتك
به وتستريح إليه ، فيضرب به المثل في الرجل يشقى برايه .

(١٨) العذيق : تصغير علق وهو النخلة نفسها . والمرجب : الذي يبنى
إلى جانبه دعامة لترده لكمة حملته ولعزه على أهله ، فضرب به المثل في الرجل
الشريف الذي يعظمه قومه .

(١٩) اللغط : اختلاط الأصوات .

(٢٠) نزونا : نحلى . سعد . . وثبنا عليه ، ووطئناه .

الصدق أحق الناس بخلافة الرسول :

والواقع أن أبا بكر الصديق كان أحق الناس بخلافة رسول الله صلى الله عليه وسلم .

— ولو كان الرسول قد كتب لكتب الخلافة من بعده لأبى بكر ولكنه لم يكتب فقد ثبت أنه لما اشتد برسول الله صلى الله عليه وسلم وجعه فى مرض الموت .

قال : اثبتوني أكتب كتابا لا تضلوا بعدى أبدا . .

فتنازعوا — ولا ينبغي عند نبي أن يتنازع —

فقالوا : ما شأنه أهجر (٢١) ! استفهموه

فذهبوا يعيدون عليه

فقال : دعونى فما أنا فيه خير ما تدعونى اليه (٢٢) .

— جرى الحديث التالى بين عباس بن عبد المطلب وعلى بن أبى طالب فى الأيام الأخيرة من مرض موت الرسول صلى الله عليه وسلم .

قال العباس : انى أرى رسول الله سيتوفى فى وجعه هذا ، رانى لأعرف وجوه بنى عبد المطلب عند الموت ، فاذهب الى رسول الله فسله فيمن يكون هذا الأمر ؟ فان كان فينا علمنا ذلك ، وان كان فى غيرنا أمر به فأوصى بنا . .

قال على . والله لئن سألناها رسول الله فمنعناها (أى الخلافة) لا يعطيناها الناس أبدا ، والله لا أسألها رسول الله أبدا .

ولو كان على بن أبى طالب رضى الله عنه يعتقد أن رسول الله صلى الله عليه وسلم سيأمر بأن تكون الخلافة فى آل محمد لتقدم وسأل النبي صلى الله عليه وسلم .

(٢١) أهجر : أى اختلف كلامه بسبب المرض .

(٢٢) الطبرى — جزء ٣، ص ١٩٣ مرجع سابق .

— ثبت أنه في مرض موت الرسول صلى الله عليه وسلم خرج الى المسجد عاصباً رأسه حتى جلس على المنبر ، ثم كان أول ما تكلم به أن صلى على أصحاب أحد واستغفر لهم وأكثر الصلاة عليهم .

ثم قال : ان عبداً من عباد الله خيره الله بين الدنيا وبين ما عنده فاختار ما عند الله ففهمها أبو بكر وعلم أن نفسه يريد ، فبكى . .

وقال : بل نفديك بأنفسنا وأبنائنا .

فقال : على رسلك يا أبا بكر ، أنظروا هذه الشوارع الالافظة (٢٣) شى المسجد ، فسدوها الا باب أبى بكر ، فانى لا أعلم أحداً كان أفضل عندى في الصدقة يدا منه (٢٤) .

فاستثناء باب أبى بكر رضى الله عنه يفصح عن مكانته لدى رسول الله صلى الله عليه وسلم .

— توضيح أم المؤمنين عائشة أمر رسول الله لما اشتد مرضه بأن يصلى أبى بكر بالناس فقالت : لما استعز برسول الله صلى الله عليه وسلم قال مروا أبابكر فليصل بالناس . .

قلت : يا نبي الله ان أبا بكر رجل رقيق ، ضعيف الصوت كثير البكاء اذا قرأ القرآن .

قال : مروه فليصل بالناس .

(قالت) : فوالله ما أقول ذلك الا أنى كنت أحب أن يصرف ذلك عن أبى بكر وعرفت أن الناس لا يحبون رجلاً قام مقامه أبداً ، وأن الناس سيبتشأمون في كل حذب كان ، فكنت أحب أن يصرف ذلك عن أبى بكر . .

(٢٣) الالافظة في المسجد : النافذة اليه .

(٢٤) الطبرى - جزء ٣ - ص ١٩١ مرجع سابق .

وكان أبو بكر غائبا ، فقال أحد المسلمين وهو عبد الله بن زمعة
ابن الأسود بن المطلب بن أسد : قم يا عمر فصل بالناس ..

فقام فلما كبر سمع رسول الله صلى الله عليه وسلم صوته
وكان عمر رجلا مجهرا فقال رسول الله صلى الله عليه وسلم : فأين
أبو بكر ؟ ياأبى الله ذلك والمسلمون ، ياأبى الله ذلك والمسلمون .

فبعث الى أبى بكر ، فجاء بعد أن صلى عمر تلك الصلاة
فصلى بالناس ..

قال عبد الله بن زمعة : قال لى عمر « ويحك ماذا صنعت بى
يا بن زمعة ، والله ماظننت حين أمرتنى إلا أن رسول الله صلى الله
عليه وسلم أمرك بذلك ولولا ذلك ما صليت بالناس ..

قال عبد الله بن زمعة : قلت والله ما أمرنى رسول الله صلى
الله عليه وسلم بذلك ، ولكن حين لم أر أبا بكر رأيتك أحق من حضر
بالصلاة بالناس (٢٥) .

فالرسول أناب عنه أبا بكر فى الصلاة ، والصلاة عماد الدين
والانابة فى عماد الأمور يكفى للافصاح عن اطمئنان من ينيب للثقة
فيمين أنابه ، وأنه كفى بأن يقوم مقامه فى الأقل من الأمور ، وأكد
الرسول صلى الله عليه وسلم ذلك حينما اعترض على صلاة عمر
بالناس وسبب اعتراضه بأن الله يابى ذلك والناس وأكد الابعاء
بالتكرار ..

— ومما يؤيد انابة الرسول صلى الله عليه وسلم لأبى بكر عنه
ما أورده البخارى عن جبير بن مطعم أن امرأة أخت النبى صلى الله
عليه وسلم فأمرها أن ترجع اليه ..

قالت : أرأيت أن جئت فلم أجذك ..

قال : أن لم تجدينى فأتى أبا بكر (٢٦) .

(٢٥) السير النبوية لابن هشام - الجزء الرابع - طبعة دار الجيل

بيروت ص ٢٢١ .

(٢٦) البخارى - جزء ٦ - مرجع سابق ص ٨١ .

— وكان أبو بكر رضى الله عنه أول أمير للحج بعث به النبي صلى الله عليه وسلم وهو بالمدينة وكان ذلك سنة تسع من الهجرة ، وحج البيت لمن استطاع اليه سبيلا أحد أركان الاسلام الخمس ، فالرسول صلى الله عليه وسلم أنابه في ركنين من أركان الاسلام لهما صله بإمامة المسلمين وهما الصلاة والحج .

— ثم إن ما قدمه أبو بكر في مؤازرته الرسول والدعوة في حياته صلى الله عليه وسلم تزكى بيعته التي تمت من المهاجرين والأنصار ..

فقد اتفقت الأقوال على أنه كان أول من أسلم من الرجال وهناك قول بأنه كان أول من أسلم اطلاقا ، فلما اتصل نبأ الدعوة بأبي بكر جاء رسول الله صلى الله عليه وسلم .

فسأله : يا أبا القاسم ما الذى بلغنى عنك ؟

فسأله النبي : وما بلغك عنى يا أبا بكر ؟

قال : بلغنى أنك تدعو الى توحيد الله ، وزعمت أنك رسول الله

قال النبي : نعم يا أبا بكر . ان ربي جعلنى بشيرا ونذيرا وجعلنى دعوة ابراهيم ، وأرسلنى الى الناس جميعا .

فقال أبو بكر : والله ما جربت عليك كذبا ، وانك لخليق بالرسالة لعظم أمانتك ، وصلتك لرحمك وحسن فعالك . مد يدك فأنى مبايعك (٢٧) .

ونوه رسول الله صلى الله عليه وسلم عن استجابة أبى بكر لدعوة فقال :

« ما دعوت أحدا الى الاسلام الا كانت منه عنده كبرة ونظر

وتردد ، الا ماكان من أبى بكر ، ماعكم عنه حين ذكرته له ، وما تردد فيه «(٢٨) .

وأسلم على يدى الصديق رھط من أكبر السادة وأكبر القادة فى الاسلام ، فقد أسلم على يديه عثمان بن عفان ، والزبير بن العوام ، وطلحة بن عبيد الله وسعد بن أبى وقاص ، وعثمان بن مظعون ، وأبو عبيدة بن الجراح ، وعبد الرحمن بن عوف ، وعبد الله بن عبد الأسد أبو سلمة ، وخالد بن سعيد وجعل لا يهدأ أو لا يستريح حتى أدخل فى الاسلام أمه وأباه وذويه(٢٩) .

ومن مواقفه التى كانت لها أثرها فى تأييد دعوة الاسلام مايلي :

● صدق أبو بكر رسول الله صلى الله عليه وسلم فى خبر الاسراء ، فلما أذاع رسول الله صلى الله عليه وسلم أنه قد أسرى به ، أحاط بعض المشركين بأبى بكر متهمين ساخرين عابثين وقالوا له : هل لك الى صاحبك ؟ أنه يزعم أنه أسرى به الليلة الى بيت المقدس !

فقال أبو بكر : أو قد قال ذلك ؟ لئن قال ذلك لقد صدق :

فعادوا يسألونه : أتصدق أنه ذهب الليلة الى بيت المقدس وعاد قبل أن يصبح ؟ ؟

قال أبو بكر : نعم ! انى لأصدقه فيما هو أبعد من ذلك من خبر السماء فى غدوه أو روحه . .

ثم ذهب أبو بكر الى النبى صلى الله عليه وسلم فطفق يسمع منه ويصدق .

ويقول : أشهد أنك لرسول الله(٣٠) . .

(٢٨) المرجع السابق ص ٩٢ .

(٢٩) المرجع السابق ص ١٢٣ .

(٣٠) المرجع السابق ص ٦٤ ، ٦٥ .

فعل هذا وأهل مكة مكذبون وكان بعض من أسلم قد ارتد لنا
سمعوا حديث الاسراء ٠٠

● كان أبو بكر رفيق رسول الله صلى الله عليه وسلم وصاحبه
في الهجرة وأقبل عليها بروحه ونفسه وأمدّها بماله ٠

فتقول ابنته السيدة عائشة رضى الله عنها :

« ما شعرت قبل ذلك أحدا يبكي من الفرح حتى رأيت أبا بكر
يبكي حين أذن رسول الله صلى الله عليه وسلم بصحبته » ٠

وقالت ابنته أسماء رضى الله عنها :

« لما هاجر رسول الله صلى الله عليه وسلم ، وهاجر أبو بكر
معه احتمل أبو بكر ماله كله خمسة آلاف درهم أو ستة ، فدخل علينا
جدى أبو قحافة وقد ذهب بصره وقال : والله أنى لأراه فجعلكم بماله
كما فجعلكم بنفسه ٠٠

قلت : كلا يا أبت انه قد ترك لنا خيرا كثيرا ٠٠

وأخذت أحجارا فوضعتها في كوة البيت الذى كان أبى يضع
فيه ماله ، ثم وضعت عليه ثوبا ثم أخذت بيده ٠

وقلت : يا أبت ، ضع يدك على هذا المال

فوضع يده عليه وقال : لا بأس اذا كان قد ترك لكم هذا فقد
أحسن وفي هذا بلاغ لكم ٠

وتكمل أسماء حديثها فتقول « ولا والله ما ترك لنا شيئا ،
ولكنى أردت أن أسكن الشيخ » (٣٠م) ٠

● وكان الصديق أقرب المقاتلين الى رسول الله صلى الله عليه
وسلم في الغزوات ٠

ففى غزوة أحد حينما ولى من تولى واستشهد من استشهد وذا ع بين المسلمين أن محمدا قد قتل وقال البعض ما تصنعون بالحياة بعد رسول الله ، كان من الثابتين الراسخين ونظر الى حلقة من درع نشبت فى جبين رسول الله صلى الله عليه وسلم ، فانكب عليها لينزعها ، لولا أن أقسم عليه أبو عبدة ليسبقه هو الى نزعها ، فجذبها أبو عبدة بثنيته جذبا رقيقا حتى نزعها وسقطت ثنيته (٣١) .

- وفى صلح الحديبية ، لم يرض بعض المسلمين عن شروطه ، وكان منهم عمر ابن الخطاب رضى الله عنه فكان يقول : اننا على الحق فلم نعطي الدنية فى ديننا ، ولكن أبو بكر كان من المؤيدين المساندين لما عقده الرسول صلى الله عليه وسلم من صلح وكان يقول : انى أشهد أنه رسول الله ، فلم لا أتبعه فيما ارتضاه ؟ (٣٢) .

- وفى غزوة حنين ، أعجبت المسلمين كثرتهم ، وقالوا لمن نهزم اليوم من قلة ، وضائق عليهم الأرض بما رحبت ثم ولى البعض مدبرين ، ولكن كان أبو بكر الصديق رضى الله عنه من الثابتين الملازمين لرسول الله صلى الله عليه وسلم .

تاريخ مجيد لأبى بكر الصديق متصل الحلقات من التضحية والفداء والأخلاص والثبات للدعوة ولصاحب الدعوة جعلت خلافة الصديق أمرا محتما لا يجوز فيه التردد ولا الاهتزاز .

ماضى أبى بكر أنقذ الدولة الإسلامية من الفتنة :

ولقد وقى تاريخ أبى بكر الدولة الإسلامية فتنة كانت من الممكن أن تقع بسبب تمسك كل من الأنصار والمهاجرين بالخلافة ، فقد كانت حلقات تاريخ الصديق مع رسول الله صلى الله عليه وسلم تتوالى بخاطر الأنصار حينما استمعوا اليه فى سقيفة بنى ساعدة ، فخفت رويدا رويدا من تصميمهم ، وحدث من غلوئهم ومما يفصح عن مكانة أبى بكر الصديق فى قلوب المسلمين ماوراء ربيعة الأسلمى .

(٣١) المرجع السابق ص ٤٤ ، ٤٥

(٣٢) المرجع السابق ص ٧٠ .

قال ربيعة الأسلمي: جرى بيني وبين أبي بكر كلام فقال لي كلمة كرهتها وندم ..

فقال أبو بكر : يارببعة رد على مثلها حتى يكون قصاصا ..
قلت : لا أفعل

قال : لتقولن أو لاستعدين عليك رسول الله صلى الله عليه وسلم ..

فقلت : ما أنا بفاعل

فانطلق أبو بكر

وجاء أناس من أسلم

فقالوا لي : رحم الله أبا بكر ، في أي شيء يستعدى عليك وهو الذي قال لك ما قال :

فقلت : أتدرون من أبو بكر الصديق ؟ هذا ثاني اثنين ، وهذا ذو شبيبة في الإسلام . أياكم لا يلتفت فيراكم تنصرونني عليه فيغضب ، فيأتني رسول الله صلى الله عليه وسلم فيغضب لغضبه ، فيغضب الله لغضبهما فيهلك ربيعة ..

وانطلق أبو بكر وتبعته وحدي حتى أتني رسول الله صلى الله عليه وسلم ، فحدثته الحديث كما كان . فرفع إلى رأسه

فقال : يارببعة ! مالك والصديق ؟

فقلت: يا رسول الله ، كان كذا وكذا ، فقال لي كلمة كرهتها ، فقال لي : قل كما قلت حتى يكون قصاصا فأبيت .

فقال رسول الله صلى الله عليه وسلم : أجل لا ترد عليه ، ولكن قل : قد غفر الله لك يا أبا بكر ..

ومما ساعد على مرور مبايعة أبي بكر دون فتنة بين الأنصار والمهاجرين ، التنافس القديم بين قبيلتي الأنصار الأوس والخزرج ،

فقد أنطق الله بالحق لسان بشير بن سعد وهو من زعماء الخزرج .

فقال : انا والله وإن كنا أول فضيلة في جهاد المشركين وسابقة هذا الدين ، ما أردنا به الا رضساء ربنا ، وطاعة نبيتنا والكدر لأنفسنا ، فما ينبغي لنا أن نستطيل على الناس بذلك ولا نبتغي من الدنيا عرضا ، فإن الله ولى النعمة علينا بذلك . ألا إن محمدا صلى الله عليه وسلم من قريش وقومه أحق به وأولى . وإيم الله لا يراني الله أنازعهم في هذا الأمر أبدا . فاتقوا الله ولا تخالفوهم ولا تنازعوهم ،

فما أن سمع النقيب أسيد بن حضير وهو من زعماء الأوس حتى التفت الى قومه وقال لهم « والله لئن وليتها الخزرج عليكم مرة لأزالت لهم عليكم بذلك الفضيلة ، ولا جعلوا لكم معهم فيها نصيبا أبدا ، قوموا قبايعوا أبا بكر » (٣٣) .

والأنصار جميعا كانوا في قرارة نفوسهم يعلمون أن المهاجرين مقدمون عليهم .

فقد قال جل وعلا :

« والسابقون الأولون من المهاجرين والأنصار والذين اتبعوهم بإحسان » (التوبة / من / ١٠٠)

هذا ونحلل فيما يلي صفات الصديق للتبين أي صفاته كانت الزم لمعالجة المالية العامة المهتزة .

(٣٣) الصديق أبو بكر - محمد حسين هيكل ص ٦٠ - الطبعة السابعة -

دار المعارف - بمصر .

الفصل الثاني

صفات الصديق وضرورة بعضها لمعالجة المالية العامة المهترة

نبذة عامة عن الخليفة الأول للمسلمين (١) :

نقدم فيما يلي نبذة عن نشأة الخليفة الأول لرسول الله صلى الله عليه وسلم والذي يابعه المسلمون واختاروه اماما لهم واميرا على الدولة الإسلامية :

مولده :

ولد بعد الفيل بثلاث سنوات .

اسمه :

عبد الله وقيل له عتيق من عتيق ، وقال بعضهم انه قيل له ذلك لأن النبي صلى الله عليه وسلم قال انه « أنت عتيق من النار » -

(١). البيانات مأخوذة من الطبري - جزء ٣ - مرجع سابق صفحات

٤٢٤ ، ٤٢٥ ، ٤٢٦ .

اسم أبيه :

عثمان وكنيته أبو قحافة •

اسم أمه :

أم الخير أو سلمى بنت صخر بن عامر بن كعب بن سعد بن تيم
أبن مره ••

كنيته :

عبد الله بن عثمان بن عامر بن كعب بن سعد بن تيم بن مرة
ابن كعب بن لؤي بن غالب بن فهر بن مالك

أخواه :

معتق وعتيق

نساءه :

تزوج في الجاهلية :

قتيلة ابنة عبد العزى بن عبد بن أسعد بن جابر بن مالك بن
حسل بن عامر بن لؤي

وتزوج أيضا في الجاهلية :

أم رومان بنت عامر بن عميرة بن ذهل بن دهمان بن الحارث
ابن غنم بن مالك بن كنانة •

وقال بعضهم هي :

•• أم رومان بنت عامر بن عويمر بن عبد شمس بن عقاب بن أذينة
ابن سبيع بن دهمان بن الحارث بن غنم بن مالك بن كنانة ••

وتزوج في الإسلام :

أسماء بنت عميس ... وكانت قبله زوجة الجعفر بن أبي طالب ...
وهي أسماء بنت عميس بن معد بن تيم بن الحارث بن كعب بن مالك

ابن قحافة بن عامر بن ربيعة بن عامر بن مالك بن نسر بن وهب الله
ابن شهران بن عفرس بن حلف بن أقتل - وهو خشع . . .

ونزوج أيضا في الاسلام :

حبيبة بنت خارجة بن زيد بن أبي زهير من بنى الحارث من
الخزرج .

أولاده :

عبد الله وأسماء : من زوجته الأولى قتيلة

عبد الرحمن وعائشة : من زوجته الثانية أم رومان

محمد : من زوجته الثالثة أسماء

أم كلثوم : من زوجته الرابعة حبيبة وكانت حاملا حين توفي
أبو بكر فولدت أم كلثوم بعد وفاته . . .

وصفه :

وصفته أم المؤمنين عائشة رضي الله عنها فقالت :

رجل أبيض نحيف خفيف العارضين أجناً^(٢) لا يستمسك أزاره
يسترخى عن حقويه^(٣) معروق^(٤) الوجه ، غائر العينين ، شاتيء
الجبهة عارى الأشجاع^(٥) . . .

ووصفه آخر وهو على بن محمد فقال :

انه كان أبيض يخالطه صفرة ، حسن القامة نحيفا أجناً ، رقيقا

(٢) الأجناً : الاحدب .

(٣) المعروق : الخصر .

(٤) المعروق : القليل اللحم .

(٥) الأشجاع : أصول الأصابع التي تتصل بعصب ظاهر الكف .

عتيقاً أقتنى ، معزوق الوجه ، عاتر العينين ، حمش الساقين (٦) ،
محموض الفخذين ، يخضب بالحناء والكتم . . .

اختصاصه في الجاهلية :

كان لكل من القبائل المقيمة بمكة اختصاص فكانت الدييات
والمغارم أحد هذه الاختصاصات وقد آل أمر الدييات في الجاهلية إلى
أبي بكر حين اشتد ساعده فتولى الزعامة في قبيلته ، لذلك كان إذا
أحتمل شيئاً منها فسأل قريشاً صدقوه وأمضوا حمالة من نهض
معه وإن أحتملها غيره خذلوه (٧) . . .

مهنته :

يقول ابن هشام :

كان أبو بكر رجلاً مؤلفاً لقومه ، محبوباً سهلاً ، وكان أنسب
قريش لقريش ، وأعلم قريش بها وبما كان فيها من خير وشر ،
وكان رجلاً تاجراً ذا خلق ومعروف ، وكان قومه يحبونه لأكثر من
واحدة : لعلمه وتجارته وحسن مجالسته ، لذلك نجحت تجارته
نجاحاً كبيراً ، وبلغ مدخره من المال قبل الإسلام أربعين ألف
درهم (٨) . . .

صفاته :

— وصف رسول الله صلى الله عليه وسلم أبابكر رضى الله عنه
بالبين . . .

فقد استطلع رسول الله صلى الله عليه وسلم رأى أبى بكر
وعمر وعبد الله بن رواحه رضى الله عنهم في كيفية معاملة أسرى
بدر . . .

(٦) حمش الساقين : دقيقها .

(٧) الصديق أبو بكر — محمد حسين هيكل — ص ٢٧ .

(٨) هذا وصف ابن هشام صاحب السيرة — المرجع السابق ص ٩٢ .

فقال أبو بكر : يا رسول الله هؤلاء بنو العم والعشيرة والأخوان
وهم قومك وأهلك ، أرى أن تأخذ منهم القدية فيكون ما أخذنا منهم
قوة وعسى الله أن يهديهم فيكونون لنا عضداً ٠٠

فقال رسول الله صلى الله عليه وسلم : ماترى يا ابن الخطاب ؟
فقال عمر : يا رسول الله كذبوك وأخرجوك ، وهم صناديد
الكفار وقادتهم فأرى أن تضرب أعناقهم ٠٠

وقال عبد الله بن رواحة : يا رسول الله انظر واديا كثير الحطب
فادخلهم فيه ثم أحرقه عليهم نارا ٠

فسكت رسول الله صلى الله عليه وسلم ولم يجبههم ثم دخل ،
فقال ناس : ياخذ بقول أبي بكر ٠٠

وقال ناس : ياخذ بقول عمر ٠٠

وقال ناس : ياخذ بقول عبد الله بن رواحة ٠٠

ثم خرج فقال : ان الله عز وجل ليلين قلوب رجال فيه حتى
تكون ألين من اللين ، وان الله ليشدد قلوب رجال فيه حتى تكون
أشد من الحجارة ، وان مثلك يا أبا بكر مثل إبراهيم قال (فمن
تبعني فإنه منى ومن عصانى فأنك فقور رحيم) (إبراهيم/من ٣٦) ٠

ومثلك يا عمر مثل نوح قال : (رب لا تذر على الأرض من
الكافرين دياراً) (نوح/من ٢٦) ٠

ومثلك يا ابن رواحة كمثّل موسى قال : (ربنا اطمس على
أموالهم واشدد على قلوبهم فلا يؤمنوا حتى يروا العذاب الأليم)
(سورة يونس/من ٨٨) ٠

ثم قال رسول الله صلى الله عليه وسلم : أنتم اليوم عائلة
فلا يقلتن أحد منكم الا ببذاءة أي ضرب عنق فلما كان الغد أنزل الله
عز وجل : (ما كان لذي أن يكون له أسرى حتى يثخن في الأرض
تريدون عرض الدنيا ، والله يريد الآخرة والله عزيز حكيم ، أولا

كتاب من الله سبق لمسكم فيما أخذتم عذاب عظيم (الانفال/ ٦٧ ، ٦٨)

وتأكد لين أبي بكر رضى الله عنه حينما استشار الرسول صلى الله عليه وسلم المسلمين حينما اجتمعت قريش لصدده وحصد المسلمين عن البيت . .

فنادى بالناس : « أشيروا أيها الناس على . أترون أن أميل الى عيالهم وذرائى هؤلاء الذين يريدون أن يصدونا عن البيت ، فإن غاثونا كان الله قد قطع علينا من المشركين ، والا تركناهم محروبين ؟ »

فقال أبو بكر : « يا رسول الله ، خرجت عامدا لهذا البيت ، لا تريد قتال أحد ولا حربا فتوجه له فمن صدنا قاتلناه »

فقد رأى الصديق الاقتصار على قتال من صد المسلمين عن البيت الحرار وعدم قتال من لم يصدده .

ومما يدل على أن اللين طيع من طباع الصديق وصفة من صفاته ، أنه لما خرج مرة عن صفة اللين ندم وهو في مرض الموت على ما فعل .

ففي خلافته جاءه الفجاءة أو اياس بن عبد ياليل وطلب منه السلاح لقتال المرتدين ، فاعطاه السلاح ، فأخذه واستخدمه في قطع الطريق والافساد في الأرض وقتل من صادفه من المسلمين أو المرتدين ، وتفاقم شره وعظم ظلمه ، فكذب على الخليفة وخدعه وقتل المسلمين بسلاح الخليفة ، فلما وقع في الأسر وجيء به الى الخليفة فأمر به أن يلقي في نار توقد له في مصلى البقيع . .

وفي مرض موته كان مما قاله رضى الله عنه « انى لا آسى على شيء من الدنيا الا على ثلاث فعلتھن وددت أنى تركتھن . . » ومن هذه الثلاث ود أنه لم يحرق الفجاءة المسلمى (٩) وأنه كان قتله سريحا (١٠) أو خلاله نجيجا . .

(٩) الطبرى جزء ٣ - مرجع سابق - ص ٢٣٠ .

(١٠) السريج : السهل أو العجلة .

هذا ويقول الله جل وعلا في جزاء من يفسدون في الأرض ٠٠

« إنما جزاء الذين يخاربون الله ورسوله ويسعون في الأرض فسادا أن يقتلوا أو يصلبوا أو تقطع أيديهم وأرجلهم من خلاف أو ينفقوا من الأرض ذلك لهم خزي في الدنيا ولهم في الآخرة عذاب عظيم » (المائدة/ ٣٣) ٠٠

– وصف الرسول صلى الله عليه وسلم الصديق رضى الله عنه أنه يأخذ بالحزم ٠٠

فمن المعروف أن صلاة الوتر تقضى من بعد العشاء الى ما قبل الفجر وهي سنة واجبة ٠٠

فقد سأل رسول الله صلى الله عليه وسلم أبا بكر : متى توتر ؟

قال أبو بكر رضى الله عنه : من أول الليل ٠٠

وسأل رسول الله صلى الله عليه وسلم عمر بن الخطاب : متى توتر ؟

فقال عمر رضى الله عنه : من آخر الليل ٠٠

فقال رسول الله صلى الله عليه وسلم لأبى بكر : أخذت بالحزم :

وقال رسول الله صلى الله عليه وسلم لعمر : أخذت بالحزم (١١) .

وقد بان حزمه في أمر الدين في مذاقشة بينه وبين ابنه عبد الرحمن عن ما وقع ببدر وكان ابنه لم يسلم بعد وحارب مع المشركين ضد المسلمين ٠٠

فلما أسلم قال عبد الرحمن لأبيه : لقد أهدفت لى يوم بدر فضدت عنك – أى عادات عنك – ولم أقتلك ٠٠

فقال له أبو بكر : لكنك لو أهدفت لى (أى صرت لى هدفا) لم أضف عنك (١٢) .

(١١) عتيقة الصديق – مرجع سابق – ص ١٢٠ .

(١٢) المرجع السابق ص ٥٢ .

وسيبين فيما بعد أن أبا بكر أخذ بالحزم في شريعة عالمية أساسية من شرائع الإسلام حينما أصر حازما على معارضة المرتدين عن أدائها بالرغم من رأى بعض الصحابة بعدم حربهم خشية تفكك الدولة ..

— وصف الرسول صلى الله عليه وسلم أبا بكر الصديق بأنه من ذوي الفضل فقد كان الرسول صلى الله عليه وسلم يوما بالمسجد وحوله أصحابه فاقبل على بن أبي طالب فوقف وسلم ثم نظر مجلسا فالتفت عليه الصلاة والسلام يرى أيهم يوسع له

وكان أبو بكر على يمين رسول الله صلى الله عليه وسلم فأسرع وتزحزح عن مجلسه وهو يقول : هاهنا يا أبا الحسن !

فبدأ السرور في وجه النبي صلى الله عليه وسلم وقال : يا أبا بكر ، « انما يعرف الفضل لأهل الفضل ذوو الفضل »

— ومن صفات أبي بكر الصديق رضي الله عنه كتمانته للأسرار خصوصا أسرار رسول الله صلى الله عليه وسلم فقد حدث أن تأييمت حفصة بنت عمر بن الخطاب رضي الله عنه فعرضها على عثمان بن عفان رضي الله عنه ليتزوجها .

فقال عثمان : سأنظر في أمري

وبعد أيام لقي عمر وأخبره انه لا يريد الزواج في ذلك الوقت فعرضها عمر على أبي بكر رضي الله عنه ، فلم يرجع أبو بكر الى عمر بالرأى

ثم خطبها رسول الله صلى الله عليه وسلم ..

وبعدها لقي أبو بكر عمر فقال له : لقد وجدت على حين عرضت على حفصة فلم أرجع اليك شيئا ..

قال عمر رضي الله عنه : نعم

قال أبو بكر رضي الله عنه : لم يمنعني أن أرجع اليك فيما عرضت على إلا أنني كنت علمت أن رسول الله صلى الله عليه وسلم

قد ذكرها ، فلم أكن لأنشى بسر رسول الله ولو تركها رسول الله قيلتها (١٣) .

— هم أبو بكر الصديق رضى الله عنه بعد اسلامه أن يهجر مكة الى الحبشة ، فلقبه ابن الدغنة فأجاره لدى ثريش وعدد بعض مكارم أبى بكر رضى الله عنه فقال :

« أتخرجون رجلا يكسب المعدوم ويصل الرحم ويحمل الكل ويقري الضيف ويعين على نوائب الحق » (١٤) .

وقد تأكدت بعض هذه المكارم في حديث بين رسول الله صلى الله عليه وسلم وبعض أصحابه فكان من عادته عليه الصلاة والسلام أن يسأل أصحابه حيناً بعد حين عما قدموه من الخيرات فصلى الصبح ذات يوم فلما قضى صلاته سأل : أيكم أصبح اليوم صائماً ؟ قال عمر : أما أنا يا رسول الله فقد بت لا أحدث نفسي بالصوم وأصبحت مفطراً .

وقال أبو بكر : أنا يا رسول الله ، بت الليلة وأنا أحدث نفسي بالصوم ، فأصبحت صائماً .

ثم سأل النبي صلى الله عليه وسلم : أيكم اليوم عاد مريضاً ؟ فقال عمر : إنما صليتنا الساعة ولم نبرح ، فكيف نعود المريض ؟

وقال أبو بكر : أنا يا رسول الله ، أخبروني أن أخى عبد الرحمن ابن عوف مريض ووجع فجعلت طريقى عليه ، فسألت عنه ، ثم أتيت المسجد .

ثم سأل النبي : فأيكم تصدق اليوم بمسقة ؟

قال عمر . يا رسول الله ، ما برحنا منك منذ صليتنا فكيف نتصدق ؟

(١٣) الرجوع السابق ص ٧٣ .

(١٤) الرجوع السابق ص ٤٢ .

وقال أبو بكر : أنا يارسول الله ، دخلت المسجد ، فإذا سائل يسأل وأين لعبد الرحمن بن أبي بكر معه كسيرة خبز ، فأخذتها فأعطيتها السائل .

فقال النبي : فأبشر بالجنة . أبشر بالجنة .

وفي ذلك يقول عمر بن الخطاب رضي الله عنه : ما سابت أبا بكر إلى خير قط إلا سبقني إليه .

ولعله مما يتصل بهذا النوع من مكارم الأخلاق التي تمتد إلى رعاية الغير أنه كان قبل أن يتولى الخلافة تعود أن يساعد الضعفاء فكان يحلب لهم أغنامهم كرما منه ورفقا بهم وكان يقيم بالسنح على مقربة من المدينة .

ولما بويح بالخلافة سمع جارية تقول : اليوم لا تحلب لنا .

فسمعها فقال : بلى لعمري لأحلبنها لكم

فكان وهو خليفة يحلبها .

— كان الصديق يبغض الخيلاء فقد خشى على نفسه أن يكون به خيلاء فسأل رسول الله صلى الله عليه وسلم فنفاها عنه ،

نحن عبد الله بن عمر رضي الله عنهما قال :

قال رسول الله صلى الله عليه وسلم :

« من جر ثوبه خيلاء لم ينظر الله إليه يوم القيامة »

فقال أبو بكر : إن أحد شقي ثوبي يسترخي إلا أن اتعاهد ذلك منه .

فقال رسول الله صلى الله عليه وسلم :

« أنك لست تصنع ذلك خيلاء » (١٥) .

— وكان معلم أبي بكر من حلال وكان يشتد في التأكد من ذلك

(١٥) البخارى جزء ٦ ص ٨٤ طبعة المجلس الاعلى للشئون الاسلامية .

ليرضى ضميره فكان له مملوك يقل عليه ، فأثاء ليلة بطعام فتناول
 هذه لقمة ٠٠

قال المملوك : ما لك كنت تسألني كل ليلة ولم تسألني الليلة ؟

قال : حملني على ذلك الجوع ٠٠ من أين جئت بهذا ؟

فأنبأه المملوك أنه مر بقوم كان يرقى لهم في الجاهلية فوعده ،
 فلما أن كان ذلك اليوم مر بهم فأذا عرس لهم فأعطوه ذلك الطعام ٠

قال الصديق : ان كدت لتهلكني ٠٠

وأدخل يده فى حلقه فجعل يتقيأ - وجعلت اللقمة لا تخرج -

فقال له : ان هذه لا تخرج الا بالماء ٠٠

فدعا بطست من ماء فجعل يشرب ويتقيأ حتى رمى بها ٠

فقال له : يرحمك الله ! كل هذا من أجل لقمة ؟

فقال : لو لم تخرج الا مع نفسي لأخرجتها (١٦) ٠

- وكما كان الصديق كاتما للأسرار كان موفيا للوعد ،
 فقد خطب رسول الله صلى الله عليه وسلم ابنته عائشة حين ذكرتها
 له خولة بنت حكيم ٠ وكان المطعم بن عدى قد خطبها من أبى بكر
 قبل ذلك لابنه ٠٠

فقال أبو بكر لزوجته أم رومان : ان المطعم بن عدى قد كان
 نكحها على ابنه والله ما أخلف أبو بكر وعدا قط ٠٠

ثم أتى أبو بكر مطعما ومعه امرأته فسأله : ما تقول فى أمر هذه
 الجارية ؟

فأقبل مطعم على امرأته وسألها : ما تقولين ؟

فأقبلت على أبى بكر وقالت : لعننا ان أنكحنا هذا الصبى اليك
 تصبته وتدخله فى دينك الذى أنت عليه ٠٠

(١٦) عبقرية الصديق - مرجع سابق - ص ٤٧ ٠

فلم يجيبها أبو بكر وسأل المطعم بن عدي : ماتقول أنت ؟
فقال مطعم : انها تقول ما تسمع (١٧)

فلما رأى أبو بكر رضى الله عنه أن الزوج والزوجة تحللا من
خطبتهما لعائشة بما يخشيانه على ابنهما من أن يدخله أبو بكر
الاسلام ، تحلل أبو بكر عند ذلك من وعده ، ولم يتحلل منه قيل ذلك
على ما فى نسب الرسول من شرف لا يعلوه شرف ، وما فى قلبه من
محبة لا تفوقها محبة .

ـ كان أبو بكر رضى الله عنه عالما بالنسب العرب (١٨) ،
ويعرف محامد ومثالب القبائل العربية ، وكان يساعد النبى صلى
الله عليه وسلم فى التعرف على القبائل ودعوتهم للاسلام ، ويوضح
على بن أبى طالب رضى الله عنه ذلك ، فيذكر نموذجا لمناقشة جرت
بين أبى بكر واحدى القبائل فى أول الدعوة الاسلاميه حينما كان
رسول الله صلى الله عليه وسلم يعرض نفسه على القبائل .

فيقول على بن أبى طالب رضى الله عنه :

« فرفعنا الى مجلس من مجالس العرب ، فتقدم أبو بكر فسلم ،
وكان مقدما فى كل خير ، وكان رجلا نسابه . »

فقال (أبو بكر) : ممن القوم ؟

قالوا : من ربيعة ؟

قال : وأى ربيعة أنتم ؟ أمن هاماتها أو من لهازمها ؟

قالوا : من هامتها العظمى ؟

قال : وأى هامتها العظمى أنتم ؟

قالوا : من نهل الأكبر . .

(١٧) المرجع السابق ص ٤٤ .

(١٨) الطبرى جزء ٣ - مرجع سابق - ص ٤٢٧ .

قال : فمنكم عوف بن محلم الذى يقال فيه لا حسر بوادى عوف ؟

قالوا : لا . .

قال : فمنكم المزدلف البحر صاحب العمامة الفردة ؟

قالوا : لا . .

قال : فمنكم بسطام بن تيس بن القري ومنتهى الأحياء ؟

قالوا : لا . .

قال : فمنكم جساس بن مرة حامى الذمار ومانع الجار

قالوا : لا . .

قال : فمنكم الحوفزان قاتل الملوك وسالب أنفسها ؟

قالوا : لا . .

قال : فمنكم أصهار الملوك فى كنده ؟

قالوا : لا . .

قال : فمنكم أصهار الملوك من لخم ؟

قالوا : لا . .

قال أبو بكر : فليستم ذهلا الأكبر ، انما أنتم ذهل الأصغر

وقد اشتهر بهذا النوع من العلم ، حتى أن المشركين كانوا ينسبون اليه تلقين شعراء المسلمين فى ردهم على ما جاء بهجاء شعراء المشركين (١٩) .

— وكان بأبى بكر رضى الله عنه حدة وكان يعلم ذلك ، ويحاول أن يغالبها وأعلن عنها فى خطبة له بعد مبايعته فقال :

(١٩) حبقرية الصديق — مرجع سابق ص ١٨٦ .

(٠٠٠ اعلموا ان لى شيطاننا يعترينى ، فاذا رأيتمونى غضبت
عاجتنبونى ٠٠) (٢٠)

ويوم السقيفة رغب عمر بن الخطاب أن يتكلم قبل أبى بكر
بيدارى منه بعض الحدة

فقال « وكنت أدارى منه بعض الحد - أى الحدة » (٢١) .

ومن مظاهر حدته ، أن كان يوما بين رسول الله صلى الله
عليه وسلم وعائشة رضى الله عنها كلام ٠٠

فسألها رسول الله صلى الله عليه وسلم : من ترضين أن يكون
بينى وبينك ؟ أترضين بأبى عبيدة بن الجراح ؟

قالت : ذلك رجل هين لدين يقضى لك

قال : أترضين بأبيك

قالت : نعم

فلما جاء أبو بكر قال رسول الله صلى الله عليه وسلم :
أقصصى ٠٠

فأقلت : بل أقصص، أنت

فأخذ رسول الله صلى الله عليه وسلم فى إعادة ماجرى بينهما
من كلام ٠٠

وبدرت من عائشة كلمة لا تعنيها فقالت : أقصد (أى التزم
القصد ولا تزدد فى الرواية) ٠٠

فرفع أبو بكر يده فلامها وانتهرها مغضبا .

وقال (أبو بكر) : تقولين يابنت أم رومان : أقصد ! من
يقصد اذا لم يقصد رسول الله .

(٢٠) المرجع السابق ص ٤٢

(٢١) المرجع السابق ص ٤٢

• وجعل الدم يسيل من أنفها ورسول الله يحجز بينهما •

ويقول لأبى بكر : انا لم نرد هذا

فلما أنصرف أبو بكر قال رسول الله صلى الله عليه وسلم
لعائشة ما معناه • رأيت كيف أبعدك الله منه ! (٢٢) ••

على أن حدة الصديق كانت تقوده أحيانا للدفاع المتحمس
عن دين الله والرد على جحود الكافرين ، ويبين ذلك مما يلي :

قال محمد بن اسحاق عن عكرمة أنه حدثه عن ابن عباس قال :

دخل أبو بكر الصديق بيت المدراس فوجد من يهود ناسا كثيرة
قد اجتمعوا على رجل منهم يقال له فنحاص وكان من علمائهم
وأخبارهم ومعه خبر يقال له أشبع ••

فقال له أبو بكر : ويحك يا فنحاص اتق الله واسلم ، والله أنك
لتعلم أن محمدا رسول من عند الله قد جاءكم بالحق من عنده ،
تجدونه مكتوبا عندكم في التوراة والانجيل ••

فقال فنحاص : والله يا أبا بكر ما بنا الى الله من حاجة الى
من نفر ، والله الينا لفقر ، ما نتضرع اليه كما يتضرع الينا ، وانا
عنه لا غنى ، ولو كان هذا غنيا ما استقرض منا كما يزعم صاحبكم.
ينهاكم عن الربا ولو كان غنيا ما أعطانا الربا ••

فغضب أبو بكر رضى الله عنه فضرب وجه فنحاص ضربا
شديدا ••

وقال : والذي نفسى بيده لولا الذى بيننا وبينك من العهد
لضربت عنقك يا عدو الله فأكذبونا ما استطعتم أن كنتم صادقين •

فذهب فنحاص الى رسول الله صلى الله عليه وسلم

فقال فنحاص : يا محمد أبصر ما صنع فى صاحبك ؟

(٢٢) المرجع السابق ص ١٩٢ •

فقال رسول الله صلى الله عليه وسلم : ما حمالك على ما صنعت يا أبا بكر

فقال أبو بكر : يا رسول الله ان عدو الله قال قولا عظيما ، يزعم ان الله فقير وأنهم عنه أغنياء ، فلما قال ذلك غضبت لله مما قال فضربت وجهه ..

فجحد فنخاص ذلك وقال : ما قلت ذلك ..

فنزلت آية « لقد سمع الله قول الذين قالوا ان الله فقير ونحن أغنياء سنكتب ما قالوا وقتلهم الانبياء بغير حق ونقول ذوقوا عذاب الحريق ، ذلك بما قدمت أيديكم ، وأن الله ليس بظلام للعبيد » (٢٣) (آل عمران / ١٨١ ، ١٨٢)

ولقد أعطى رسول الله صلى الله عليه وسلم أبا بكر رضى الله عنه درسا يعالج به دوافع الحدة فى نفسه ..

فبينما رسول الله صلى الله عليه وسلم جالس ومعه أصحابه وقع رجل بأبى بكر غآذاه ، فصمت عنه ، ثم آذاه الثانية فصمت عنه ، ثم آذاه الثالثة فانتصر منه ..

فقام رسول الله صلى الله عليه وسلم حين انتصر أبو بكر .

فقال : أوجدت على يا رسول الله !

فقال رسول الله صلى الله عليه وسلم : نزل ملك من السماء يكذبه بما قال ، فلما انتصرت وقع (٢٤) الشيطان .

جماع صفات الصديق :

مما سبق يتضح أن أبا بكر رضى الله عنه اتصف بالصفات التالية بالاضافة الى مناقبه ..

(٢٣) وود فى مختصر تفسير ابن كثير جزء ١ - اختصار وتحقيق -

محمد على الصاوى .

(٢٤) عقربة الصديق - مرجع سابق - ص ٤٧ .

- لين مادام اللين يعالج الأمور
- حازم في أداء الواجبات
- من ذوى الفضل يعرف الفضل لأهل الفضل
- معوان للضعفاء والبدؤساء
- متواضع يكره الخيلاء
- يتحرى الحلال ويمج الحرام
- عالم بالانساب
- له حدة يعمل على ترويضها ٠٠

بعض صفات أبى بكر كانت ضرورية لتجاح قيادة المالية العامة المهتزة :

أوضحنا أن رسول الله صلى الله عليه وسلم وصف أبى بكر الصديق رضى الله عنه بأنه يأخذ بالحزم ، وكان الحزم صفة ضرورية لمن يتولى أمور الأمة وإدارة مالياتها العامة بعد وفاة رسول الله صلى الله عليه وسلم ، فقد أوشك أحد أركانها كما رأينا - وهو الزكاة - أن يسقط نتيجة رغبة بعض القبائل في عدم أدائها وسنرى أنهم أعلنوا الخليفة بذلك جهرا وهم متجمعون • بل وصل الأمر ليزحفوا على عاصمة الدولة الإسلامية وقتئذ وهى المدينة لفرض طلباتهم بالقوة ، فلا يرغم الممتنعين ولا يردهم الى الطاعة الا بسياسة حازمة من رئيس دواة حازم يتخذ كل الاجراءات الكفيلة بتدقيق أموال الزكاة للدولة لتنفق منها على مصارفها المحددة بالقرآن ، وتحمى حقوق الطبقات الضعيفة من الفقراء والمساكين التى استحدثت في أموال أغنياء أرادوا أن يضيعوها نتيجة حبهم المال حبا جما ولو أدى ذلك الى اهدار ركن من أركان الاسلام •

ومما اتصف به أبو بكر رضى الله عنه أنه يكسب المعدوم ويصل الكل ويعين على نوائب الحق ويعود المرضى وهى مهام من مهام السياسة المالية العامة العادلة • فالدولة تفرض القرائض

والضرائب على القادرين وتحصلها وتوجهها لصالح المعدومين والضعفاء ، اما على هيئة خدمات عامة مجانية تؤدي لهم أو في صورة معاشات وأمانات نقدية تدفعها لهم . وزكاة الأموال تقوم بطبيعتها بهذه الوظائف ، فمن أموالها ما يعود على الفقراء والمساكين ومن أموالها ما يعين على نوائب الأيام كأموال الزكاة التي توجه لمنح الحرية للعبيد والأسرى ولفك أزمة الفارين . وإذا لم تكف أموال الزكاة لتغطية وظائفها الاجتماعية ، جاز للخليفة وولي الأمر أن يفرض قرائض أخرى ويوجه أموالا عامة أخرى لكفالة حقوق هذه الطبقات الضعيفة وكفالة ضرورات الحياة لهم .

فعن ابن عمر رضي الله عنهما قال :

قال رسول الله صلى الله عليه وسلم :

« كلكم راع وكلكم مسئول عن رعيته ، فالأمير الذي على الناس راع عليهم وهو مسئول عنهم ، والرجل راع على أهل بيته ، وهو مسئول عنهم ، وامرأة الرجل راعية على بيت زوجها وولدها ، وهي مسئولة عنهم ، وعبد الرجل راع على مال سيده وهو مسئول عنه ، ألا فكلكم راع ، وكلكم مسئول عن رعيته » (٢٦) .

واتصاف أبي بكر الصديق رضي الله عنه بهذه الصفات الحاذية على الضعفاء يوجهه نحو العمل بكافة الوسائل لاعادة حقوقهم في أموال بعض الأغنياء التي ضاعت بامتناع الأخيرين عن أداء الزكاة المفروضة وتمكنه من أداء أمور الرعاية العامة التي هي من مسئولية الأمير على الناس والمنوّه عنها بحديث رسول الله صلى الله عليه وسلم .

.. واتصاف أبو بكر رضي الله عنه كذلك بتحرى الحلال عموما وبخصوصا في مطعمه ، وهي صفة تقود من يتولون أمور الدول وأمر مالياتها العامة الى التنزه عن النيل من المال العام بطرق مباشرة أو غير مباشرة ، وتوجيههم الى التعفف عن أية مزايا أو منافع أو

عوائد تأتيهم بغير حق من بيت مال المسلمين . وكانت هذه الصفة
 ضرورية فيمن يتولى أمر الدولة بعد رسول الله صلى الله عليه وسلم
 الذى أمر بمبادئ طهارة الأموال العامة والخاصة ، حتى يمتد عهد
 الطهارة الذى اتسمت به الدولة في عهد الرسول صلى الله عليه
 وسلم ، وحتى تظل تعاليمه المستمدة من القرآن الكريم وخلقه العظيم
 والنسب تغلف المال العام ومعاملاته بالطهارة ، سارية بعد وفاته .

وإذا كان رئيس الدولة يتحرى الحلال في المال العام ، كان
 قدوة طيبة وصاحب سنة حسنة يقتدى بهما العاملون بالدولة ،
 وتنتشر بهما الرعية ، فتستقيم أمور المال العام وعملياته بين الحكام
 والمحكومين . .

الباب الثاني

الدولة الاسلامية
وسمات سياستها المالية
في عهد الصديق

الفصل الأول

نظام الدولة الإسلامية في عهد الصديق

ارتباط سياسة المالية العامة بالدولة :

سياسة المالية العامة كباقي السياسات العامة ترتبط وتتبع من طبيعة نظام الدولة التي تدبناها ، لذلك ينبغي التعرف على طبيعة نظام الدولة في عهد الصديق قبل مناقشة السياسة المالية في عهده ، وسنناقش ذلك النظام في ضوء المفاهيم الحديثة •

سلطات الدولة في خلافة الصديق(١) :

كان نظام الدولة الإسلامية في عهد الصديق رضى الله عنه يقوم على السلطات التالية :

— رئيس للدولة •

(١) انظر هذا الموضوع بصفة عامة في « ملكرات في نظام الحكم والادارة في الدولة الإسلامية للمستشار عمر الشريف — طبعة معهد الدراسات الإسلامية ص ٣٨ وما بعدها •

- السلطة التشريعية •
- السلطة التنفيذية •
- السلطة القضائية •

الخلافة رئيس الدولة الإسلامية :

الخلافة يخلف النبي صلى الله عليه وسلم في حراسة الدين وسياسة الدنيا ، وهو يجمع بين رئاسة الدولة والحكومة أى السلطة التنفيذية في المفهوم الدستوري الحديث ، فيخضع الوزراء خضوعاً تاماً له وحده ، وله الحق المطلق في اختيارهم وفي عزلهم ، وعموماً فهو نظام ترجح فيه كفة رئيس الدولة في ميزان السلطات •

والخلافة يمارس سلطته بحكم مسؤوليته عن الرعاية أمام الله والناس ، ويتناول نظير عمله أجراً من بيت المال •

السلطة التنفيذية للدولة في عهد الصديق :

هذا ولا يستطيع الخليفة ممارسة شئون الحكم وحده ، بل يتجتم عليه الاستعانة بغيره ، ويقوم معاونون بعملهم بمقتضى التفويض من الخليفة اليهم نظير أجر تؤدى لهم من بيت مال المسلمين وتتكون السلطة التنفيذية من هؤلاء معاونين ، فيزاولون القيام بالأنشطة العامة التي يمول بيت مال المسلمين حاجتها للتمويل ، وهذه الأنشطة تكون عادة كما يلي :

- حفظ الدين على أصوله المستقرة في القرآن والسنة وتعليم ونشر مبادئه ••

- الجهاد في سبيل الله بالدفاع عن الأمة الإسلامية والدعوة للإسلام بالمعاني السلمية •

- حماية الأموال والزكوات وصرفها في مصارفها الشرعية •

- إقامة شعائر الدين بإقامة المساجد للصلاة وتعيين من

يلزمها من الأئمة والعاملين وتيسير الحج وضمان أداء المسلمين
لصوم رمضان .

— إدارة الأمور العامة للأمة .

— الدفاع عن الدولة في مواجهة الأعداء بإعداد الجيش
وتحصين الثغور .

— المحافظة على الأمن والنظام العام في الدولة .

— الاشراف على إقامة العدل بين الناس

— الاشراف على الإدارة المالية لضمان تحصيل حقوق بيت
المال بالعدل وانفاق الأموال في مصارفها .

— ويختار الخليفة عماله على الأسس السليمة وأعلى درجة
من الصلاحية (٢) .

تدرج الاختصاصات العامة في عهد أبي بكر :

وفي عهد أبي بكر الصديق رضي الله عنه كانت الاختصاصات
تتدرج على النحو التالي بين معاوني الخليفة .

— معاونون لهم اختصاصات تقارب اختصاصات الوزراء من
أمثال أبي عبيدة الجراح وعمر بن الخطاب ، فلما تولى أبو بكر
الخلافة ، قال له أبو عبيدة : أنا أكفيك المال ، وقال عمر : أنا أكفيك
القضاء ، وكان يكتب له زيد بن ثابت ويكتب له الأخبار عثمان بن
عفان رضي الله عنه ، وكان يكتب له من حضر (٣) .

— معاونون لهم اختصاصات عامة محصورة في نطاق اقليل

(٢) المرجع السابق ص ٥٣ ، ٥٤ ، ٥٥ نقلا من الأحكام السلطانية

للماوردي ،

(٣) الطبري جزء ٣ - مرجع سابق - ص ٤٢٦ .

معين وهم ولاية الآقالميم والبلدان وكانوا في عهد أبي بكر الصديق
رضى الله عنه هم :

عتاب بن أسيد : على مكة

عثمان أبي العاصي : على الطائف

المهاجر بن أبي أمية : على صنعاء

زياد بن لبيد : على حضر موت

يعلى بن أمية : على خولان

أبو موسى الأشعري : على زبيد ورمع

معاذ بن جبل : على الجند

العلاء بن الحضرمي : على البحرين

وبعث جرير بن عبد الله : الى نجران

وبعث عبد الله بن ثور أخذ بنى الغوث : الى ناحية جرش

وبعث عياض بن غنم الفهري : الى دومة الجندل(٤)

- معاونون لهم ولاية خاصة في اعمال عامة كقواد الجيوش، وفي
عهد أبي بكر الصديق كان بالشام مثلاً أبو عبيدة وشريحيل بن حسنة
وزيد بن أبي سفيان وعمر بن العاص كل رجل منهم على جند وعليهم
خالد بن الوليد(٥) .

- معاونون ذو اختصاص محدود في عمل كقاضي البلد أو
المصدق جامع الصدقات . على أن الفصل التام بين هذه
الاختصاصات على أساس التقسيم السابق لم يكن كاملاً كما هو في
الدول الحديثة ، فلم تكن الدولة الإسلامية في عهد أبي بكر الصديق
متسعة الاتساع الذي بلغته في عهد عمر بن الخطاب رضي الله عنه

(٤ : ٥) المرجع السابق ص ٤٢٧ .

ومن بعده من الخلفاء الراشدين ، كانت مدة خلافة أبى بكر الصديق رضى الله عنه قصيرة كما سبق أن ذكرنا .

السلطة التشريعية للدولة الإسلامية في عهد الصديق :

السلطة التشريعية هي الجهة التي تملك عمل التشريع .

أصل التشريع الإسلامى من عند الله سبحانه وتعالى أنزل على رسوله في القرآن المجيد أو ألهمه الرسول صلى الله عليه وسلم ، فصدرت عنه سنة قولية وعملية أقره الله سبحانه وتعالى عليها ، ثم جاء المجتهدون من الصحابة والتابعين وغيرهم من الأئمة المجتهدين فاستنبطوا من نصوص القرآن والسنة تشريعا سنوه .

وبعد الرسول صلى الله عليه وسلم وفى خلافة أبى بكر تولى السلطة التشريعية أصحاب رسول الله صلى الله عليه وسلم ، فكانوا يوضحون للمسلمين تفسير القرآن والسنة وينشرون ما حفظوا من القرآن والسنة ويتصدون للفتوى فيما يجد من وقائع وقضايا . . فبذلك كان الصحابة هم رجال السلطة التشريعية .

ولم يكتسبوا سلطانهم من تعيين أو انتخاب وإنما كسبوها من صحبتهم لرسول الله صلى الله عليه وسلم وحفظهم للقرآن والسنة ومشارفتهم لأسباب التنزيل .

وبذلك كانت مصادر التشريع فى عهد أبى بكر الصديق هي القرآن والسنة واجتهاد الصحابة وكان رجال السلطة التشريعية فى خلافة أبى بكر يتولون سلطانهم التشريعية مجتمعين وما يصدر عنهم يعتبر حكما جماعتهم . .

ويدل على ذلك ما جاء عن البغوى فى مصابيح السنة فقد ورد به ما يلى :

« كان أبى بكر إذا ورد عليه الخصوم نظر فى كتاب الله ، فإن رجد فيه ما يقضى بينهم قضى به ، وإن لم يجد فى الكتاب وعلم من

رسول الله في ذلك الأمر سنة قضى بها ، فان أعياه خرج فسأل
المسلمين :

قال : أتاني كذا وكذا ، فهل علمتم أن رسول الله صلى الله
عليه وسلم قضى في ذلك بقضاء فربما اجتمع عليه نفر كلهم يذكر
عن رسول الله صلى الله عليه وسلم فيه قضاء .

فيقول أبو بكر : الحمد لله الذي جعل فينا من يحفظ عن نبينا

فان أعياه أن يجد فيه سنة عن رسول الله صلى الله عليه وسلم
جمع رؤوس الناس وخييارهم ، فان أجمع رأيهم على أمر قضى
به « (٦) » .

السلطة القضائية للدولة الإسلامية في عهد الصديق :

السلطة القضائية هي السلطة المختصة بتطبيق القانون على
المنازعات التي تعرض عليها . والقضاء ضرورة من ضرورات
المجتمع ، فالمجتمع مكون من أفراد ، والأفراد لهم من الغرائز
والرغبات ما يدعواهم الى التنازع ، لذلك كان لزاما أن يوجد القاضي
الذي يفصل في المنازعات ويلزم بالحق ويوقع الجزاء .

وفي الدولة الإسلامية كان رسول الله صلى الله عليه وسلم أول
القضاة وقد تولى القضاء بنفسه ، كما أنه عليه الصلاة والسلام
كان يعهد أحيانا بالقضاء لبعض أصحابه .

وفي عهد أبي بكر الصديق رضي الله عنه تولى القضاء كما
سبق أن ذكرنا عمر بن الخطاب رضي الله عنه فمكث سنة منذ خلافة
أبي بكر لم يخاصم اليه أحد (٧) .

(٦) مذكرات في نظام الحكم والادارة في الدولة الإسلامية للمستشار

عمر الشريف - مرجع سابق - ص ٧٨ ، ٧٩ .

(٧) القلبي جزء ٣ - مرجع سابق - ص ٤٢٦ .

ويروى أحد المتقاضيين^(٨) وقائع قضائية له في عهد أبي بكر الصديق رضي الله عنه فيقول :

عارمت^(٩) غلاما من أهلى فعرض أذننى فقطع منها

فرفع شأننا الى أبى بكر

فقال : اذهبوا بهما الى عمر فلينظر ، فان كان الجارح قد بلغ فليقد منه .

فلما انتهى بنا الى عمر رضي الله عنه .

قال : اعمرى لقد بلغ هذا ! أدعو لى حجاما

فلما ذكر الحجام

قال : أما انى سمعت النبى صلى الله عليه وسلم يقول : « قد أعطيت خالتي غلاما وأنا أرجو أن يبارك الله لهافيه وقد نهيتها أن تجعله حجاما أو قصابا أو صائغا »

فاقتص منه . (أى كان الحكم هو القصاص من الجانى)

صحابة رسول الله دعموا حكم الصديق والدولة الناشئة :

أوضحنا أنه كان للصديق الراى الأخير في مسائل الدولة ، ولكنه لم يكن وحده ، بل كان حوله رجال عاونوه في إدارة شئون الدولة معاونة مباشرة بقيامهم بمزاولة بعض أنشطتها العامة أو معاونة غير مباشرة بتقديم المشورة وإبداء الراى ، أو كانوا بماضيهم مع رسول الله صلى الله عليه وسلم معتبرين رقباء على أعمال الدولة ، وقد أهلهم جميعا للقيام بالمعاونة المباشرة وغير المباشرة في أمور الدولة ، أنهم كانوا من جماعة صحابة رسول الله صلى الله عليه وسلم ، تعلموا في مدرسته وتفقها في أمور الدين وتعاليم القرآن

(٨) الذى تقاضى هو ابن ماجدة الهى والقضية وردت في الطبرى

جزء ٣ - مرجع سابق - ص ٢٨٦ .

(٩) عارمت : أى خاصمت .

عن يديه، وعاصروا سنته ووعوها ، فصار منهم رواة الحديث وأهل الفتوى وفقهاء الدين والمجاهدون في سبيل الله .

وقد أنزل الله فيهم جل وعلا آيات منها :

« والسابقون الأولون من المهاجرين والأنصار والذين اتبعوهم بإحسان رضي الله عنهم ورضوا عنه وأعد لهم جنات تجري تحتها الأنهار خالدين فيها أبداً ذلك الفوز العظيم » (التوبة / ١٠٠)

وقال فيهم رسول الله صلى الله عليه وسلم :

« خير الناس قومي ثم الذين يلونهم ثم الذين يلونهم ثم يجيء قوم تسبق شهادة أحدهم يمينه ويمينه شهادته » (١٠) .

وقال عليه الصلاة والسلام :

« لا تسبوا أصحابي، فلو أن أحداكم أنفق مثل أحد ذهباً ما بلغ مد أحدهم ولا نصيفه » (١١) .

والمراد بالحديث أن السابقين الأولين من الصحابة لا يلحقهم من بعدهم في الفضل والثواب مهما بذلوا (١٢) .

ونوضح فيما يلي باختصار فضل البعض منهم وقدراتهم على تدعيم الدولة في عهد الصديقي :

عمر بن الخطاب :

أعز الله به الاسلام

شديد في الحق

من الملهمين

محدث الأمة

(١٠) البخاري جزء ٦ - مرجع سابق - ص ٧٥ .

(١١) المرجع السابق ص ٨٩ .

(١٢) المرجع السابق ص ٨٩ .

من المبشرين بالجنة

مالقيه الشيطان سالكا فجا قط الا سلك فجا غير فجه (١٣)

فهذه الصفات تجعله من الأكفاء المميزين القادرين على المشاركة في أمور الأمة في عهد الصديق .

عثمان بن عفان :

ذو النورين

حفر بماله بئر رومة

جهز بماله جيش العسرة

هاجر الهجرتين

سفير الرسول للمشركين يوم عمرة القضاء

من كتاب الوحي

بشره الرسول بالجنة

فوجوده بين الصحابة في عهد الصديق وكفافته يرشحانه ليكون سندا للدولة في أعمالها (١٤) .

(١٣) هذه المواصفات مقتبسة من مناقب عمر بن الخطاب التي تضمنتها

أحاديث الرسول صلى الله عليه وسلم وردت بجزء ٣ من البخارى - مرجع

سابق - في ص ٩٤ حتى ص ١٠٣ .

(١٤) مواصفات عثمان مقتبسة من أحاديث الرسول صلى الله عليه وسلم

عن مناقبه الواردة في البخارى - مرجع سابق - من ص ١٠٣ الى ص ١١٣

وبعض المراجع الأخرى .

على بن أبي طالب :

أول المسلمين من الصبيان (١٥)

الصديقون ثلاثة وهو أفضلهم (١٦)

الرسول مدينة العلم وعلى بابها (١٧)

قال له الرسول : أنت منى وأنا منك (١٨)

قال له الرسول في خيبر : ليأخذن الراية غدا رجلا يحبه الله
ورسوله ، وأعطاهما لعلي ففتح الله عليه (١٩) .

أعز الله به الاسلام

معلمه وكفاءته وقواد تفيد في المعارف في ادارة الدولة
الاسلامية في عهد الصديق . .

عبد الرحمن بن عوف :

أسلم قبل أن يدخل رسول الله دار الأرقم

هاجر الهجرتين

شهد بدرا والمشاهد كلها مع رسول الله صلى الله عليه وسلم

أحد العشرة المشهود لهم بالجنة

كان كثير المال كثير الصدقة

قال عنه رسول الله صلى الله عليه وسلم « عبد الرحمن بن
عوف أمين في السماء والأرض » (٢٠) .

(١٥ ، ١٦ ، ١٧) من كتاب مدرسة الرسول صلى الله عليه وسلم تأليف

عبد النعم حمادة ص ١٠٣ وما بعدها .

(١٨ ، ١٩ ، ٢٠) مقتسة من البخاري - مرجع سابق - ص ١١٣ ،

١١٤ ، ١١٥ .

فمن وصفه الرسول صلى الله عليه وسلم بالأمانة في السماء والأرض يكون أمينا على أمور الأمة وأموالها العامة وتتبعث رقابته من تقوى خالصة لوجه الله جل وعلا .

الزبير بين العوام :

حوارى النبی صلى الله عليه وسلم (٢١)

قال له رسول الله صلى الله عليه وسلم يوم الأحزاب لجهاده « فذاك أبى وأمى » (٢٢)

شهد المشاهد كلها مع رسول الله صلى الله عليه وسلم (٢٣) .
نذب الرسول أبا بكر والزبير يوم أحد لتعقب جيش قريش ومطاردته (٢٤) .

أبوذر الغفارى :

— من غفار ، كان اسلامه مبكرا ، وحين أسلم كان الرسول صلى الله عليه وسلم يهمس بالدعوة .

— بعد اسلامه عاد الى عشيرته ودعا الى الاسلام .

— بعد هجرة الرسول صلى الله عليه وسلم للمدينة جاء بقبيلته غفار وقبيلة أسلم للرسول وأفراد القبيلتين جميعا رجالا ونساء وصبيانا وأطفالا مسلمين .

فقال عليه الصلاة والسلام

« غفار غفر الله لها » « وأسلم سالها الله »

— قال عنه الرسول صلى الله عليه وسلم :

(٢١ ، ٢٢) البخارى - جزء ٦ - مرجع سابق ص ١٢٢ ، ١٢٣ .

(٢٣ ، ٢٤) مقتبسة من كتاب - رجال حول الرسول - تأليف

خالد محمد خالد ص ٤٣٩ وما بعدها .

« ما أقلت، الغبراء ولا أطلت الخضراء أصدق لهجة من أبي ذر » .

— علمه رسول الله صلى الله عليه وسلم رقابة الفيء فالقى عليه يوما هذا السؤال :

« يا أبا ذر ، كيف أنت اذا أدركك أمراء يستأثرون بالفيء ؟ »
فأجاب قائلا :

« اذا والذى بعثك بالحق لأضرين بسيفي » ١١ ٠٠

فقال له الرسول صلى الله عليه وسلم :

« أفلا أدلك على خير من ذلك ٠٠ ؟ »

اصبر حتى تلقاني »

ومضى عهد الرسول ومن بعده عصر أبي بكر ، ولم يرفع صوته لأنه كان عصر السمو الكامل على مغريات الحياة ، فلم يجد مخائف ولو وجد لخرج الى معازل السلطة والثروة وأندرها وقال لهم كما كان يقول في عهد عثمان بن عفان « بشر الكانزين الذين يكتنون الذهب والفضة بمكار من نار تكوى بها جباههم وجنوبهم يوم القيامة » (٢٥) .

بلال مؤذن الرسول :

— حبشي كان عبدا لآناس من بني جمح .

— ذهب الى رسول الله صلى الله عليه وسلم .

— عذبه أسياهه بأقسي ألوان التعذيب فكان يردد « أحد أحد »

— دفع أبوبكر ثمن تحريره فأخذ مكانه بين الأحرار .

(٢٥) رجال حول الرسول — خالد محمد خالد — دار الريان للتراث

ص ٦٥ وما بعدها .

- وبعد هجرة الرسول صلى الله عليه وسلم للمدينة وقع عليه اختياره ليكون أول مؤذن في الاسلام .
- ويوم فتح مكة دخل الرسول صلى الله عليه وسلم الكعبة مصطحبا معه بلالا وأمره أن يعلو المسجد ويؤذن .
- شهد مع رسول الله المشاهد كلها .
- في عصر أبي بكر ذهب إليه وطلب منه أن يربط في سبيل الله حتى يموت فأجابته لطلبه (٢٦) .

سعد بن أبي وقاص :

- جده أهيب بن مناف ، عم السيدة آمنة أم رسول الله صلى الله عليه وسلم .
- أسلم وهو ابن سبع عشرة سنة وكان إسلامه مبكرا وكان يقول عن نفسه .
- « ولقد أتى على يوم وانى لثلاث الاسلام »
- أول من رمى بسهم في سبيل الله وأول من رمى أيضا
- يوم أحد ، قال له رسول الله صلى الله عليه وسلم .
- « أرم سعد . . فذاك أبي وأمي »
- دعوته مستجابة فقد دعا له الرسول صلى الله عليه وسلم هذه الدعوة . .

« اللهم سدّد رميته . . وأجب دعوته »

- كان غنيا وعرض على رسول الله صلى الله عليه وسلم أن يتصدق بثلاثي ماله قلم يرافق فعرض أن يتصدق بالنصف فلم يوافق ، فعرض أن يتصدق بالثالث .

(٢٦) الرجوع السابق ص ٨٩ وما بعدها .

فقال رسول الله صلى الله عليه وسلم :

« نعم ، والثلاث كثير ٠٠ انك ان تذر ورثتك أغنياء ، خير من أن تذرهم عالة يتكففون الناس ، وانك لن تنفق نفقة تبتغي بها وجه الله الا أجرت بها ، حتى اللقمة تضعها في فم امرأتك »

— كان كثير البكاء من خشية الله

— قال رسول الله صلى الله عليه وسلم يوما لأصحابه :

« يطلع عليكم الآن رجل من أهل الجنة »

فطلع عليهم سعد بن أبي وقاص (٢٧) .

فاولئك الذين يعرضون التصديق بجزء كبير من أموالهم كسعد كفيلون برقابة أنشطة الدولة في عهد أبي بكر خصوصا الأنشطة المالية .

صهيب بن سنان :

— كان أموه حاكم « الأبله » ووليا عليها لكسرى

— سبى لما تعرضت ببلاده لهجوم الروم ، وصار من الرقيق ، وبيع بمكة لعبد الله بن جدعان أعجب به سيده فاعتقه وحرره وهيا له قرصة الاتجار معه .

— كان من الذين أتوا رسول الله صلى الله عليه وسلم دار الأرقم واسلموا ٠٠

— لحق رسول الله صلى الله عليه وسلم في هجرته للمدينة بعد أن تنازل عن كل ما له لقريش ليتركوه .

— لم يكذ رسول الله صلى الله عليه وسلم يراه حتى ناداه مهتلا :

(٢٧) المرجع السابق ص ١٢٣ وما بعده .

» ربيع البيع أبا يحيى

ربيع البيع أبا يحيى « (٢٨) .

ومثل صهيبي الذي فدى دينه بماله جدير أن يشارك في الاداء العام للدولة في عهد الصديق .

عبد الله بن مسعود :

سادس ستة أسلموا واتبعوا الرسول عليه السلام

— كان يرعى غنما لعقبة بن أبي معيط ، فجاء النبي صلى الله عليه وسلم وأبو بكر

فقالا : يا غلام ، هل عندك من لبن تسقيننا ؟

فقال : انى مؤتمن ولست سائتيكما

فقال النبي صلى الله عليه وسلم : هل عندك من شاة حائل ، لم ينز عليها الفحل ؟

قال : نعم

فأتاهما بها ، فاعتقلها النبي ومسح الضرع ودعا ربه فحفل الضرع . ثم أتاه أبو بكر بصخرة متعقرة ، فاحتلب فيها ، فشرب أبو بكر ثم شرب بن مسعود .

ثم قال الرسول صلى الله عليه وسلم للضرع : اقلص فقلص .

فأتى ابن مسعود النبي بعد ذلك وقال له : علمنى من هذا القول

فقال له : انك غلام معلم

— أسلم وكان أول من جهر بالقرآن

— صار من فتهاء الأمة وعميد حفظه القرآن .

(٢٨) المرجع السابق ص ١٢٩ وما بعدها .

— قال عن نفسه « أخذت من فم رسول الله صلى الله عليه وسلم سبعين سورة لا ينازعنى فيها أحد » .

— كانت تأخذه الرعدة الشديدة اذا حدث عن رسول الله صلى الله عليه وسلم .

— شهد المشاهد كلها والغزوات جميعها (٢٩) .

فقراءة ابن مسعود تجعله أنسب المعاونين لدولة دستورها
القرآن .

أبو عبيدة بن الجراح :

— قال عنه رسول الله صلى الله عليه وسلم :

« ان لكل أمة أمينا ، وان أمين هذه الأمة أبو عبيدة بن الجراح »

— اسمه عامر بن عبد الله بن الجراح

— دافع عن رسول الله صلى الله عليه وسلم يوم أحد ، سقطت منه ثنيتان نزع بهما حلقتان دخلتا في وجنتي النبي .

— أرسله الرسول مع وفد نجران بعد أن أسلموا الى اليمن يعنهم القرآن والسنة والاسلام .

— وبعد الرسول جاهد كجندى في سبيل الله وولاه عمر بن الخطاب أميرا على الجيش بدل خالد بن الوليد .

— قال عنه عمر بن الخطاب لما جاءه الناعى بموته .

« لو كنت متمنيا ، ماتمت الا بيتا مملوءا برجال من أمثال أبي عبيدة » .

— وقال عمر بن الخطاب عنه وهو يجود بأنفاسه :

(٢٩) المرجع السابق ص ١٩٥ وما بعدها .

« لوكان أبو عبيدة بن الجراح حيا لاستخلفته فان سألني ربي عنه :

قلت : استخلفت أمين الله وأمين رسوله » (٣٠) .

فالأمناء في الأمم كأبى عبيدة يؤدون ما تعهد به الدولة إليهم من أعمال باخلاص وتفان وأمانة .

نوع حكومة الصديق :

أوضحنا فيما سبق نظام الدولة الإسلامية والسلطات التي تتكون منها في ظل المسميات الحديثة ، ويتبع ذلك تحديد نوع هذه الحكومة بالمفهوم العصري الحديث .

حكومة أبى بكر حكومة إسلامية ، القرآن الكريم دستورهما العام وسنة الرسول توضح ما جاء مجملًا في القرآن الكريم ، والقرآن الكريم والسنة مصدران من مصادر التشريع والشورى أساس من الأسس الهامة للدولة فقد أمر الله رسوله أن يشاور في الأمر فقال تعالى :

« فبما رحمة من الله لنت لهم ، ولو كنت فظا غليظ القلب لأنفضوا من حولك ، فاعف عنهم ، واستغفر لهم وشاورهم في الأمر فإذا عزمت فتوكل على الله » (آل عمران/ من ١٥٩) .

وقد نشأت حكومة أبى بكر على الشورى فقد بويع الصديق بالانتخاب العام ولم يطلب البيعة لنفسه بل كان يرشح عمر بن الخطاب وأبا عبيدة بن الجراح لبياع المسلمين أيهما شاءوا وكان يرشحهما والانصار ينازعون المهاجرين الأمر ، وتم ذلك كله في اجتماع عام ثم تمت مبايعته ، فهي اذا بيعة أنشأتها الشورى .

(٣٠) المرجع السابق ص ٢٥٨ وما بعدها .

والشورى أساس من أسس الديمقراطية في العهد الحديث
فحكومة أبى بكر قامت على نفس الأساس فهى شكل من أشكال
الحكومات الديمقراطية .

ولم تكن حكومة الصديق حكومة يدعى فيها الحاكمون صفة
الهيئة لأشباع أهدافهم وحرصهم على الاحتفاظ بالسلطان ، فيزعمون
أن أرادتهم من إرادة الله وأنها لذلك هى القانون بل هى فوق القانون
وقد نفى الصديق ذلك من أول الأمر ، فقد ناداه أحدهم « يا خليفة
الله » فأكرر ذلك وقال : « أنا خليفة رسول الله » .

وليسست حكومة أبى بكر اتوقراطية وهى حكومة الفرد المستبد ،
فمناقب أبى بكر وصفاته التى أوردناها لا يمكن تصور أنها تؤدى
به الى أن يكون حاكما مستبدا ، وقد أوضحنا كذلك أن الصحابة
لهم سلطة الرقابة على الحاكم وقد تعلموا فى مدرسة الرسول أصول
الشورى وواجبات الأمير فى الرعاية ومسئوليته عن رعيته .

وليسست حكومة أبى بكر حكومة الفئة القليلة من الأعيان
والسادة ذوى المطامع والأهواء لأن الصديق يحكم بالقرآن وقد نهى
الله جل وعلا عن اتباع الأهواء .

فقال جل وعلا :

« فاحكم بينهم بما أنزل الله ولا تتبع أهواءهم عما جاءك من
الحق لكل جعلنا منكم شرعة ومنهاجا ٠٠ » (المائدة / من ٤٨)

تشكل السياسة المالية لأبى بكر الصديق بشكل حكومته :

تتلاءم السياسة المالية لأى دولة مع شكل الحكومة التى تضعها
فبناء على ما سبق من أن حكومة أبى بكر حكومة دستورها القرآن
ومصدر أحكامها القرآن وسنة الرسول صلى الله عليه وسلم .
وقامت على الشورى ، فإن السياسة المالية فى عهده يتبغى أن تقوم
على الأسس التالية :

- - القرآن مصدر السياسة المالية الأول
- - السنة المصدر الثاني للسياسة المالية
- - السياسة المالية تخضع لرقابة الأمة مادامت الأمة قد انتخبت الخليفة في ظل مبدأ الشورى
- ونوضح فيما يلي مدى مطابقة هذه الأسس لما يستنتج من الخطاب الأول للخليفة الأول لرسول الله صلى الله عليه وسلم

الفصل الثاني

سمات السياسة المالية للدولة الإسلامية في عهد الصديق

الخطاب الأول للخليفة الأول كمفتاح لسياسته المالية :

بعد أن بايع الناصر الخليفة الأول للمسلمين ، وكان على منبر
مسجد الرسول صلى الله عليه وسلم ، خطب فقال بعد أن حمد الله
وأثنى عليه بالذي هو أمله :

« أما بعد أيها الناس ، فاني قد وليت عليكم ولست بخيركم،
فان أحسنتم فأعينوني ، وإن أسأت فقوموني ، الصدق أمانة ،
والكذب خيانة ، والضعيف فيكم قوى عندي حتى أبيع عليه حقه إن
شاء الله ، والقوى منكم الضعيف عندي حتى آخذ الحق منه إن
شاء الله . لا يدع أحد منكم الجهاد في سبيل الله ، فانه لا يدعه قوم
الا ضربهم الله بالذل ، ولا تشيع الفاحشة في قوم الا عمهم الله
بالبلاء . أطيعوني ما أطعت الله ورسوله ، فإذا عصيت الله ورسوله
فلا طاعة لى عليكم قوموا الى صلاتكم رحمكم الله ! (١) »

(١) الطبرى جزء ٣ - مرجع سابق - ص ٢١٠ .

فالخطبة صدرت من الخليفة الأول للأمة الإسلامية عامة متسمة بتواضع الخليفة ، متمسكة بالمبادئ الفاضلة داعية للجهاد في سبيل الله . محذرة من الفاحشة مقررة حق الرقابة للأمة الإسلامية ، ولم يرد بها تفاصيل سياساته العامة ومنها سياسة المالية العامة ، فلم يكن مألوفاً أن يتضمن الخطاب الأول لرؤساء الدول في ذلك الوقت هذه التفاصيل كما هو متبع في الأزمنة الحديثة ، بل إن بعض الممالك والامبراطوريات التي كانت قائمة في زمن الخليفة الأول كالروم والفرس كانت تحت حكم مطلق لا يعنى الحكام في ظله أن يحيطوا الشعب بسياساتهم العامة .

على أنه مما يعين في التعرف على السياسات المستقبلية لرؤساء الدول سلوكياتهم التي كانوا عليها قبل ولايتهم أمور الأمم ، وبتتبع مناقب وفضائل الخليفة الأول للمسلمين قبل الخلافة ويربطها بما ورد في خطابه الأول من خطوط عامة ، يمكن التنبؤ بالمسمات العامة التي ستسهم بها سياسته المالية للدولة الإسلامية بعد رسول الله صلى الله عليه وسلم ، وذلك على النحو التالي :

السياسة المالية للخليفة الأول مصدرها القرآن :

كان أبو بكر الصديق رضي الله عنه مرتبطاً بالقرآن ارتباطاً كاملاً ويتجلى تكامل هذا الارتباط على النحو التالي :

١ - كان الصديق أحد القلائد الذين يحفظون القرآن وساعده على الاحاطة به صحابته لرسول الله صلى الله عليه وسلم .

٢ - نزل قرآن كريم في مصاحبته لرسول الله صلى الله عليه وسلم في الغار بعد أن أخرجه المشركون من مكة ، فيقول الله جل وعلا :

« الا تنصروه فقد نصره الله اذ أخرجه الذين كفروا ثاني اثنين إذ هما في الغار إذ يقول لصاحبه لا تحزن ان الله معنا » (التوبة / من ٤٠)

٣ - ذكرنا ان أبا بكر الصديق رضي الله عنه كان أول من أسلم

من الرجال وصدق بالرسول صلى الله عليه وسلم ، وأنزل الله جل
وعلا على رسوله صلى الله عليه وسلم الآية التالية :

« والذي جاء بالصدق وصدق به أولئك هم المتقون » (الزمر / ٣٣) .

فقالوا إن الله يريد بالآية رسول الله وأبا بكر الصديق .

— كان المشركون في أول الدعوة يعذبون من أسلم من الأرقاء
والعبيد والجواري فكان أبو بكر الصديق رضى الله عنه يشتريهم من
ماله الخاص ليخلصهم من العذاب ثم يعتقهم يريد بذلك ما عند الله ،
فنزلت بشأنه آية :

« فأما من أعطى واتقى . وصدق بالحسنى . فسنيسره
ليسرى » (الليل / ٥ ، ٦ ، ٧)

— كان ممن أعتقهم من العبيد بلالا الحبشى ، فدعى المشركون
أن ما أعتقه إلا ليد (أى نعمة) كانت لبلال عنده ، فقال تعالى :

(وما لأحد عنده من نعمة تجزى ، إلا ابتغاء وجه ربه الأعلى
ولسوف يرضى) (الليل / ١٩ ، ٢٠ ، ٢١) .

— كان ممن خاض في حديث الافك عن أم المؤمنين عائشة رضى
الله عنها قريب مسكين لأبى بكر الصديق اسمه مسطح وكان ينفق
عليه ، فلما نزلت من الله جل وعلا آيات ببراءتها أعلن أبو بكر أنه
لن ينفق على مسطح شيئاً أبداً .

فنزلت من الله جل وعلا الآيات التالية :

« ولا يأتل أولوا الفضل منكم والسعة أن يؤثوا أولى القربى
والمساكين والمهاجرين في سبيل الله وليعفوا وليصفحوا ، ألا تحبون
أن يغفر الله لكم والله غفور رحيم » (النور / ٢٢)

فقال أبو بكر (والله انى لأحب أن يغفر الله لى)

وأعاد الى مسطح نفقته

— كان أبو بكر متعمقا في تفسير القرآن الكريم

فمن آية :

« يا أيها الذين آمنوا عليكم أنفسكم لا يضركم من ضل إذا اهتديتم » (المائدة / من ١٠٥)

قال أبو بكر للناس انه سمع رسول الله صلى الله عليه وسلم يقول :

ان القوم اذا رأوا الظالم فلم يأخذوا على يديه والى المنكر فلم يعيروهم الله بعقابه .

وقال الصديق يوما لاصحابه ما تقولون في هاتين الآيتين :

« ان الذين قالوا ربنا الله ثم استقاموا تتنزل عليهم الملائكة الا تخافوا ولا تحزنوا وابشروا بالجنة التى كنتم توعدون » (فصلت / ٣٠)

« الذين آمنوا ولم يلبسوا ايمانهم بظلم أولئك لهم الأمن وهم مهتدون » (الانعام / ٨٢) .

قالوا « ان الذين قالوا ربنا الله ثم استقاموا » أى آمنوا ولم يلبسوا ايمانهم بظلم الخطيئة .

قال أبو بكر رضى الله عنه : لقد حملتموها على غير المحمل ثم قال :

(قالوا ربنا الله ثم استقاموا) فلم يلتفتوا الى اله غيره ولم يلبسوا ايمانهم بشرك .

— تحمل اذى المشركين مؤثرا تلاوة القرآن فقد سبق أن ذكرنا انه بسبب اذاهم فى أول الدعوة عزم على الهجرة للحبشة فقابلته أحد كبار حلفاء قريش فأجاره لدى المشركين من قريش فقبلوا على أن يعبد أبو بكر ربه فى داره ، فكان يتعبد ويقرأ القرآن ويصلى فى مسجد أقامه بداره ، وكان صوت ترتيله القرآن الخاشع المتهدج يصل لاسماع من بخارج الدار فيجذب الأطفال الأبرياء للسمع ، والنساء الحائضات للاصغاء ، فينجذب الأطفال لما يسمعون وتتأثر النسوة لما يصفين ، فروع مشركوا مكة ، وذهبوا الى من أجاره ليطلب منه عدم الجهر بترتيل القرآن .

فقال له أبو بكر « فانى أرد اليك جوارك وأرضى بجوار الله عز وجل » ..

وهكذا كان أبو بكر الصديق رضى الله عنه حافظا للقرآن تاليا له معسرا لآياته ونزلت فيه بعض تلك الآيات ..

فاذا تولى أمر الأمة بعد من نزل عليه القرآن الكريم ، يكون القرآن الكريم دستور هذه الأمة ، تنبثق منه سياساتها العامة ومنها السياسة المالية .

وهذا ما ورد بالخطاب الأول للخليفة الأول لرسول الله صلى الله عليه وسلم حينما جعل شرط طاعته لله ورسوله أساسا لطاعة الأمة لله فقال :

« أطيعونى ما أطعت الله ورسوله ، فاذا عصيت الله ورسوله فلا طاعة لى عليكم »

وقرآنية مصدر المالية العامة فى عهد أبى بكر الصديق رضى الله عنه يجعلها تقوم بصفة عامة على أساس :

تطبيق آيات القرآن الكريم التى وردت به عن الموارد العامة .
تطبيق آيات القرآن الكريم التى وردت به عن الانفاق ومنه الانفاق العام ..

تطبيق آيات القرآن الكريم التى وردت به عن ادارة المالية العامة ..

السنة هى المصدر الثانى للسياسة المالية للصديق :

أعلن الصديق انه سيطيع الله ورسوله ، وطاعة الرسول تستوجب الأخذ بسننه ومنها سننه فى الأموال العامة فقد بلغ ونفذ رسول الله صلى الله عليه وسلم آياتها بالقول وبالفعل فأعلم الناس بها وبأحكامها ، وفيمايلى نوضح بعض سنن الرسول صلى الله عليه وسلم بشأن تطبيقات أسس السياسة المالية للدولة الاسلامية الأولى :

بعض سنتن الرسول في الإيرادات العامة :

شملت الإيرادات العامة للدولة الإسلامية في عهد رسول الله صلى الله عليه وسلم الزكاة وخمس الغنائم والخراج والجزية وفيما يلي بعض اجراءات الرسول بشأن كل منها :

الزكاة :

١ - بلغ آيات الزكاة وأكد الالتزام بإدائها :

- حدد الرسول المادة الخاضعة للزكاة وهي الأموال التي يملكها المسلم .

- حدد عليه الصلاة والسلام الفئات أى الأسعار التي تسري على كل وعاء من أوعية أنواع الزكاة .

- حدد النصاب الذى تجب فيه الزكاة وما دونه عفو والعفو فى الزكاة يقابل حدود الاعفاء فى الضرائب الحديثة كالاعفاء لحد الكفاف أو للأعباء العائلية أولهما معا .

- حدد الاوقات التي تؤدي فيها الزكاة كما تتحدد مواعيد أداء الضرائب الحديثة .

- أرسل ممثلين عن الحكومة الإسلامية لجمع زكاة الأموال ممن تجب عليهم (٢) .

خمس الغنائم :

خمس الغنائم ورد في الآية ٤١ من سورة الأنفال وهي :

(وأعلموا أنما غنمتم من شيء فإن لله خمسه وللرسول ولذي القربى واليتامى والمساكين وابن السبيل ان كنتم آمنتم بالله وما أنزلنا على عبدنا يوم القرقران يوم التقى الجمعان والله على كل شيء قدير)

(٢) انظر كتابنا السياسة المالية الرسول - صفحة ٥٠ طبعة الهيئة المصرية العامة للكتاب .

ولتطبيق هذه الآية اتخذ الرسول صلى الله عليه وسلم عدة
اجراءات منها مايلي :

- أبلغ آيات الجهاد في سبيل الله
- صدرت عنه أحاديث عن ثواب الجهاد
- قام بالغزوات وأمر بالسرايا في سبيل الله
- أبلغ آيات الأنفال وأن الغنائم أحلت للمسلمين
- أبان الحكم في السلب
- أعلن عقوبة الغلول من الغنائم
- نظم أسس توزيع الغنائم بين الفاتحين بعد تجنب الخمس
طبقاً للآية (٣)

الـخـمـس : جـراج :

مما قام به رسول الله صلى الله عليه وسلم بشأن الأرض
ما يلي :

- نظم خراج أرض خيبر بعد فتحها
- أقطع الأرض للغير
- أوضح أن الناس شركاء في الماء والكلأ والنار
- قال : لا حمى (أى للأرض) الا لله ورسوله
- حرم تقسيم أرض مكة بين الفاتحين بعد فتحها (٤)

الجـزـية :

مما قام به الرسول صلى الله عليه وسلم بشأن فرض الجزية
في آية :

.....

- (٣) انظر تفصيل ذلك في المرجع السابق في الصفحات من ٩٧ الى ١٣٦ .
- (٤) انظر تفصيل ذلك في المرجع السابق الصفحات من ١٥٢ - ١٧٦ .

« قاتلوا الذين لا يؤمنون بالله ولا باليوم الآخر ولا يحرمون ما حرم الله ورسوله ولا يدينون دين الحق من الذين أوتوا الكتاب حتى يعطوا الجزية عن يد وهم صاغرون » (التوبة/ ٢٩) مايلي :

- بعث الكتب لأهل الكتاب موضحا أحكام الآية .
- أوضح لقادة الجيوش الغازية في سبيل الله أحكام الجزية
- حدد قيمة الجزية
- عقد الصلح مع بعض أهل الكتاب ، وتضمنت العقود أحكاما بشأن الجزية وتنظيم أدائها^(٥)

النفقات العامة :

مما أجراه رسول الله صلى الله عليه وسلم بشأن النفقات العامة للدولة الإسلامية مايلي :

- نظم الرسول وجوه انفاق الزكاة على مصارفها المحددة بالقرآن
- عين عمال جمع الصدقات
- حرم الانفاق من الصدقات على آله
- قضى بمحالية الانفاق من الزكاة فتنفق على فقراء البلدة التي جمعت من أغنيائها^(٦)
- عالج الرسول الانفاق من خمس الغنائم على وجوهه المحددة بالقرآن^(٧)

(٥) التفاصيل في كتابنا السابق من صفحة ١٣٩ حتى ١٥١ .
 (٦) التفاصيل في المرجع السابق من صفحة ١٧٩ حتى ١٩٥ .
 (٧) التفاصيل في المرجع السابق من صفحة ١٩٦ حتى ٢١٠ .

- أجرى من الخمس على ذوى القربى وهو أحد أسهمه على بعض بنى هاشم وبنى المطلب

- أنفق من الخمس على حاجيات الدولة الأخرى كالفزوات والسرايا (٨) .

إدارة المال العام .

أدار الرسول صلى الله عليه وسلم المالية العامة للدولة الإسلامية الأولى تخطيطاً وتنظيماً وتعبئة للموارد العامة ورقابة بآيات القرآن الكريم ويمبادىء خلقه العظيم (٩)

صحبة الصديق للرسول تعينه على تطبيق سنته في المال العام :

وإذا كان الصديق قد أعلن في خطابه الأول أنه سيطيع الله ورسوله ومنها طاعة رسول الله في تطبيق أقواله وأعماله التي صدرت عنه في السياسة المالية والتي أوردنا نماذج منها في البند السابق ، فإنه أقدر الناس على تطبيق ذلك ، لأنه كان رضى الله عنه أكثر الناس صحبة للرسول صلى الله عليه وسلم .

فقد صاحب الصديق الرسول من أول الدعوة .

وفي ذلك يقول عمار بن ياسر :

« رأيت رسول الله صلى الله عليه وسلم ومعه الا خمسة اعبد وامرأتان وأبو بكر » (١٠) .

وصاحب الصديق الرسول في الغار على النحو الذى أوضحنا

وصاحبه في غزواته وسائر المواقف مما جعل رسول الله صلى الله عليه وسلم ينوه عن ذلك فقال في حديث طويل :

(٨) التفاصيل في المرجع السابق مرفقة ٢١٠ حتى ٢٢٤ .

(٩) التفاصيل في المرجع السابق من صفحة ٢٢٧ حتى ٢٦٤ .

(١٠) البخارى - جزء ٦ - مرجع سابق - ص ٨١ .

« إن الله يعثني اليكم فقلتم كذبت وقال أبو بكر صدق وواساني بنفسه وماله فهل أنتم تاركوا لي صاحبي ... » (١١)

واعتبر الرسول الصديق أخا وصاحباً

فعن ابن عباس رضي الله عنهما عن النبي صلى الله عليه وسلم قال :

« لو كنت متخذاً من أمتي خليلاً لاتخذت أبا بكر ولكن أخي وصاحبى » (١٢)

وكان جديراً بحب الرسول

فقد كان الصديق رضي الله عنه أحب الرجال الى رسول الله صلى الله عليه وسلم

قال عمرو بن العاص - رضي الله عنه - أن النبي صلى الله عليه وسلم بعثني على جيش ذات السلاسل فأتيته فقلت : أي الناس أحب اليك ؟

قال : عائشة

فقلت : من الرجال

فقال : أبوها

قلت : ثم من ؟

قال : ثم عمر بن الخطاب فعد رجالاً (١٣)

وبذلك استحق الصديق الجنة فقد بشره الرسول صلى الله عليه وسلم أثناء صحبته له بالجنة

(١١) المرجع السابق ص ٨٢

(١٢) المرجع السابق ص ٨٠

(١٣) المرجع السابق ص ٨٣

فمن حديث طويل لأبي موسى الأشعري رضى الله عنه ، أنه عزم أن يكون بواب رسول الله صلى الله عليه وسلم ذات يوم .

فجاء أبو بكر فدفع الباب

فقلت : من هذا ؟

فقال : أبو بكر

فقلت : على رسلك

ثم ذهبت فقلت : يا رسول الله ، هذا أبو بكر يستأذن

فقال : أئذن له ويشركه بالجنة

فأقبلت حتى قلت لأبي بكر : أدخل ، ورسول الله صلى الله عليه وسلم يبشرك بالجنة . فدخل أبو بكر ، فجلس عن يمين رسول الله صلى الله عليه وسلم (١٤٠٠)

وسيدعى أبو بكر للجنة من جميع أبوابها :

قال أبو هريرة رضى الله عنه ، سمعت رسول الله صلى الله عليه وسلم يقول :

« من أنفق زوجين من شيء من الأشياء في سبيل الله دعى من أبواب - يعنى الجنة -

يا عبد الله هذا خير ، فمن كان من أهل الصلاة دعى من باب الصلاة ، ومن كان من أهل الجهاد دعى من باب الجهاد ، ومن كان من أهل الصدقة دعى من باب الصدقة ، ومن كان من أهل الصيام دعى من باب الصيام (و) باب الريان »

فقال أبو بكر : ما على هذا الذى يدعى من تلك الأبواب من ضرورة ؟

.....

..... (١٤) المراجع السابق من

وقال : هل يدعى منها أحدهم يا رسول الله ؟

قال : نعم وأرجو أن تكون منهم يا أبا بكر (١٥)

التنبؤ بصحبة أبي بكر للرسول :

— ويحكى أبو بكر الصديق عن صحبة الرسول صلى الله عليه وسلم والتنبؤ بها قبل وقوعها في أحد رحلاته للتجارة باليمن قبل البعثة فيقول عما حدث له في هذه الرحلة (١٦) ٠٠

» ٠٠٠٠ فنزلت على شيخ من الأزدي عالم قد قرأ الكتب ، وعلم من علم الناس كثيرا فلما رأيته

قال : أحسبك حرشيا (من أهل الحرم)

قلت : نعم ، أنا من قریش

قال : وأحسبك تيميا

قلت : نعم أنا من تيم بن مرة • أنا من ولد كعب بن سعد بن تيم بن مرة • أنا عبد الله بن عثمان •

قال : بقيت لي ذك واحدة

قلت : ما هي ؟

قال : تكشف عن بطنك

قلت : لا أفعل أو تخبرني لم ذاك ؟

قال : أجد في العلم الصحيح الصادق أن نبيا يبعث في الحرم ، يعاينه على أمره فتى وكهل ، فأما الفتى فخواض غمرات ودفاع معضلات (يقصد على ابن أبي طالب رضي الله عنه) ، وأما الكهل ، فأبيض نحيف ، وعلى بطنه شامة (حسنة) وعلى فخذه اليسرى

(١٥) المرجع السابق ص ٨٥ •

(١٦) الصديق أول الخلفاء — عبد الرحمن الشراوى — الفصل السابع •

علامه ، وما عليك أن ترينى ماسألتك ، فقد تكاملت لى فيك الصدفه
الا ماخفى على .

فكشفت له عن بطنى فرأى شامة سوداء فوق سرتى . .

فقال : أنت هو ورب الكعبة ، وانى متقدم اليك فى أمر فأحذره
قلت : وما هو ؟

قال : اياك والميل عن الهدى . وتمسك بالطريقة المثلى الوسطى
وخف الله فيما خولك وأعطاك

السياسة المالية للصديق ستندعم الجهاد ويدعمها الجهاد :

ومما تضمنته الخطبة الاولى لأبى بكر الصديق رضى الله عنه.
الحض على الجهاد ، مما ينبغى معه على السياسة المالية فى عهده
أن تساهم فى تمويل الجهاد فى سبيل الله ، وان كان النصيب الأكبر
من التمويل فى عهده كما كان فى عهد الرسول صلى الله عليه وسلم
سيوقع على الأفراد المجاهدين سواء أكان الجهاد بالمحاربة فى ميدان
الحرب أو بحراسة المجاهدين للثغور والحدود والمراطة فيها أو
بالجهاد باللسان لاشعال حماسة المحاربين وشنن الحملات على
الأعداء أو بالجهاد بالمال لشراء الأسلحة والدروع والزاد والخيل
وكافة مستلزمات المعارك ، وذلك تلبية لآيات القرآن المجيد ولأحاديث
الرسول صلى الله عليه وسلم ، وهى كثيرة نقطف منها مايلى :

يقول الله جل وعلا :

« انفروا خفافا وثقالا وجاهدوا بأموالكم وأنفسكم فى سبيل
الله ذلك خير لكم ان كنتم تعلمون » (التوبة / ٤١)

وقوله جل وعلا :

« يا أيها الذين امنوا هل أدلكم على تجارة تنجيكم من عذاب
أليم ، تؤمنون بالله ورسوله وتجاهدون فى سبيل الله بأموالكم وأنفسكم
ذلكم خير لكم ان كنتم تعلمون » (الصف ١٠ ، ١١)

ومن أحاديث الرسول صلى الله عليه وسلم ما يلي :

- « ان لكل أمة سياحة وسياحة أمتي الجهاد في سبيل الله ،
وان لكل أمة رهبانية ورهبانية أمتي الربط في نحور العدو » (١٧) .

- « مثل المجاهد في سبيل الله - والله أعلم بمن يجاهد في
سبيله - كمثل الصائم القائم ، وتوكل الله للمجاهد في سبيله بأن
يتوفاه أن يدخله الجنة أو يرجعه سالماً مع أجر أو غنيمة » (١٨) .

- « من جهز غازياً في سبيل الله فقد غزا ومن خلف غازياً في
سبيل الله بخير فقد غزا » (١٩) .

- « لمن تركتم الجهاد وأخذتم بأذناب البقر وتبايعتم بالعينة
ليلزمكم الله مذلة في رقابكم لا تنفك عنكم حتى تتوبوا الى الله
وترجعوا على ما كنتم عليه » (٢٠) .

وبجانب مساهمة الافراد في تمويل الجهاد سيساهم بيت المال
أيضا في حدود الموارد المتاحة وهي من المصادر التالية :

- سهم الرسول وذوي القربى الوارد في آية الخمس بعد وفاة
رسول الله صلى الله عليه وسلم فقد ثبت أنه خصص بعد وفاته
للكراع والسلاح .

- سهم في سبيل الله من أموال الزكاة استنادا لآية :

« انما الصدقات للفقراء والمساكين والعاملين عليها والمؤلفة
قلوبهم وفي الرقاب والغارمين وفي سبيل الله وابن السبيل فريضة من
الله والله علیم حکیم » (التوبة / ٦٠) .

(١٧) الحديث ورد في كتاب الجهاد - محمد أحمد الحوفي - ص ٤٢ .

(١٨) الحديث عن أبي هريرة ورد في كتاب الجهاد والسنة لفضيلة
الشيخ جابر محمد .

(١٩) المرجع السابق ص ٤٦ .

(٢٠) كتاب الجهاد - للدكتور محمد الحوفي - مرجع سابق - ص ٤٣ .

... أرض... ينفى... نضير وكانت كما يقول عمر بن الخطاب مما أفاء الله على رسوله مما لم يوجب المسلمون عليه بخيل ولا ركاب فكانت لرسول الله صلى الله عليه وسلم خاصة فكان يذفق منها على أهله نفقة سنة وما بقى جعله في الكراع والسلاح عدة في سبيل الله ، وحيث أن الانبياء لا يورثون فتؤول لمبيت مال المسلمين لينفق منها في الكراع والسلاح كما كان يفعل رسول الله صلى الله عليه وسلم .

ويبدو أن الجهاد كان يستحوذ اهتمام الخليفة الأول لأنه خصه بالذكر دون باقي الأنشطة العامة ولعل ذلك مرجعه الى الفراغ الذي تركه موت رسول الله صلى الله عليه وسلم ونشوء ظاهرة ارتداد المرتدين وتحفز اليهود والنصارى للكيد للإسلام والمسلمين ، وانظار جيش اسامه الذي بعثه رسول الله صلى الله عليه وسلم للجهاد ولكنه لما علم بموت رسول الله صلى الله عليه وسلم وكان مازال قريبا من المدينة عاد ينتظر تعليمات الخليفة الجديد ، فالجهاد واستمراره كان هو الحل لتلك المشاكل العامة التي واجهها الخليفة الجديد .

وإذا كانت السياسة المالية تستندم الجهاد ، فإن الجهاد سيدعمها بما يفى الله به على بيت المال من ثوى وزكاة من أسلم وجزية أهل الكتاب . .

السياسة المالية للصديق ستقسم بالعدل :

قال أبو بكر الصديق رضي الله عنه في خطابه الأول «والضعيف فيكم قوى عندى حتى أريح عليه حقه أن شاء الله والقوى منكم الضعيف عندى حتى آخذ الحق منه أن شاء » .

وبذلك نوى أبو بكر الصديق رضي الله عنه أن يحكم بالعدل بين الناس والعدل في أمور المال العام ضرورة لصيانة عملياته من الانحراف والمخالفات سواء بمعرفة الممولين أو من يديرون أموره ، فبدون العدالة مثلاً تهتز العلاقة بين بيت المال والمولين اهتزازا يؤدي الى وقوع الظلم على أحدهما أو كليهما .

فقد يتخذ الظلم من جانب الممولين في المالية العامة الاسلامية
المظاهر التالية :

- عدم أداء المسلمين للزكاة التي فرضها الله .
- انقاص ما يؤديه المسلمون من زكاة لبيت المال عن الواجب أدائه كاملا .
- اداء دافع الزكاة ردىء المال لبيت المال ، فيقدم من زكاة الانعام مثلا المريض منها أو العجفاء أو المعيبة والمفروض أن يقدم صاحب الانعام زكاتها من أواسطها .
- ارتكاب الغلول في الغنائم فينقص خمسها الذي يؤول لبيت المال طبقا لآية الخمس .
- عدم اداء أهل الكتاب الجزية .
- مخالفة أهل الكتاب شروط الصلح التي تعقدها معهم دولة الاسلام وعدم تطبيق نصوصها التي تتضمن الزاما بأداء الجزية لبيت المال .
- تقليل أهل الكتاب القائمين على أرض الخسراج من قيمته التي هي من حق بيت المال .
- وقد يتخذ الظلم من جانب بيت المال في علاقته بالممولين الأوضاع التالية :
- المخالاة في تقدير قيمة ما يستحق على المسلمين من زكاة .
- اخذ زكاة الانعام من أجودها لا من أواسطها .
- تحديد وعاء زكاة الزروع دون أن يترك المصدق الثلث أو الربع كما أمر رسول الله صلى الله عليه وسلم .
- تعذيب أهل الكتاب عند استئداء الجزية منهم .
- المخالاة في قيمة الجزية المفروضة .
- اخذ الجزية من أهل الكتاب بالرغم من اسلامهم ، وقد قرر الرسول صلى الله عليه وسلم أنه ليس على مسلم جزية .

— المخالطة في تحديد خراج على الأرض فلا تطيقه .

— اتباع نظام التفضل في تحصيل بيت المال لمستحقاقه على قرية من القرى ، فيدفع أحد الأشخاص الأموال العامة المستحقة على القرية لبيت المال دفعة واحدة ، ثم يقوم بتحصيلها لحسابه فيأخذ أكثر من المستحق عليهم لبيت المال فتزيد أعباءهم وتزداد متحصلاته يظلم الممولين .

فالمالية العامة في عهد الخليفة الأول ستكون مبرأة من الظلم متسمة بالعدالة شأنها شأن باقي الأمور العامة والخاصة ، والعدالة يعتبرها علماء المالية العامة المحدثون أحد المؤشرات الهامة لجودة الفرائض والضرائب العامة .

السياسة المالية للصدوق ستخضع لرقابة الأمة :

قال أبو بكر الحسني رضي الله عنه موجها الخطاب للأمة الإسلامية .

« قد وليت عليكم ولست بخيركم فإن أحسنت فأعينوني وإن أسأت فقوموني »

وقال :

« أطيعوني ما أطيع الله ورسوله ، فإذا عصيت الله ورسوله فلا طاعة لي عليكم »

وبذلك يرسى الخليفة مبدأ هاماً من مبادئ الرقابة ، وهي الرقابة السياسية ومنها الرقابة على الأموال العامة وهو مبدأ لم يعتبر من حقوق الشعوب إلا بعد عهد الخليفة بمئات السنين ، ويتم منازلة هذا المبدأ حديثاً عن طريق المجالس النيابية المنتخبة من أفراد الشعب ولها حق الرقابة على الأموال العامة بكافة الطرق ، وتقرر الدساتير العامة هذا الحق ، فتقوم المجالس النيابية في اتخاذ الإجراءات الرقابية التالية :

— مناقشة الموازنات العامة التي تتضمن نفقات الدولة وإيراداتها عن سنة مالية مقبلة واعتمادها قبل العمل بها .

— مناقشة الحسابات الختامية لهذه الموازنات العامة التي تعبر عن الصورة التنفيذية لما تم إنفاقه من نفقات عامة فعلية ، ولما تم تحصيله من إيرادات عامة نعلية خلال السنة المالية .

— تقديم الأسئلة والاستجابات لأعضاء السلطة التنفيذية بشأن أي تصرف غير سليم من تصرفات المال العام .

وفي سبيل ذلك المجالس النيابية الحق في طلب أية بيانات أو تقارير والإطلاع عليها .

وفي بعض البلاد يكون بجانب المجالس النيابية المركزية مجالس نيابية محلية تناقش وتزاول رقابة المال العام في دائرة الوحدة المحلية المختصة بها .

وقد سبق أن أوردنا دور صحابة رسول الله صلى الله عليه وسلم في النشاط الرقابي العام لسياسات الدولة ومنها سياسة المالية العامة ونوهنا عن بعض مناقب هؤلاء الصحابة التي تجعلهم جديرين بتقديم المشورة في أمور الدولة .

السياسة المالية للمصديق ستقسم بالتبثيت وليس التحديث :

يقول رسول الله صلى الله عليه وسلم :

« لقد كان فيما قبلكم من الأمم محدثون ، فإن يك في أمتي أحد فانه عمر » (٢١) .

ولقد كان صفة المحدث — أي الملهم كئنه حدث من الملائكة الأعلى بما يجري على لسانه وبما يجريه من أعمال — أثرها على عهد عمر ،

فقام بأعمال في أمور الأمة نبعت من هذا الوصف الذي خلعه عليه رسول الله صلى الله عليه وسلم ، ومن هذه الأمور مسائل المال العام وسياسة المالية العامة . فقد طورها وعدلها وجدد فيها كما يتضح مما يلي :

الإيرادات العامة :

- أصدر العديد من الفتاوى في فريضة الزكاة .
- فرض الخراج على أرض الفتوح ولم يقسمها بين الفاتحين وامتد في ذلك آيات من سورة الحشر .
- نظم أسعار الجزية على أهل الكتاب وجعلها تصاعدية لتناسب مع المقدرة التكليفية للخاضعين لها .
- أنف بذو تغلب من دفع الجزية وكانوا أهل حروب ، فطلبوا منه رفعها ودفع الزكاة ، والا تركوا الجزيرة العربية وحاربوا المسلمين مع الأعداء ، فضاغف الجزية عليهم وقبلوا ، وبذلك منعهم من قتال المسلمين مع الأعداء .
- أضاف للإيرادات العامة إيرادا جديدا وهو عشور التجارة على السلع الواردة مع تجار أهل الحرب عند دخولهم بلاد الدولة الإسلامية وذلك تطبيقا لمبدأ المعاملة بالمثل فقد كانت هذه الضريبة تفرض على التجار المسلمين إذا دخلوا بلاد الحرب .

النفقات العامة :

- أوقف عمر بن الخطاب الانفاق من الزكاة على سهم المؤلفة قلوبهم فقد رأى زوال الحكمة من التأليف بعهد أن قويت الدولة الإسلامية في عهده .
- أنشأ مدنا جديدة .
- أنشأ خليجا بين مصر والجزيرة العربية لسهولة نقل السلع والتجارات .

— طور نظام العطاء وميز فيه السابقين الأولين في الاسلام عن غيرهم من المسلمين .

إدارة المالية العامة :

— أنشأ ديوانين للعطاء والخراج ، الأول ينظم النفقات العامة للدولة الإسلامية والثاني ينظم تحصيل الإيرادات العامة .

— أنشأ التقويم الهجرى واتخذ أساسا لتقويم الدولة الإسلامية (٢٢) .

وإذا كانت المالية العامة الإسلامية في عهد عمر بن الخطاب رضى الله عنه انعكست عليها صفة المحدث التي اتصف بها عمر ، فإن المالية العامة الإسلامية في عهد الخليفة الأول أبى بكر الصديق رضى الله قد انعكست عليها صفة التثبیت ، فقد ثبت الخليفة الأول أحد أركانها بعد أن كاد يهوى وهو الزكاة بعد أن أرتد بعض المسلمين عن دفعها ، كما سنرى فيما بعد .

فيمس السياسة المالية للصديق سيكون محدودا :

عن عبد الله بن عمر رضى الله عنهما — أن النبى صلى الله عليه وسلم قال :

« رأيت فى المنام أنى أنزع بدلو بكرة (٢٣) على قلب (٢٤) ، فجاء أبى بكر فنزع (٢٥) ذنوبا (٢٦) أو ذنوبين نزعا ضعيفا ، والله يغفر

(٢٢) يرجع فى التفاصيل الى الأبواب المختصة فى كتابنا « السياسة المالية لعمر بن الخطاب » طبعة الهيئة المصرية العامة للكتاب .

(٢٣) لفظ (بكرة) يفتح الكاف على المشهور معناه : الخشب المستديرة التى يعلق فيها الدلو . ويروى بإسكان الكاف على أن المراد نسبة الدلو الى الأنى من الأبل وهى الشابة .

(٢٤) القلب : البشر لم تطو .

(٢٥) نزع : أى أخذ من البشر .

(٢٦) الذنوب : الدلو المملئة .

له ، ثم جاء عمر بن الخطاب فاستحالت غربا (٢٧) ، فلم أر عبقريا
يفرق فريه حتى روى الناس وضربوا بعطن (٢٨) .

وقد تحققت رؤيا رسول الله صلى الله عليه وسلم ، فسئرى وانه
وان تكن حصيلة المال العام زادت نسبيا فى عهد أبى بكر الصديق
رضى الله عنه مما مكنه من توزيع عطاء محدود بالتساوى على
المسلمين ، فانه فى عهد عمر بن الخطاب رضى الله عنه زادت حصيلة
الأموال العامة زيادة كبيرة مكنته من توزيع عطاء كبير من بيت مال
المسلمين زاد زيادة كبيرة عن عطاء أبى بكر ، وزادت قيمة العطاء
تبعاً للأسبقية فى الاسلام ، وكان من أثر كثرة الأموال أن بكى عمر ،
قلما سألوه لماذا تبكى وقد زادت الأموال العامة زيادة كبيرة ؟

قال : « ما أعطى الله قوما هذا الاتحاسدوا وتباغضوا ولا
تحاسدوا ولا تباغضوا الا جعل بأسهم بينهم شديد » (٢٩) .

ولم يكن عدم غزارة حصيلة المال العام فى عهد أبى بكر عن
ضعف فى الأداء وإنما كان بسبب قصر مدة خلافته فقد توفى مساء
ليلة الثلاثاء لثمانى ليال بقين من جمادى الآخرة سنة ثلاث عشر من
الهجرة وكانت خلافته سنتين وثلاثة أشهر وعشر ليال وفى قول
آخر أن خلافته كانت سنتين وأربعة أشهر إلا أربع ليال (٣٠) .

بينما كانت خلافة عمر بن الخطاب رضى الله عنه عشر سنتين
وسنة أشهر وأربع ليال (٣١) استطاع خلالها مد حدود الدولة
الاسلامية بمعارك تحققت فيها نصر الله للمسلمين وغنموا غنائم كثيرة
أل لبيت المال خمسها ووزعت الأربعة أخماس الباقية على الفاتحين

(٢٧) عظيما أى سارت دلوا عظيما .

(٢٨) الحديث وود فى البخارى جزء ٦ مرجع سابق ص ٩٥ ، ٩٦ .

(٢٩) انظر كتابنا « السياسة المالية لعمر بن الخطاب » ص ٤٤ .

(٣٠) الطبرى - جزء ٣ - مرجع سابق ص ٤٢٠ .

(٣١) انظر كتابنا عن السياسة المالية لعمر بن الخطاب ص ٢٣٥ .

ماعداء غنائم الأرض فلم توزع قالت للدولة بعد أن فرض عليها خراج
ساهم في تنمية موارد الدولة كما أن أهل البلاد المفتوحة دخلوا في
دين الله أفواجا ، فأدوا للدولة الإسلامية زكاة أموالهم ، ومن أثر
البقاء على دينه من أهل الكتاب أدى لبيت المال الجزية ، فساهمت
هذه الموارد في زيادة الأموال في عهد عمر بن الخطاب رضي الله عنه
وبذلك تحققت نبوءة رسول الله صلى الله عليه وسلم .

وفيما يلي تناقش الإيرادات العامة للدولة في عهد أبي بكر
الصديق رضي الله عنه بادئين بالزكاة .

الباب الثالث

ثبت الصديق الزكاة بالجهاد
وأدارها بسنة الرسول

الفصل الأول

تشيت الصديق الزكاة وايراداتها بالجهد

انواع الايرادات العامة للدولة فى عهد الصديق :

تظهر الايرادات العامة المقدره لآى دولة عن سنة مالية فى أحد جانبي موازنتها العامة ، ذلك أن الموازنة العامة للدولة هى بيان معتمد بتقديرات ايراداتها العامة ونفقاتها العامة عن سنة مالية ، ولم تكن تعد موازنات عامة للمالية العامة للدول وقت خلافة أبى بكر ، إذ لم يعرف نظام الموازنات العامة الا بعد ذلك بمئات السنين .
 ازاء ذلك يتعذر التوصل لبيان بالأرقام لمبالغ أنواع الايرادات العامة فى عهد الصديق رضى الله عنه .

وكانت أنواع الايرادات العامة فى عهده هى :

زكاة الأموال

خمس الغنائم

جزية أهل الكتاب

خراج الأرض

ونناقش فيما يلى الايرادات العامة من الزكاة :

الزكاة ملزمة للمسلمين :

الزكاة فريضة الزامية لا خيار للانسان المسلم في تركها وتستحق عليه اذا استوفيت الشروط اللازمة لادائها ، وسند الزامها أن الله جل وعلا فرضها بآيات كثيرة ساندتها أحاديث كثيرة لرسول الله صلى الله عليه وسلم .

فمن الآيات القرآنية ما يلي :

« وأقيموا الصلاة وآتوا الزكاة واركعوا مع الراكعين »
(البقرة / ٤٣)

« وأقيموا الصلاة وآتوا الزكاة وما تقدموا لأنفسكم من خير تجدوه عند الله ان الله بما تعملون بصير » (البقرة / ١١٠)

« ليس البر أن تولوا وجوهكم قبل المشرق والمغرب ، ولكن البر من آمن بالله واليوم الآخر والملائكة والكتاب والنبيين وآتى المال على حبه ذوى القربى واليتامى والمساكين وابن السبيل والسائلين وفى الرقاب وأقام الصلاة وآتى الزكاة والموفون بعهدهم إذا عاهدوا والصابرين فى البأساء والضراء وحين البأس أولئك الذين صدقوا وأولئك هم المتقون » (البقرة / ١٧٧)

« ان الذين آمنوا وعملوا الصالحات وأقاموا الصلاة وآتوا الزكاة لهم أجرهم عند ربهم ولا خوف عليهم ولا هم يحزنون »
(البقرة / ٢٧٧)

وقد يشار الى الزكاة بلفظ الصدقة كما فى الآية التالية :

« انما الصدقات للفقراء والمساكين والعاملين عليها والمؤلفة قلوبهم وفى الرقاب والغارمين وفى سبيل الله وابن السبيل فريضة من الله والله عليم حكيم » (التوبة / ٦٠)

ومن أحاديث الرسول صلى الله عليه وسلم ما يلى :

— عن ابن عمر رضى الله تعالى عنهما قال :

قال رسول الله صلى الله عليه وسلم :

« بنى الاسلام على خمس .. شهادة أن لا اله الا الله وأن محمدا رسول الله وإقام الصلاة وإيتاء الزكاة والحج وصوم رمضان » .

– وقد روى عن ابن عباس رضى الله عنه عن النبي صلى الله عليه وسلم لما بعث معاذ الى اليمن ليدعوهم الى الاسلام قال :

« أدعهم الى شهادة أن لا اله الا الله وأنى رسول الله ، فإن هم أطاعوا لذلك فأعلمهم أن الله افترض عليهم خمس صلوات في كل يوم وليلة ، فإن هم أطاعوا لذلك فأعلمهم أن الله قد افترض عليهم صدقة في أموالهم تؤخذ من أغنيائهم وترد على فقرائهم » .

– والزكاة حق الفقراء كما يتضح من الحديث التالى لرسول الله صلى الله عليه وسلم :

« ويل للأغنياء من الفقراء يوم القيامة يقولون : ربنا ظلمونا حقوقنا التى فرضت لنا عليهم : فيقول الله عز وجل « وعزتى وجلالى لأديننكم ولا بعدنهم » .

ثم تلا رسول الله صلى الله عليه وسلم آية :

« والذين فى أموالهم حق معلوم للمسائل والمحروم » (المعارج ٢٤ ، ٢٥)

ارتداد عن أداء الزكاة بالرغم من إلزامها :

بالرغم من الآيات القرآنية التى نزلت بالإلزام باداء الزكاة وأحاديث رسول الله صلى الله عليه وسلم التى توجبها فإنه بعد موت رسول الله صلى الله عليه وسلم بعدة أيام تجمعت قبائل من العرب قريبا من المدينة وبعثوا ممثلين عنهم للمدينة ونزلوا على وجهائها ضيوفا ماعدا العباس عم النبي صلى الله عليه وسلم فقد أبى أن يضيف أحدا لأنه علم أنهم يريدون مقابلة الخليفة ليطلبوا إعفاءهم من دفع الزكاة ، وذهب بهم أهل المدينة لأبى بكر الصديق وأعلنوا أنهم يقرون بالصلاة ويدعون الزكاة ، فرفض أبى بكر وقال « لو

منعوني عقالا لجاهدتهم عليه « (١) وبذلك صمم أبو بكر الصديق عني استثناء بيت المال لكل حقوقه التي كان يحصل عليها أيام الرسول صلى الله عليه وسلم من حصيلة الزكاة ولو كان قدرا يسيرا لأن العقال هو الحبل الذي يعقل به البعير الذي كان يؤخذ في الصدقة في بعض الأقوال وأقوال أخرى ترى أن العقال هو صدقة العام (٢) .

تصميم الصديق على استثناء الزكاة ورفضه لرأى عمر :

صمم أبو بكر على مجاهدة الممتنعين عن أداء الزكاة ، فأقبل عمر بن الخطاب عليه .

فقال : إذا منعك العرب الزكاة فاصبر عليهم .

فغضب أبو بكر غضبا شديدا وقال : والله لو منعوني عقالا كانوا يؤدونه لرسول الله صلى الله عليه وسلم لقاتلتهم عليه ، والله لأقاتلن من سرق بين الزكاة والصلاة .

قال عمر : مع من تقاتلهم

قال أبو بكر : والذي نفسى بيده لو لم يبق في القرى غيري لقاتلتهم بمفردي .

قال عمر : يا خليفة رسول الله تألف الناس وترفق بهم ، فانهم اليوم بمنزلة الوحي .

فقال الصديق محتدا لعمر : رجوت نصرتك وجئتني بخذلانك ، أجبار في الجاهلية خوار في الاسلام بماذا أتألفهم ؟ بشعر مفتعل أو بسحر مفتري ؟ هيهات هيهات ، مضى النبي صلى الله عليه وسلم وانقطع الوحي ، والله لأجاهدنيهم ما استمسك السيف في يدي .

قال عمر : علام تقاتل الناس وقد قال رسول الله صلى الله عليه وسلم أمرت أن أقاتل الناس حتى يشهدوا أن لا اله الا الله وأن

محمدا رسول الله ! فان قالوها عصموا منى دماءهم وأموالهم إلا بحقها .

قال أبو بكر ! ان الزكاة حق المال والله لأقاتلن من فرق بين الصلاة والزكاة .

قال عمر وهو يتذكر فيما بعد ما كان من هذا الأمر : فما هو إلا ان رأيت ابنه شرح صدر أبي بكر للقتال فعرفت أنه الحق .

مشاورات ومناقشات أخرى وتصميم من أبي بكر على الزكاة :

قال نفر من الصحابة لأبي بكر : يا خليفة رسول الله . ان رسول الله صلى الله عليه وسلم كان يقاتل العرب بالوحى والملائكة يمدّه الله بهم ، واليوم قد انقطع كل ذلك فالزم بيتك ومسجدك فإنه لا طاقة لك بالعرب .

فقال أبو بكر : أو كلكم رأيته هذا ؟

قالوا : نعم .

فقال أبو بكر . والله لأن أخرج من السماء فتخطفنى الطير أحب الى من أن يكون هذا رأيي ، قد انقطع الوحى ، وتم الدين ، أينقص وأنا حي ؟

خطاب للصديق بإعلان الحرب على مانعي الزكاة المرتدين :

صعد أبو بكر المنبر فحمد الله وأثنى عليه وكبر ، وصلى على النبي وقال موجها كلامه للناس :

« أيها الناس من كان يعبد محمدا فان محمدا قد مات ومن كان يعبد الله فان الله حي لا يموت

أيها الناس ، الآن كثر أعدائكم وقل عددكم ، والله ليظهرن هذا الدين على الأديان كلها ولو كره المشركون قوله الحق ووعده الصديق .

(بل نقذف بالحق على الباطل فيدمغه فإذا هو زاهق ولكم الويل مما تصفون) (الأنبياء / ١٨) .

و " كم من فئة قليلة غلبت فئة كثيرة باذن الله والله مع الصابرين) (البقرة من ٢٤٩)

أيها الناس ، لو أفردت من جمعكم لجاهدتهم في الله حق جهادهم حتى أبلغ من نفسي عذرا أو أقتل مقتلا . .

أيها الناس ان من حولكم من العرب منعوا شأنتهم وبغيرهم ، ولم يكونوا في دينهم - وان رجعوا اليه - أزهدهم منهم يومهم هذا ، ولم تكونوا في دينكم أقوى منكم يومكم هذا على ما تقدم من بركة نبيكم صلى الله عليه وسلم . وقد وكلكم الى المولى الكافي الذي وجدته ضالا فهداه وعائلا فأغناه .

" وكنتم على شفا حفرة من النار فأنقذكم منها " (آل عمران من / ١٠٣) .

والله لا أدع أن أقاتل على أمر الله حتى ينجز الله وعده ويوفى لنا عبده ، ويقتل من يقتل منا شهيدا من أهل الجنة ، ويبقى من بقى منا خليفته وذريته في أرضه .

" وعد الله الذين آمنوا وعملوا الصالحات ليستخلفنهم في الأرض " (النور / من ٥٥)

و " يا أيها الذين آمنوا من يرتد منكم عن دينه فسوف يأتي الله بقوم يحبهم ويحبونه " (المائدة / من ٥٤)

فتأثر الصحابة المعارضون وانصاعوا لرأى الخليفة راشدين .

تصميم الخليفة أنقذ الدولة من فتنة هوجاء :

أصدر الخليفة وصمم على مجاهدة المتنعيين عن أداء الزكاة فوق ما وعد في خطابه الأول بطاعة الله ورسوله ووقى باضرامه الاسلام والمسلمين من صدع كان سيحدث شروخا في عقيدة الاسلام وكان سيخل بتوازنات في المجتمع يحققها أداء الزكاة .

فعدم أداء الزكاة يهدم أحد الأركان الخمس التي يقوم عليها الإسلام ويؤدى الى عصيان الله بعدم طاعته فيما أمر به من أداء الزكاة ومخالفة رسول الله فيما سنه من تطبيقات لأنواع الزكاة ، ويعرض المخالفين لعقاب الله وسخطه في الدنيا والآخرة ، ولن استجاب لهم الخليفة الأول لتحمل أمام الله عاقبة اقرارهم لما طلبوا .

وعدم أداء الزكاة يضيع حقاً قررده الله سبحانه وتعالى للفقراء والمساكين في أموال الأغنياء ويضيع فرصاً كانت ستتاح للعبيد والأماء ليتمتعوا بالحريّة كسائر المسلمين باعتبارهم من مصارف الزكاة وهو مصرف « وفي الرقاب » والامتناع عن أداء الزكاة كان أيضاً يهدر مجالات لامكانية اصلاح حال الفارين الذين ركبهم الدين في عمل مشروع وعجزوا عن الوفاء وقد ذكرهم الله جل وعلا ممن يؤدى لهم الزكاة .

وإذا كانت الزكاة تحقق التكافل الاجتماعي في المجتمع بين الأغنياء والفقراء ، الأولون بما أعطوا والآخرين بما أخذوا وتمنع الحسد والبغضاء بينهم ، وتدعم المجتمع الاسلامي بما ينفق منها على المؤلفة قلوبهم فيالفرح الاسلام والمسلمين ويمنعون عنهم حقدهم وشئورهم ، وتعين المسلم الغريب المنقطع عن أهله وماله حتى يصل الى بلده ، فإن الامتناع عن الزكاة يخل بتوازن المجتمع لانعدام التكافل الاجتماعي ولانحصار تألف القلوب ولانقطاع حبال التعاون بين الأفراد .

ثم ان بيت المال كانت ستقل موارده بسبب انقطاع حصيلة الزكاة من الممتنعين عن الأداء وكان من الممكن أن يقتدى المستجيبون للأداء بالممتنعين لو أقر الخليفة الأول امتناعهم . فاصرار الخليفة الأول على جهاد الممتنعين عن أدائها وقى الاسلام والمسلمين فتنة هوجاء كانت ستموج موج البحر .

معـسـارك قـبـيـلـت الزكاة :

عرف رسل مانعى الزكاة أن جند المسلمين بالمدينة قليل ، فقد أمر الخليفة جيش أسامة بن زيد الذي أعده رسول الله صلى الله

عليه وسلم بتنفيذ أوامر الرسول قبل موته فغادر المدينة ، فلما عاد الرسل لقبالئهم زينوا لهم مهاجمة المدينة لإجبار أبي بكر على الموافقة على امتناعهم عن أداء الزكاة وعدم مطالبتهم بها . . .

وبفراصة المؤمن أحسن الخليفة في وجود رسلهم الغدر فاحتاط لهم فجعل على حدود المدينة حراسا من الصحابة لحراستها وهم على بن أبي طالب والزبير بن العوام وطلحة بن عبد الله وعبد الله ابن مسعود .

وعبأ أهل المدينة حتى لا يؤخذون على غرة فأمرهم بحضور المسجد ، فلما حضروا وقال لهم :

« ان الأرض كافرة(٣) وقد رأى وفسدهم منكم قلة ، وانكم لا تدرن أليلا تؤتون أم نهارا ! وأدناهم منكم على بريد ، وقد كان القوم يأملون أن نقبل منهم ونوادعهم وقد أبينا عليهم ، ونبذنا عليهم عهدهم فاستعدوا وأعدوا » . .

بعد ثلاثة أيام أغار المرتدون على المدينة ليلا فتصدى لهم من كانوا على حدودها وأخبروا أبا بكر بزحفهم فأرسل اليهم أن الزموا أماكنكم ففعلوا ، وخرج إلى المغيرين فانهزم العدو وفشلت غارتهم فاتبعهم المسلمون على أبلهم وردوهم عن المدينة .

غير أن جموع مانعى الزكاة تمكنوا بحيلة صنعوها لأبل المسلمين من حملها بمن عليها على العودة إلى المدينة فقد كانت الأبل التي يحارب عليها المسلمون ليست أبل حرب ولا خيرة لها بمكايد الحرب وحيلها ، فجاءوا بجلود رقيقة ونفخوها وأحكموا إغلاقها فأصبحت كرات كبيرة ، ثم قذفوا بها أبل المسلمين فاضطربت وفرت مذعورة للمدينة . . .

ظن مانعوا الزكاة بالمسلمين الوهن وبعثوا إلى أهل ذي القصة يخبرونهم بذلك فقدموا عليهم وانضموا لهم .

(٣) كافرة أى مظلمة .

غير أن أبا بكر لم ينم ليلته وصار يتهيا لإعادة الكرة على الأعداء وعباً الناس ثم خرج اليهم ليلاً ، فما طلع الفجر الا وهم والعذر في صعيد واحد وكان العدو في سبات عميق فلم يسمع للمسلمين همساً ولا حساً فوضع المسلمون في الأعداء السيفوف وأمعنوا فيهم القتل ، فما طلعت الشمس حتى ولوا الأدبار وتبعهم أبو بكر حتى نزل بذى القصة وهم يفسرون أمامه • وكان أول الفتح (٤) •

القبائل الممتنعة تؤدى الزكاة طائفة للخليفة الأول :

ازداد المسلمون في المدينة بالانتصار عزا وثباتا على دينهم وأقبل كثير من وفود القبائل تؤدى زكاتها الى خليفة رسول الله صلى الله عليه وسلم معلذين التزامهم بإقامة الصلاة وإيتاء الزكاة ، ومن هذه الوفود وفود صفوان والزبيرقان وعدى •

وتجلى للمسلمين منزلة أبى بكر وحسن اختيارهم له وفي ذلك قال عبد الله بن مسعود :

« لقد قمنا بعد رسول الله صلى الله عليه وسلم مقاما كدنا نهلك فيه لولا أن الله من علينا بأبى بكر ، أجمعنا ألا نقاتل على ابنة مخاض وابنة لبون ونعبد الله حتى يأتينا اليقين فعزم الله لأبى بكر على قتالهم فوالله ما رضى منهم الا بالخطبة المخزية أو الحرب المجلية » (٥) •

الخليفة الأول خير قدوة لتعقب المتهربين حاليا من الضرائب :

وإذا كان بعض الممولين حديثا يتهربون من أداء الضرائب التى فرضتها الدولة عليهم بطرق عديدة كالتحايل والتدليس والغش وأخفاء أنشطتهم الخاضعة للضرائب كليا أو جزئيا وعدم اثبات

(٤) مقتبسة من الطبرى جزء ٣ مرجع سابق ص ٢٤٤ - ٢٤٦ •

(٥) الخلفاء الراشدون - تأليف د/ عبد المقصود نصار وأخرى ص ٢٣

نقلا عن ابن الأثير الكامل ج ٢ ص ٢٤٣

كافة الحقائق في دفاترهم التي تصور أنشطتهم ، فمن الواجب على الدولة أن تتعقبهم بكافة الطرق لكشف طرق تهريبهم حتى يؤدوا ما عليهم من التزامات مالية للوطن طاعتين .

ومن بيدهم أمر الدولة لهم في الخليفة الأول أبي بكر الصديق قدوة حسنة حينما حارب الممتنعين عن أداء الزكاة وهزمهم وأدوها راغمين ، بل لقد تقدم بنفسه الصفوف وصمم على القيادة بالزعم من خشيّة الصحابة عليه .

فقد قالوا له : ننشدك الله يا خليفة رسول الله أن تعرض نفسك ، فإنك إن تصب لم يكن للناس نظام ومقامك أشد على العدو فابعث رجلا فإن أصيب أمرت آخر .

فقال : لا والله لا أفعل ولا أواسينكم بنفسى (٦) .

جهاد باقي المرتدين :

انتصار الخليفة في معركته الأولى مع الممتنعين عن أداء الزكاة وأرادوا غزو المدينة ، أوضح جليا أن الجهاد هو الحل للمشاكل العامة التي أحاطت بالدولة بسبب الردة ، فاستمر الخليفة يدير بنفسه عملية الجهاد تخطيطا وتعبئة وتنظيما ورقابة ليقتضى على الردة في أنحاء الجزيرة العربية ويستأصلها من جذورها وذلك على النحو التالي :

تخطيط الصديق للجهاد :

ففى تخطيطه لجهاد المرتدين أعد البعوث وعقد أحد عشر لواء على النحو التالي :

عقد لخالد بن الوليد وأمره بطليحة بن خويلد فاذا فرغ سار الى مالك ابن نويرة بالبطاح .

(٦) الطبرى - مرجع سابق - ص ٢٤٧ .

- وعقد لعكرمة ابن أبى جهل وأمره بمسيلمة
- وعقد للمهاجر ابن أمية وأمره بجنود العنسى
- وعقد لخالد بن سعيد بن العاص وبعثه الى الحمقتين من مشارف الشام
- وعقد لعمر بن العاص وبعثه الى جماعة قضاة روديعة والحرث
- وعقد لحذيفة بن محصن الغلفاني وبعثه الى أهل دبا
- وعقد لعرفجة بن هرثمة وأمره بمهرة
- وبعث شرحبيل بن حسنة في أثر عكرمة بن أبى جهل وقال له « اذا فرغت من اليمامة فالحق بقضاة وأنت على خيلك تقاتل أهل الردة »
- وعقد لطريفة بن حاجز وأمره ببني سليم ومن معهم من هوزان
- وعقد لسويد بن مقرن وأمره بتهامة اليمن
- وعقد للعلاء بن الحضرمي وأمره بالبحرين

فكانت خطة شاملة تهدف الى استئصال الردة من المجتمع الاسلامي ، وقد قامت الخطة على تحديد مناطق المرتدين وارسال مجاهدين لكل منطقة تحت أمره قيادة قادرة على سحق المرتدين اذا لم يستجيبوا الى الرجوع لدين الله طائعين بعد ان يتلق القائد كتابا أعده أبو بكر الصديق رضى الله عنه وزود به القواد ليتلوه كل منهم على المرتدين في منطقته الكنى وجه اليها يدعوهم فيه الى العودة لدين الله والا قاتلهم القائد وجنوده وأحرقهم بالنار وسبى النساء والعذراي(٧)

(٧) المرجع السابق من ١٤٩ - ٢٥١ •

تنظيم الصديق للجهاد :

وكان أبو بكر الصديق رضى الله عنه يحسن اختيار القيادات على النحو الذى رأينا باعتبار أن القائد الكفاء أحد عناصر النصر ، فكان قواد المجاهدين فى عصره من صحابة رسول الله صلى الله عليه وسلم يجاهدون فى سبيل الله حق جهاده وينضم اليهم الجنود المجاهدون ومنهم من غزا مع الرسول فى غزواته وسراياه فتدربوا تدريبا وافيا على الجهاد والصبر حتى يجيء نصر الله والفتح ويدخل الناس فى دين الله أفواجا .

وكان أبو بكر الصديق رضى الله عنه يزودهم بتعليماته على النحو الذى أوضحناه فى الفقرة السابقة ، وبعد ذلك يفوض القواد فى إدارة المعارك وعقد الصلح اذا أراد الأعداء عدم القتال ودفع الجزية ان كانوا من أهل الكتاب وجمع الغنائم وإرسال الخمس الى بيت مال المسلمين وتوزيع الأربعة أخماس بين المجاهدين على نسق سنة رسول الله صلى الله عليه وسلم فى أسس التوزيع .

ونوضح فيما يلى نص عهد أبى بكر الصديق رضى الله عنه لكل أمير من الأمراء الاعد عشر الذين اختارهم لقيادة الحملات الموجهة لمحاربة أهل الردة :

بسم الله الرحمن الرحيم

هذا عهد من أبى بكر خليفة رسول الله صلى الله عليه وسلم لفلان حين بعثه فيمن بعثه لقتال من رجع عن الاسلام ، وعهد اليه أن يتقى الله ما استطاع فى أمره كله سره وعلايته ، وأمره بالمجد فى أمر الله ومجاهدة من تولى عنه ، ورجع عن الاسلام الى أمانى الشيطان بعد أن يعذر اليهم فيدعوهم بداعية الاسلام ، فان أجابوه أمسك عنهم ، وان لم يجيبوه شن غارته عليهم حتى يقرؤا له ، ثم ينبئهم بالذى عليهم والذى لهم ، فيأخذ ماعليهم ويعطيهم الذى لهم ، لا ينظرهم ولا يرد المسلمين عن قتال عدوهم ، فمن أجاب الى أمر الله عز وجل وأقر له قبل ذلك منه وأعانه عليه بالمعروف ، وانما

يقاثل، من كفر بالله على الاقرار بما جاء من عند الله ، فاذا اجاب الدعوة لم يكن عليه سبيل وكان الله حسيبه بعد فيما استسرى به ، ومن لا يجب داعية الله قتل وقوتل حيث كان وحيث بلغ مراغمه ، لا يقبل من أحد شيئاً اخطاه الا الاسلام ، فمن اجابه وأقر قبل منه وعلمه ، ومن أبى قاتله ، فان أظهره الله عليه قتل فيهم كل قتله بالسلح والنار ، ثم قسم ما أفاء الله عليه ، الا الخمس فانه يبلغناه ، وأن يمنع أصحابه العجلة والفساد ، وألا يدخل فيهم حشوا حتى يعرفهم ويعلم ما هم ، لا يكونوا عيينا ، ولئلا يؤتى المسلمون من قبلهم ، وأن يقتصد بالمسلمين ويرفق بهم في السير والمنزل ويتفقدتهم ، ولا يعجل بعضهم عن بعض ، ويستوحى بالمسلمين في حسن الصحبة ولين القول(٨) .

متابعة الصديق المعارك ورقابة نتائجها :

وكان الصديق يتابع المعارك وتأتيه نتائجها وترسل اليه خمس الغنائم ، ويسائل القواد اذا بلغه عنهم مالا يرضى .

فمن ذلك أنه بلغه أن خالد بن الوليد اثناء حربه المرتدين قتل مالك بن نويرة مع أنه في رأى البعض كان قد أسلم ثم تزوج امراته ، وكادت العرب تكثره زواج النساء في الحرب ، فلما علم بذلك عمر بن الخطاب رضى الله عنه أخبر الصديق رضى الله عنه بذلك وطلب منه أن يشيد خالد بن الوليد .

فقال أبو بكر الصديق رضى الله عنه : هيه يا عمر تأول فأخطأ فارفع لسانك عن خالد ودفع الصديق دية مالك بن نويرة .

وكتب الى خالد أن يقدم عليه ففعل وأخبره خبره فعذره وقبل منه وعنفه في التزويج الذى كانت تعيب عليه العرب .

وكان عذر خالد أن مالك بن نويرة كان بين الأسرى وفي ليلة ازداد بردها طلب من معاونيه تدفئة الأسرى فقتلوه ومنهم مالك

(٨) الطبرى - مرجع سابق - ص ٢٥١ ، ٢٥٢ .

ظنا منهم أن خالد أراد بذلك قتلهم ، وكانت في لغة كنانة إذا قالوا :
نُشروا الرجل فأدفعوه أى اقتلوه (٩) .

— وبعد انتصار خالد على مسيلمة الكذاب في حرب الردة
تزوج ابنة مجاعة بن مرادة بعد الصلح مع من بقى في اليمامة ،
فبلغ ذلك أبو بكر الصديق رضى الله عنه ، فكتب إليه كتابا يقطر
بالدم جاء فيه :

« لعمرى يابن أمخالد ، اذك لفارغ تنكح النساء ويفناء بيتك
دم ألف ومائتى رجل من المسلمين لم يجفف بعد »

فلما نظر خالد في الكتاب جعل يقول :

هذا عمل الأعيسر — يعنى عمر بن الخطاب — (١٠)

حسروب الردة :

ونوضح فيما يلى ملخصا للحروب التى وقعت في عهد الصديق
مع المرتدين باعتبارها لها علاقة بالمال العام وأحد مصادر موارد من
الزكاة ومن خمس الغنائم اذا تحقق النصر وجمعت الغنائم :

قتل الأسود العنسى مدعى النبوة :

كان الأسود العنسى كاهنا يقيم بجنوب اليمن ويصطنع فنونا
من الحيل يستهوى بها ويعباراته الجماهير ، لقب نفسه رحمان اليمن ،
وكان يزعم ان له شيطانا يظهره على خطط أعدائه ، وقد قيل انه تنبأ
وظهر أمره وقتل في عهد الرسول صلى الله عليه وسلم ، وقيل أنه
قام بثورته على الاسلام بعد قبض رسول الله صلى الله عليه وسلم .

فيقول اليعقوبى في تاريخه « أما الأسود بن عنزه العنسى فقد
كان تنبأ على عهد رسول الله . فلما بويع أبو بكر ظهر أمره وأتبعه »

(٩) الطبرى جزء ٣ — مرجع سابق — ص ٢٨٧ .

(١٠) المرجع السابق ص ٣٠٠ .

على ذلك قوم ، فقتله قيس بن مكشوح السردى وفيروز الديلمى ،
دخلا عليه منزله وهو سكران فقتلاه .

ويقول الطبرى فى إحدى الروايات : « فأول حرب كانت فى إرادة
بعد وفاة النبى صلى الله عليه وسلم كانت حرب العنسى ، وكانت
حرب العنسى باليمن » (١١) .

هزيمة طليحة الأسدي مدعى النبوة (١٢) :

— ادعى طليحة الأسدي النبوة فى حياة رسول الله صلى الله عليه وسلم ، وقد أرسل رسول الله صلى الله عليه وسلم ضحار بن الأزور ليتحد مع من بقى مسلما من بنى أسد ويقضى عليه وكان يقضى عليه لولا موت رسول الله صلى الله عليه وسلم انه عظم أمره بعد وفاته ، فقد انضمت اليه بالبزاة قبيلة عبس وذبيان بعد أن هزمهم أبو بكر الصديق رضى الله عنه بذى القصة ، وانضم اليه ناس من طى وجديلة وكذا عيينه بن حصن الفزارى فى عطفان وبذلك كبر سلطان طليحة وزادت جماعة المرتدين .

أرسل اليه أبو بكر الصديق خالد بن الوليد رضى الله عنهما يقود أربعة آلاف من المجاهدين من المهاجرين والأنصار . فرق الله جماعة طليحة ، فقد تمكن عدى بن حاتم الطائى الذى كان فى جيش المسلمين أن يثنى قبيلة طى وجديلة عن متابعتهم طليحة الكذاب وانضموا لجيش خالد وقاتل جيش خالد وجيش طليحة قتالا ضاريا فانصرف عنه عيينه بن حصن وجماعته بعدما اكتشفوا كذب طليحة وفر طليحة الى الشام حيث رجع بعد ذلك الى الاسلام وحسن اسلامه ، وأسر خالد عيينه من حصن وأرسله الى أبى بكر الصديق رضى الله عنه فعفا عنه .

وعادت القبائل الى الاسلام وطبق خالد القصاص فعاقب الذين اعتدوا على المسلمين أثناء ردتهم .

(١١) الصديق أبو بكر — محمد حسين هيكل ص ٧٦ وما بعدها .

(١٢) مقتبسة من الطبرى — مرجع سابق — ص ٢٥٣ ، ٢٥٧ .

غنيمة شرعية من المرتدين :

لما هزم طليحة بن خويلد الأسدي قدم الى أبى بكر وفد من قبيلة أسد وعطفان على أبى بكر يسألونه الصلح .

فخيرهم أبو بكر بين الحرب المجلية (أى الخروج عن جميع المال) والسلم المخزية (وهو القرار على الذل والصغار)

فقالوا له : هذه الحرب المجلية قد عرفناها ، فما السلم المخزية ؟

فقال : أن تنزع منكم الحلقة (السلاح) والكراع (الخيل) وتتركوا أقواما يتبعون أذناب الابل ، حتى يرى الله خليفة نبيه والمهاجرين أمرا يعذرونكم به . ونغرم ما أصبنا منكم (أى يصير ما أصبناه منكم غنيمة شرعية) وتردوا الينا ما أصبتم منا (أى يردوا ما نهبوا من عسكر المسلمين أثناء القتال) ، وتدوا قتلانا (أى تدفعوا دية قتلانا) وتكون قتالكم في النار .

فقام عمر بن الخطاب فقال : انك قد رأيت رأيا وسنشير عليك ، أما ما رأيت أن تنزع منهم الحلقة والكراع فنعم ما رأيت . وأما ما ذكرت أن يتركوا أقواما يتبعون أذناب الابل حتى يرى الله خليفة نبيه والمهاجرين أمرا بعذرتهم به فنعم ما رأيت . وأما ما ذكرت أن نغرم ما أصبنا منهم ويردوا الينا ما أصابوا منا فنعم ما رأيت ، وأما ما رأيت أن يدوا قتلانا وتكون قتالهم في النار ، فان قتلانا قتلوا على أمر الله ، أجورهم على الله ليست لهم ديات .

فتابع القوم عمرا

هزيمة مالك بن نويرة المرتد (١٣) :

— كان مالك بن نويرة في البطاح قد وادع سجاح بنت الحارث التي ادعت النبوة بعد موت رسول الله صلى الله عليه وسلم وكانت بالجزيرة في بني تغلب فاستجاب لها البعض وأقبلوا معها لتغزو

(١٣) الأموال لأبى عبيد — مرجع سابق — ص ٢٥٤ ، ٢٥٥ ، ٢٥٦ .

المدينة وفي طريقها راسلت مالك بن نويرة ودعته الى المروادة فأجابها
وثناها عن غزو المدينة وحملها على غزو احياء من بنى تميم *

وصل خالد بن الوليد الى البطح وبث سراياه فجاءته سرية
بمالك بن نويرة فقتله خالد وتزوج امرأته وقد أوضحنا الشك الذي
أحاط بأسلامه ومحاسبة أبي بكر الصديق رضي الله عنه لخالد بن
الوليد *

هزيمة مسيلمة المرتد ومدعى النبوة (١٤) :

— ادعى مسيلمة الكذاب النبوة في حياة النبي صلى الله عليه وسلم ، وقد ساعد على انتشار أمر مسيلمة زهار الرجال بن عنقوة
وكان قد هاجر الى النبي صلى الله عليه وسلم وقرا القرآن وفقه في
الدين فبعثه الرسول صلى الله عليه وسلم معلما لأهل اليمامة ويشد
من أمر المسلمين ويهاجم ادعاءات مسيلمة ، ولكنه انقلب على عقبيه ،
وادعى أنه سمع رسول الله صلى الله عليه وسلم يقول « انه قد أشرك
معه » فصدقته الناس واستجابوا لمسيلمة مادام قد أشرك مع رسول
الله طبقا لما رواه كذبا الرجال بن عنقوة وزاد أمره وكثر أتباعه
بعد وفاة رسول الله صلى الله عليه وسلم *

وجه أبو بكر الصديق رضي الله عنه عكرمة بن أبي جهل في
جيش الى مسيلمة وأردفه بلواء شرحبيل بن حسنة ، الا أن عكرمة
أسرع لملاقاة مسيلمة فهزم ، فوجه اليه الصديق رضي الله عنه خالد
ابن الوليد في جيش بلغ ثلاثة عشر ألفا فالتقى بجيش مسيلمة الكذاب
الذي بلغ أربعين ألفا في حرب شرسة واستمر القتال ثم برز خالد
أمام صفوف المسلمين ودعاهم للمبارزة ، فكان لا يبرز منهم أحد
الا قتله ودعا خالد مسيلمة وأرهقه فأدبر وعلاهم المسلمون فكانت
هزيمة المرتدين وقتل مسيلمة وفقد المرتدون أكثر من عشرين ألف
قتيل وكان قتلى المسلمين ألفا ومائتين *

وتتابع الباقون من اتباع مسيلمة على الاسلام والبراءة مما
كانوا فيه بعد أن صالح خالد بن الوليد من في الحصون على الذهب

(١٤) مقتبسة عن الخلفاء الراشدين — تأليف عبد المقصود نصار

والفضة ونصف السببي والحلقة والكراع وحائط من كل قرية ومزرعة على أن يسلموا (١٥) .

ويعتبر النصر على مسيلمة أهم خطوة في القضاء على الردة حيث تم النصر لبقية القواد في الجهات الباقية وهي :

ارتداد البحرين ونصر المسلمين :

ارتد أهل البحرين عن الاسلام ففر عامل الدولة الاسلامية العلاء بن الحضرمي مذنباً ، وفي عهد أبي بكر رده ثانية الى البحرين على رأس لواء من الألوية الاحد عشر لقتال المرتدين فيها فلما بلغ هو وجيشه البحرين وخندق المسلمون وخندق المرتدون ، كانوا يتبادلون القتال ثم يعودون الى خنادقهم ، وفي ذات ليلة وكان جيش المرتدين مغمذين في الشراب ، اقتحم المسلمون عليهم عسكرهم ووضعوا السيوف فيهم ، وفر الذين نجوا الى دارين . وتبعهم المسلمون فيالتقوا بالفارين ، فقاتلهم أشد القتال وانتصروا عليهم وسبوا العذرائ وساقوا الأموال التي بلغت كثرتها حدا جعل سهم الفارس ستة آلاف والراجل ألفين (١٦) .

ارتداد عمان ونصر جيوش أبي بكر :

كان قائد الردة في عمان ذو التاج لقيط بن مالك الأزدي ، وقد ادعى النبوة فوجه أبو بكر الى عمان حذيفة بن محصن الغلفاني ووجه عرفة بن هرة الى البارقى الى مهرة وأمرهما أن يسيرا معا وأن يبدعا بعمان وأمر أبو بكر عكرمة بن أبي جهل ليلحق بهما .

التقى جيش المسلمين بجيش المرتدين وكاد الظفر يتوج المرتدين لولا أن أقبل على المسلمين مدد عظيم من قبائل البحرين مما ضاعف قوتهم وانتصر المسلمون (١٧) .

(١٥) الطبري - مرجع سابق - ص ٢٩٨ .

(١٦) السديق أبو بكر - محمد حسين هيكل ص ١٦٢ .

(١٧) المرجع السابق ص ١٦٥ .

ارتداد مهرة وانتصار جيوش الصديق :

ترك عكرمة حذيفة بعمان وسار الى مهرة حيث ارتد الناس وبلغ مهرة ، فلقى جمعين يدعو كل منهما الآخر للانحياز لرؤسائه : وانضم أحد الجمعين الى عكرمة ، وقاتلوا الجمع الآخر قتالا عنيفا وانتصر المسلمون وأسروا وغنموا وكان فيما غنموا ألفا نجبيه وبعث عكرمة الخمس الى أبي بكر (١٨) .

تطهير اليمن من الردة :

كانت باليمن حركة للردة فلم يمه موت العنسي هذه الحركة ، وقد بُد من أزر الحركة التنازع على السلطان نتيجة للتنافس القديم بين اليمن والحجاز على من تكون له الكلمة العليا ، فسار عكرمة ابن أبي جهل من مهرة الى اليمن وسار المهاجر بن بنى أمية كذلك من المدينة الى اليمن فلما سمع أهل اليمن بمقدم هذين القائدين تحاذلوا ، وقبض المهاجر على قائدين كانا يتنافسان على الحكم وهما قيس بن عبد يقوت وعمرو بن معد بن كرب ، وأرسلهما أسيرين الى أبي بكر .

ثم سار المهاجر حتى نزل صنعاء وتعقب العصايات المتمردة وكان عكرمة قد استقر بجنوب اليمن وبذلك عاد الأمن لليمن كلها (١٩) .

قتال المرتدين في كنده وحضرموت :

قبض رسول الله وكان عماله على تلك البلاد ، وكانت كنده لجاورتها اليمن قد استجابت لدعوة الأسود العنسي ، فلما مات النبي فشلت الردة أراد زياد بن أبيد قمعها ونجح في ذلك ، ولكن أحب زعماء البلاد الأشعث بن أيس قاتل زيادا ، فاستنصر زياد

(١٨) المرجع السابق ص ١٦٧ .

(١٩) مقتبسة من المرجع السابق ص ١٧٢ ، ١٧٣ .

بالمهاجر بن أمية فاتاه من صنعاء ، وسار عكرمة أيضا بجيشه فالتقيا بمأرب ، فاستخلف المهاجر عكرمة على الجيش والتقى بجيش زياد فهاجم الأشعث وهزمه وقتل رجاله ففروا منه والتجأوا الى أحد الحصون .

انضم عكرمة بجيشه الى جيش زياد والمهاجر وانتصر جيش المسلمين وأسر الأشعث وأرسل الى أبي بكر فأسلم وعفا عنه .

وأقام المهاجر وعكرمة بحضرموت وكذبه حتى اطمأنت الأمور واستقر الأمن ، فكان ذلك آخر حروب الردة (٢٠) .

الفصل فى حروب الردة ثبت المالية العامة للدولة :

بانتهاء حروب الردة بنصر المسلمين تم ترابط الدولة الاسلامية بانضواء القبائل المنشقة تحت لوائها ، واستقر الاسلام في النفوس المرتدة . وثبت ركن الاسلام الذى أصابه الاهتزاز وهو الزكاة ، وبثباته عادت للمالية الاسلامية ثباتها وزال عنها اهتزازها ، فاستقر في نفوس الملزمين بها أنها فريضة فرضها الله جل وعلا ، ولم تكن تؤدى لرسول الله صلى الله عليه وسلم بصفتها الشخصية ، وإنما مستمرة بعد وفاته وتؤدى طواعيه وإذا امتنع بعض المسلمين عن أدائها يكرههم رئيس الدولة الاسلامية على الأداء وأيقن الذين كانوا مهتبعين عن أدائها أنها ليست جزية أو أثاوة تدفع للحكومة بالمدينة ، ف لترسل الدولة بعد انتصارها على المرتدين مصدقيها لجمع الزكاة كما كان يفعل رسول الله صلى الله عليه وسلم وليؤديها المسلمون كاملة غير منقوصة كما كانوا يؤدونها للرسول ولا ينقصونها عقلا واحدا كما قال الصديق حينما صمم على قتال المرتدين .

أما أعناق أهل الكتاب التى كانت قد اشرأبت بعد موت رسول الله صلى الله عليه وسلم لتستطلع تطون الأحوال وتنتهز الفرصة

(٢٠) مقتبسة من المرجع السابق ص ١٧٣ وما بعدها .

للتتحال من الأعباء المالية التي فرضتها عليهم معاهدات الصلح مع الدولة الإسلامية ، هذه الاعناق عادت الى الاعتدال فعليهم أن يؤدوا ما استحق عليهم من جزية وهم صاغرون ، ولن تبغى عليهم الدولة الإسلامية أو تعذبهم فقد نهى رسول الله صلى الله عليه وسلم عن ذلك ، وخليفته يطبق القرآن ويتبع السنة في إدارة الدولة وفي جبايات أموالها ، زكاة من المسلمين وجزية وخراجا من أهل الكتاب .

الفصل الثاني

مجاهدون جاهدوا لتثبيت الزكاة مع الصديق (١)

نماذج من أبطال جاهدوا المرتدين وثبتوا الزكاة :

تحقق نصر الله على مدعى النبوة والمرتدين ، وعلت كلمة الله ، وتماسكت الدولة الإسلامية وثبتت ماليتها العامة ، وعادت الزكاة المفروضة تتدفق ثانية للدولة بتصميم الخليفة الأول على الجهاد وإدارته الراشدة لسياسته ، واستماتة المجاهدين لتحقيق النصر ، واستشهد بعضهم وعلت كلمة الله .

ونورد فيما يلي نماذج من بعض هؤلاء المجاهدين :

عمار بن ياسر :

— كان اسلام عائلته مبكرا وأخذوا نصيبهم الأوفى من عذاب قريش وأهوالها تحت رمضاء مكة الملتهية وكان نصيب أمه سمية فادحا وكان عمار يعذب حتى لا يدرى ما يقول .

(١) بيانات الأبطال الذين ورد ذكرهم تباعا مقتبسة من كتاب حول الرسول — خالد محمد خالد طبعة دار الريان للتراث .

— كان الرسول يخرج الى أسيرة ياسر وقال لهم « هدموا آل ياسر فإن موعدكم الجنة » .

— قال رسول الله صلى الله عليه وسلم عن عمار :

« ان عمارا ملئ ايمانا الى مشمشه (أى الى ما تحت عظامه) » .

« من عادى عمارا عاداه الله : ومن أبغض عمارا أبغضه الله »

« اقتدوا بالذين من بعدى أبى بكر وعمر واهتدوا بهدى عمار » .

— وبعد أن ذهب رسول الله صلى الله عليه وسلم الى الرفيق الأعلى جاهد فى سبيل الله وفى يوم اليمامة قطعت إحدى أذنيه بسيوف المرتدين فى حرب اليمامة ، وكان يوم اليمامة من أيام عمار المجيدة .

يقول عبد الله بن عمر رضى الله عنهما :

« رأيت عمار بن ياسر يوم اليمامة على صخرة وقد أشرب يصيح :

يا معشر المسلمين .. أمن الجنة تفرون ؟ أنا عمار بن ياسر ، هلموا الى .. فنظرت اليه ، فإذا أذنه مقطوعة تتأرجح ، وهو يقاتل أشد القتال !!

زيد بن الخطاب :

أخو عمر بن الخطاب الأكبر

سبقه الى الاسلام

لم يتخلف عن رسول الله صلى الله عليه وسلم فى مشهد أو غزاة

يوم اليمامة دفع خالد بن الوليد لواء الجيش اليه

عندما بليت المعركة أول الأمر على المسلمين ، علا ربة هناك وصاح فى اخوانه :

«أيها الناس .. عضوا على أضراسكم واضربوا في عدوكم .
 .. وامضوا قدما .. والله لا أتكلم حتى يهزمهم الله ، أو ألقاه
 سبحانه فأكلمه بحجتي »

أطاح بسيفه رأس الرجال بن عنفة وكان الرجال - كما سبق
 أن ذكرنا - قد أرسله أبو بكر لأهل اليمامة ليثبتهم على الاسلام ولكنه
 انقلب على عقبيه ودعم سلطان مسيلمة وادعى أنه سمع رسول الله
 صلى الله عليه وسلم يقول قيل مرته « انه أشرك مسيلمة بن حبيب
 في الأمر » فكان لموته أثر كبير في تحديق النصر .

بعدها سقط زيد شهيدا في معركة اليمامة .

البراء بن مالك :

هو أخو أنس بن مالك خادم رسول الله صلى الله عليه وسلم
 قال رسول الله صلى الله عليه وسلم عنه :
 « رب أشعث أغبر ذي طمرين ، لا يؤبه له ، لو أقسم على الله
 لأبرد منكم البراء بن مالك .. »

انطلق يوم اليمامة يجندل أتباع مسيلمة الكذاب .
 لما سرى في صفوف المسلمين شيء من الجزع صاح البراء :
 « يا أهل المدينة ..
 لا مدينة لكم اليوم ..
 إنما هو الله والجنة »

ولما احتفى المرتبون بحديقة كبيرة دخلوها ولأزوا بها ، اعتلى
 جدار الحديقة وألقى بنفسه داخل الحديقة واقتحمته جيوش الاسلام .
 وتلقى جسده بضعا وثمانين ضربة وظل بعد المعركة شهرا كاملا
 يشرف خالد على تمريره ..

استشهد في عصر أمير المؤمنين عمر بن الخطاب في موقعه
 .. ستر ..

ثابت بن قيس :

— كان ثابت خطيب رسول الله والاسلام

— شهد مع رسول الله غزوة (أحد) والمشاهد بعدها .

— لما نزلت الآية الكريمة « ان الله لا يحب كل مختال فخور »
(لقمان من / ١٨) أغلق عليه بابه وظل يبكي لأنه كان يحب الثياب
الجميلة وخشى أن يكون من المختالين ، فلما علم الرسول صلى الله
عليه وسلم بذلك قال له :

« انك لست منهم ... بل تعيش بخير ... وتموت بخير ...
وتدخل الجنة »

— ولما نزل قول الله تعالى :

(يا أيها الذين آمنوا لا ترفعوا أصواتكم فوق صوت النبي ...
ولا تجهروا له بالقول كجهر بعضكم لبعض ، أن تحبط أعمالكم وأنتم
لا تشعرون) (الحجرات / ٢)

أغلق ثابت عليه داره وطفق يبكي لأنه كان جهير الصوت

فلما علم رسول الله صلى الله عليه وسلم بذلك قال له :

« انك لست منهم ... بل تعيش حميدا ... وتقتل شهيدا ...
ويدخلك الله الجنة » .

— وفي موقعة اليمامة ، كان يحمل راية الانصار لما رأى هجوم
جيش مسيلمة الكذاب الخاطف على المسلمين أول المعركة صاح ثابت
بصوته الجهير :

« والله ما هكذا كنا نقاتل مع رسول الله صلى الله عليه وسلم »

ثم تحنط وكبس أكفانه وصاح مرة أخرى

« اللهم اني ابرأ اليك مما جاء به هؤلاء ... (يعنى جيش
مسيلمة الكذاب)

واعتذر اليك مما صنع هؤلاء .. (يعنى تراخى المسلمين فى القتال) .

وانضم اليه (سالم) مولى رسول الله صلى الله عليه وسلم وكان يحمل راية المهاجرين .. وحفر الاثنان لنفسيهما حفرة عميقة ثم نزلا فيها قائمين ، ووقفوا نصف كل منهما غائص فى الرمال ونصفهما الأعلى يستقبلان جيوش المرتدين ..

وراحا يضربان بسيفيهما كل من يقترب منهما من جيش مسيلمة حتى استشهدا فى مكانهما .

نسيبىة بنت كعب :

— بايعت رسول الله فى بيعة العقبة الثانية .

— أرسل رسول الله صلى الله عليه وسلم ابنها حبيب بن زيد الى مسيلمة الكذاب برده على رسالته بأنه أشرك فى الأمر مع رسول الله وأنه له نصف الأرض ، فرد عليه رسول الله صلى الله عليه وسلم بأن الأرض لله يورثها من يشاء من عباده والعاقبة للمتقين .

— عذب مسيلمة الكذاب الرسول وقطع جسده قطعة قطعة وعضوا عضوا لما لم يشهد أنه رسول الله .

— أطلقت أمه نسيبىة بنت كعب يميناً لتثأرن لولدها من مسيلمة الكذاب .

— خرجت مع جيش أبى بكر الذاهب لليمامة لملاقاة جيش مسيلمة ..

— ألقى بنفسها فى خضم المعركة فى يمنها سيفاً وفى يسراها رمح .

— ولما قتل مسيلمة كان جسدها قد حلىء بالجراح وطعنات الرماح ، ووقت بيمينها .

عباد بن بشر :

- عندما نزل « مصعب بن عمير » المدينة ليعلم الانتصار الذين بايعوا رسول الله صلى الله عليه وسلم على الاسلام كان عباد بن بشر رضى الله عنه واحدا من الابرار الذين اثار العلم قلوبهم .

- بعد هجرة الرسول صلى الله عليه وسلم كان في الصدوقف الاولى مع المجاهدين .

- قالت أم المؤمنين عائشة رضى الله عنها :

« ثلاثة من الانتصار لم يجاوزهم في الفضل أحد

« سعد بن معاذ

« وأسيد بن حضير

« وعباد بن بشر »

- في حروب الردة وقبل أن تبدأ معركة « اليمامة » بيوم رأى في منامه أن السماء قد فرجت له ثم أطبقت عليه ، فكان يوم اليمامة يصيح بالانتصار :

« احطموا جفون السيوف وتميزوا من الناس .. »

فلبى أربعمائة منهم نداءه فقادهم ثم استشهد وصدقته الرؤيا وتفتحت أبواب السماء لتستقبله .

خالد بن الوليد :

- كان يفتك بالمسلمين يوم أحد

- ثم هداه الله فذهب لرسول الله صلى الله عليه وسلم فسلم عليه بالنبوة فرد عليه السلام بوجه طلق فأسلم وشهد شهادة الحق .

فقال الرسول : قد كنت أرى لك عقلا رجوت ألا يسلمك الا الى خير ..

وبايح رسول الله وقال : استغفر لى كل ما أوضعت فيه من صد عن سبيل الله .

فقال الرسول صلى الله عليه وسلم : ان الاسلام يجب ما كان قبله . .

فقال خالد : يا رسول الله على ذلك ؟

فقال الرسول صلى الله عليه وسلم : اللهم اغفر لخالد بن الوليد كل ما أوضع فيه من صد عن سبيلك .

— قاد جيش المسلمين فى غزوة مؤتة بأرض الشام بعد استشهاد أبطالها الثلاثة زيد بن حارثة وجعفر بن أبى طالب وعبد الله ابن رواحة وقد نعام الرسول صلى الله عليه واخدا بعد الآخر ، ثم حمل الراية خالد بن الوليد :

قال الرسول صلى الله عليه وسلم :

« ثم أخذ الراية سيف من سيوف الله ، فتح الله على يديه » .

— وفى فتح مكة كان خالد أميرا على الجناح الأيمن من جيش المسلمين . .

— وبعد أن لحق الرسول الكريم بالرفيق الأعلى وواجه الخليفة الأول المرتدين كان خالد بن الوليد أحد المختارين لمجموعة ضخمة من المجموعات الاحدى عشر لجيوش المسلمين وقال له الخليفة :

« سمعت رسول الله يقول : نعم عبد الله ، وأخو العشيرة ، خالد ابن الوليد ، سيف من سيوف الله ، سله الله على الكفار والمنافقين »

— وفى الإمامة لما لم توفق بعض القوات المسلمة فى الانتصار على جيش مسيلمة الكذاب أمر الخليفة خالد أن يسير اليه ، وسار اليه خالد بالجيش ورجحت كفة الاعداء فى أول الأمر ، فاعتلى بجواده ربوة قريبة وأدرك نقاط الضعف فى جيش الاعداء ، فأعاد تنسيق مواقفه على أرض المعركة ونادى قواته :

« امتازوا ، لنرى اليوم بلاء كل حى »

وامتاز المهاجرون والآنصار جميعا

وتحول اتجاه المعركة وقتل « مسيلمة » وطويت الى الابد راية
الكذاب .

- وسنرى أن الخليفة وجهه ليمضى بجيشه صوب العراق ثم
بعد نصره أمره بالتوجه الى الشام ليقابل جيوش الروم وأبلى أحسن
البلاء وقاد جيوش الاسلام الى النصر .

- وفي أثناء قيادته جيش المسلمين في معركة اليرموك فوجيء
بأنبريد القادم من المدينة يحمل كتاب الخليفة الجديد عمر بن الخطاب
يبلغ تحية الفاروق للجيش وينعى خليفة رسول الله صلى الله عليه
وسلم أبا بكر الصديق رضى الله عنه والأمر بتنحية خالد عن القيادة
وتولية أبى عبيدة بن الجراح مكانه ، فانتظر خالد حتى تحقق النصر
وتقدم خالد من أبى عبيدة وقدم تحية الجندي لقائده .

- لم يكن أمير المؤمنين يأخذ على خالد من سوء ولكن كان
يأخذ على سيفه التسرع وبكاه يوم مات بكاء كثيرا .

الفصل الثالث

ادارة الصديق الزكاة بسنة الرسول

تطبيق الصديق سنة الرسول في مسائل الزكاة :

لم يشغل جهاد الصديق الممتنعين عن أداء الزكاة والمرتدين ،
عن ادارة أمور الزكاة طبقا لسنة رسول الله صلى الله عليه وسلم ،
فكان يبدى الراى لعماله فيما يرد اليه من مسائلها مستندا الى
السنة ، ويتضح ذلك مما يلى :

تعليمات مكتوبة من الخليفة الأول بشأن زكاة بعض الأموال :

كان الخليفة الأول يكتب كتباً توضح أحكام الصدقة لعماله
الذين يوجههم لأمور الولايات التابعة للدولة الإسلامية .

فيقول ثمامة بن عبد الله بن أنس ، أن أنسا حدثه ، أن أبا بكر
— رضى الله عنه — كتب له هذا الكتاب لما وجهه إلى البحرين :

« بسم الله الرحمن الرحيم

هذه فريضة الصدقة التى فرض رسول الله — صلى الله عليه
وسلم — على المسلمين — والتى أمر الله بها رسوله ، فمن سئلاها من
المسلمين على وجهها ، فليعطها ، ومن سئل فوقها فلا يعط :

في أربع وعشرين من الابل فما دونها من الغنم من كل خمس شاة ، اذا بلغت خمسا وعشرين الى خمس وثلاثين ففيها بنت مخاض (١) أنثى (٢) ، فاذا بلغت ستا وثلاثين الى خمس وأربعين ففيها بنت لبون (٣) أنثى ، فاذا بلغت ستا وأربعين الى ستين ففيها حقة طروقة الجمل (٤) ، فاذا بلغت واحدة وستين الى خمس وسبعين ففيها جذعة (٥) ، فاذا بلغت يعنى ستا وسبعين الى تسعين ففيها بنتا لبون ، فاذا بلغت احدى وتسعين الى عشرين ومائة ففيها حقتان (٦) طروقتا الجمل ، فاذا زادت على عشرين ومائة ففي كل أربعين بنت لبون ، وفي كل خمسين حقة ، ومن لم يكن معه الا أربع من الابل فليس فيها صدقة الا أن يشاء ربها ، فاذا بلغت خمسا من الابل ففيها شاة .

وفي صدقة الغنم في سائمتها (٧) اذا كانت أربعين الى عشرين ومائة شاة ، فاذا زادت على عشرين ومائة الى مائتين شاتان ، فاذا زادت على مائتين الى ثلاثمائة ففيها ثلاث (٨) ، فاذا زادت على ثلاثمائة ففي كل مائة شاة ، فاذا كانت سائمة الرجل ناقصة من أربعين شاة واحدة فليس فيها صدقة الا أن يشاء ربها .

(١) بنت المخاض : هي التي ائمت حولا ودخلت الثاني .

(٢) وصفها بالأنثى للتأكيد .

(٣) بنت لبون : ما ائمت حولين ودخلت الثالث .

(٤) طروقة الجمل : أي استحققت أن يطرقها ويفشاهما الفحل .

(٥) الجذعة : بفتح الجيم والدال هي ما ائمت الرابعة .

(٦) الحقة : بكسر الحاء هي ما ائمت الثالث .

(٧) السائمة : الراعية لا الملوقة .

(٨) أي ثلاث شياه .

وفى الرقعة (٩) ربع العشر فإن لم تكن إلا تسعين ومائة فليس فيها شيء إلا أن يشاء ربها (١٠) .

وبدراسة هذا الكتاب يمكن ابداء ما يلى :

— كان من الممكن للخليفة الأول رضى الله عنه أن يحيط العاملين بأحكام الزكاة شفويا ولكنه أثر ابلاغهم كتابة بأحكامها ، حتى يتحقق لمن يجبون الصدقات ومن يؤدونها التيقن من هذه الأحكام ، واليقين أحد السمات الهامة للفرائض المالية ، حتى لا تنشأ خلافات بين بيت المال وممثليه والممولين الذين يؤدون الصدقات •

— أوضح الكتاب أن الصدقة على المسلمين ، ومن المعروف أن الزكاة غير مفروضة على غير المسلمين •

— فتح الكتاب الباب للتطوع ، فبعد أن حدد النصاب وهو ما دونه عفو ليس عليه زكاة ، ترك لأصحاب الأموال إذا شاءوا أن يؤدوا ما يرون من الصدقات ، فقد يرى البعض أداء صدقات غير مفروضة على سبيل التطوع لوجه الله سبحانه وتعالى استجابة لقوله جل وعلا •

« ومن تطوع خيرا فإن الله شاكر عليم » (البقرة / من ١٥٨)

— لم يشمل الكتاب زكاة البقر وهى من الأنعام الخاضعة للزكاة ، ولم يذكر كذلك فئات زكاة الذهب واقتصر على الفضة ولم يذكر أنواعا أخرى من الزكاة كزكاة الزروع ، وقد يكون ذلك وزد يكتب أخرى للخليفة ، وقد يكون ذلك لوضوح فئاتها ومعرفة العاملين والممولين بها ، وقد يكون هذا الكتاب ردا على استدسار كان قاصرا على الأمور التى وردت به •

(٩) الرقعة : اى الفضة •

(١٠) « صحيح البخارى - الجزء الرابع ص ٤٠ ، ص ٤١ - اصدار

الجلس الأعلى للشئون الاسلامية »

بـ لتبسيط تطبيق ما ورد بكتاب الخليفة الأول يمكن ايضاح النصاب وهو ما دونه عفو والفئات الخاضعة ومقدار الزكاة الواجبة في جداول فيسهل حساب الزكاة المفروضة (١١) .

ترجيح اخضاع مال اليتيم للزكاة في عهد الصديق :

تجب الزكاة على كل مسلم باعتبارها فريضة مالية وعبادة من العبادات الاسلامية ، ولما كانت الزكاة عبادة مالية ، نشأ في عهد الصديق رضي الله عنه خلاف في مدى خضوع مال اليتيم للزكاة .

فرأى بعض الصحابة أن الزكاة عبادة من العبادات ، واليتيم هو من مات أبوه وهو طفل لم يبلغ الحلم ، فهو غير مكلف بالعبادات ومنها الزكاة اذا بلغ ماله نصابها ، وهم أولى بالرعاية والمواساة ، خصوصا وأن بعض آيات القرآن الكريم تدعو الى العطف على اليتامى والتحذير من اهانتهم الى الحد الذي جعل دع اليتيم (أى دفعه بعنف وجفوة) مظهرا من مظاهر التكذيب بالدين ، فقال تعالى :

« أرايت الذى يكذب بالدين ، فذلك الذى يدع اليتيم ولا يحض على طعام المسكين » (الماعون ١ ، ٢ ، ٣)

كما أن بعض الآيات تعرضت لأموال اليتامى فنهت في حالة ادارة أموالهم عن الأخذ منها الا بالمعروف اذا كان من يدير فقيرا أما اذا كان غنيا فليستعفف ، وأن من يأكل أموال اليتامى ظلما انما يأكل فى بطنه نارا وسيصلى سعيرا .

وكان رأى على بن أبى طالب رضى الله عنه ، خضوع مال اليتيم اذا بلغ نصابا للزكاة ، لأن الزكاة حق على المال وحده لأنواع من الناس حددهم في سورة التوبة في آية :

« انما الصدقات للفقراء والمساكين والعاملين عليها والمؤلفة قلوبهم وفى الرقاب والغارمين وفى سبيل الله وابن السبيل فريضة من الله والله عليم حكيم » (التوبة / ٦٠)

(١١) تم اعداد هذه الجداول في كتاب السياسة المالية للرسول ص ٦٦ ، ٦٧ طبعة الهيئة المصرية العامة للكتاب .

فحكمة فرض الزكاة تزكية المال، وتضييق ما بين الأغنياء والفقراء من فروق ومنع الأحقاد بينهم ، وتوثيق عرى الأخاء الذي نادى به الإسلام ، ومن خصليلتها ينفق ولي الأمر على الوجوه التي عدتها الآية السابقة ومنها في سبيل الله فيتمكن من القيام من تمويل رعايته لبعض شرائح الأمة وهو مسئول عن رعايتها ، فالأمر كله يتعلق بالمال فرضاً وتحصيلاً وإنفاقاً .

وقد أخذ الصديق برأى على رضى الله عنهما (١٢) .

الخليفة الأول يصدر تعليمات تفسيرية بشأن تحصيل أنواع من الزكاة :

أرسل أبو بكر الصديق رضى الله عنه كتاباً بتعليمات تفسيرية لبعض الحالات العملية التي نشأت في التطبيق ، فقد تكون أنواع الفئات المستحقة على الأنعام غير موجودة وبها أنواع أخرى موجودة فتقبل من مؤدى الزكاة وتقوم ، فإن كانت قيمتها أزيد من قيمة النوع المستحق ، أعطاه المصدق الفرق وإن كانت قيمتها أقل أخذ المصدق ما يكملها نقداً من صاحب الأنعام .

فقد حدث أنسا رضى الله عنه أن أبا بكر كتب له التي أمر الله ورسوله - صلى الله عليه وسلم (١٣) .

« ومن بلغت صدقته بنت مخاض وليست عنده وعند بنت لبون فأنها تقبل منه ، ويعطيه المصدق عشرين درهماً أو شاتين ، فإن لم يكن عنده بنت مخاض على وجهها (١٤) وعنده ابن لبون فإنه يقبل منه وليس معه شيء » (١٥) .

ويرجع منشأ ما ورد في هذا الكتاب الى أن زكاة الأنعام محددة على أساس عيني وتستأدى من نفس النوع الخاضع للزكاة وفي ذلك تسهيل على من يؤدى الزكاة ، وحديثاً تؤدى الضرائب التي تفرضها الدول على رعاياها نقداً .

(١٢) الصديق أول الخلفاء - مرجع سابق - الفصل الثامن .

(١٣) أى من حديث الصدقات .

(١٤) على وجهها : أى طبقاً لفئات الصدقة المستحقة .

(١٥) تجميع البخارى - مرجع سابق - جزء ٤ من ٣٦ ، ٢٧ .

تعليمات المصدق بشأن زكاة الخلطاء :

حدث أنس أن أبا بكر رضى الله عنه قد كتب له القى فرض رسول الله صلى الله عليه وسلم :

« وما كان من خلطين فانهما يتراجعان بينهما بالسوية »

ويتصل بهذا الحديث حديث للرسول صلى الله عليه وسلم رواه الدراقطني وهو :

« لا يفسق بين مجتمع ولا يجمع بين متفرق في الصدقة ، والخليطان ما اجتمع على الفحل والمرعى والحوض »

فالخلط من العادات المرعية في الأنعام ، فيكون لدى اثنين أو أكثر قطع من الغنم أو الإبل أو البقر فيتفقان معا على خلط نصيب كل منهما مع الآخر بحيث يجتمعان معا في الذهاب الى المرعى والعودة منه وفي المشرب وفي المبيت والفحل يكون للجميع كذلك (١٦) .

فقول رسول الله صلى الله عليه وسلم « لا يفرق بين مجتمع » يفسره الأوزاعي بمثال حسابي فيقول « لا ينبغي للمصدق اذا كان نفر ثلاثة لكل واحد منهم أربعون شاة وهم خلطاء أن يأخذ منهم أكثر من شاة واحدة ، ولا يفرق بينهما ثم يأخذ من كل أربعين واحدة » . وعن قول رسول الله صلى الله عليه وسلم « ولا يجمع بين متفرق » يقول الأوزاعي :

ان كان لكل رجل أربعون شاة على حدة فلا ينبغي لهم أن يجمعوها فيحدها المصدق مجتمعة فلا يأخذ منها الا شاة ، والواجب عليهم فيها ثلاث « (١٧) » .

(١٦ ، ١٧) من كتاب الاموال - لأبي عبيد القاسم بن سلام تحقيق محمد خليل هراس - ١٣٩٦ هـ - ١٩٧٦ م دار الفكر للطباعة والنشر ص ٤٨٤ .

ويرى البعض أن . لا يفرق بين مجتمع « منصب على الملكية
فاذا كانت ملكية الخطاء محددة بحيث يعرف كل منهم ما يملكه
من الأنعام حاسبهم المصدق على أساس ما ملك كل منهم وفى المثال
السابق يأخذ المصدق عن كل أربعين واحدة .»

أما إذا كانت الملكية مشاعة وغير محدد ما يملكه كل من
الخطاء فيحاسبهم المصدق على أساس العدد الكلى للخليط ، وفى
المثال السابق لا يأخذ منهم الا شاة واحدة .

فاذا تحددت قيمة الصدقة طبقا لأحد الآراء السابقة تنشأ
مسألة مقدار ما يتحمله كل مالك فى الصدقة المؤداة .

فيقرر أبو بكر الصديق رضى الله عنه استنادا لحديث
الرسول :

« وما كان من خليطين فإنهما يتراجعان بينهما بالسوية »

ونرى أن ينظر للموضوع من ناحية المصدق ومن ناحية
المقتصدق .

فمن ناحية المصدق يستأدى الصدقة اذا وجدت حالة الخطأ
على أساس الجمع ولا يفرق بين الخطاء .

ومن ناحية المقتصدقين يتحمل كل منهم نصيبه فى الصدقة بنسبة
ما يملكه كل منهم اذا كانت الملكية محددة واذا كانت غير محددة
فتتقسم بينهما بالتساوى (١٨) .

وقد رجحنا هذا الرأى لانه مطابق لنص الحديثين عن رسول
الله صلى الله عليه وسلم ، فضلا عن عدالته فى حالة وضوح ملكية
الخطاء .»

(١٨) انظر الآراء المختلفة فى كتاب الاموال لأبى مبيد - مرجع سابق -

صفحات من ٤٨٤ - ٤٩٢ .

الصديق ينهى عن أخذ ردىء الأموال في الصدقة :

حدث أنس رضي الله عنه أن أبا بكر رضي الله عنه كتب له الصدقة التي أمر الله رسوله صلى الله عليه وسلم .

« ولا يخرج في الصدقة هرمة ، ولا ذات عوار ، ولا تيس إلا ما شاء المصدق » .

والهرمة المسنة التي سقطت أسنانها .

والعوار ما ترد به الأنعام في الربيع بسبب المرض أو غيره .

والتيس هو الفحل .

ولا تؤخذ الهرمة والعوار لأنها من ردىء الأموال وفي أخذها كصدقة ظلم لبيت المال وظلم للفقراء والمساكين لأن الصدقات حقوق لهم ، فقد يرون بيعها ليشتروا بها سلعا ضرورية لهم فلا يستطيعون لأن المشترين سيبرقضمونها لأنها مسنة أو ذات عوار ، وإذا أكلوا منها قد تضرهم خصوصا إذا كانت مريضة ولا ضرر ولا ضرار في الإسلام .

وقد نهى رسول الله صلى الله عليه وسلم عن أخذ ردىء الأموال في الصدقة .

فغن وائل بن حجر - رضي الله عنه -

إن النبي صلى الله عليه وسلم - بعث ساعيا فأتى رجلا فأتاه فصيلا مخلولا (١٩) .

فقال النبي صلى الله عليه وسلم « بعثنا مصدق الله ورسوله وإن فلانا أعماه فصيلا مخلولا . اللهم لا تبارك فيه ولا في أبله » .

(١٩) فصيلا مخلولا : أي ولدا للناقة ضعيفا .

فبلغ الرجل ذلك فجاء بناقة حسناء

فقال (الرجل) : أتوب الى الله عز وجل والى نبيه صلى الله عليه وسلم .

فقال النبي صلى الله عليه وسلم : اللهم بارك فيه وفي ابله (٢٠) وان كانت لا تؤخذ ردىء الأموال في الزكاة فلا تؤخذ كذلك الزكاة من أجودها بل تؤخذ من أواسطها .

فقد نهى رسول الله صلى الله عليه وسلم عن أخذ الشافع من الأموال والشافع التي فى بطنها ولدها (٢١) .

وكانت تعليمات عمر بن الخطاب رضى الله عنه للمصدقين في عهده أن لا يأخذوا في الصدقة « الولود ولا الربقى ولا الأكيلى ولا فحل الغنم » (٢٢) لأن الولود من جياذ الأنعام لأنها تلد كثيرا فتزيد ثروة صاحب الأنعام ويزيد نتاج الثروة الحيوانية للمجتمع ، والأكيلى وهى التى تعزل للاكل فتعتبر بذلك من أجود الأنعام ، ونهى كذلك عن فحل الغنم (التيس) .

وقد نهى أيضا أبو بكر الصديق رضى الله عنه لضرورته لحمل الأنثى من الأنعام .

حجز الزكاة من المتبع في عهد الصديق :

قال القاسم بن محمد في حديث له « أما أبو بكر ، فكان اذا أراد أن يعطى الرجل شطاهه سألته : هل عنده مال قد حلت فيه الزكاة ؟

(٢٠) أخرجه الشافعى في سننه والبيهقى في السنن الكبرى - ورد في المنتخب من السنة ص ٣٣٢ - اصدار المجلس الأعلى للشئون الاسلامية .
(٢١) للتفصيل يرجع لكتابنا « السياسة المالية للرسول » اصدار الهيئة المصرية العامة للكتاب ص ٧٨ وما بعدها .
(٢٢) انظر كتاب الأموال لأبى حنيفة - مرجع سابق - ص ٤٧٩ - ٤٨١ .

فان أخبره أن عنده مالا قد حلت فيه الزكاة قاصه مما يريد أن يعطيه .

وان أخبره أن ليس عنده مال قد حلت فيه الزكاة سلم اليه عطاءه « (٢٣) » .

وبذلك سبق أبو بكر الصديق بتطبيق مبدأ الحجز من المنبع . وهو مبدأ يطبق حديثا فى بعض نظم الضرائب ، فتحجز الضرائب المستحقة على الايراد منه عند قبضه ويصرف الصافي لصاحب الايراد وتورد الضرائب المحجوزة من المنبع لمصالح الضرائب المختصة ، فاذا وزعت مثلا شركة مساهمة عوائد أو أرباح الأسهم على المساهمين وكانت هذه الأرباح والعوائد خاضعة للضرائب . خصمت الشركة الضريبة المستحقة ووردتها لمصلحة الضرائب المختصة ويصرف لحملة الأسهم الصافي بعد خصم الضرائب المستحقة .

ابتنا الصديق ساهمتا فى ايضاح احكام الصدقة :

-- مما نقلته أم المؤمنين عائشة بنت أبى بكر الصديق رضى الله عنهما عن رسول الله صلى الله عليه وسلم أحاديث عن الصدقة فساهمت فى ايضاح بعض أمورها للمسلمين ، فمما روى عنها عن الصدقة الأحاديث التالية :

-- قالت عائشة رضى الله عنها :

« دخلت امرأة معها ابنتان لها تسأل فلم تجد عندي شيئا غير تمر ، فأعطيتها أياها ، فقسمتها بين ابنتيها ، ولم تأكل منها ، ثم قامت فخرجت ، فدخل النبي - صلى الله عليه وسلم - علينا ، فأخبرته .. »

فقال : « من ابتلى من هذه البنات بشيء كن له سقرا من النار » (٢٤) .

(٢٣) المرجع السابق ص ٥٤ .

(٢٤) البخارى - جزء ١ - مخرج سابق ص ١٩

فلعل هذا الحديث يحدث أصحاب الأموال الممتنعين عن أداء الزكاة كلها أو بعضها أن يسارعوا بإدائها لأنها حقوق فقراء ومساكين قد لا يجدون ما يسدون به رمقهم هم وأطفالهم الجياع .

— وقالت عائشة رضى الله عنها :

أن بعض أزواج النبی — صلى الله عليه وسلم قلن للنبي — صلى الله عليه وسلم — : أينما أسرع بك لحوقا ؟

قال : « أطولكن يدا »

فأخذوا قصبية يذرعونها ، فكانت سودة (٢٥) أطولهن يدا ، فعلمنا بعد أنما كانت طول يدها الصدقة ، وكانت أسرعنا لحوقا به وكانت تحب الصدقة (٢٦) .

ولعل هذا الحديث يدخل في قلوب زوجات المسلمين حب أداء الزكاة المفروضة على ما يمتلكن من مال والتطوع بما يزيد وحث الأزواج على سرعة أداء زكاة أموالهم فيقتدى الأبناء بالآباء والأمهات .

— وقالت أم المؤمنين عائشة بنت أبي بكر رضى الله عنهما : قال رسول الله — صلى الله عليه وسلم :

« إذا أنفقت المرأة من طعام بيتها ، غير مفسدة كان لها أجرها بما أنفقت ، ولزوجها أجره بما كسب ، وللخازن مثل ذلك لا ينقص بعضهم أجر بعض شيئا » (٢٧) .

ويعني مسروق بحديث عائشة (إذا تصدقت المرأة الخ » (٢٨) .

(٢٥) هي أم المؤمنين سودة بنت زمعة — رضى الله عنها .

(٢٦) البخارى — جزء ٤ — مرجع سابق ص ١٩ .

(٢٧) المرجع السابق — ص ٢٢ ، ٢٣ .

(٢٨) المرجع السابق ص ٣٠ .

والصدقة وردت مطلقة في حديث الرسول صلى الله عليه وسلم
فقد يقصد بها صدقة التطوع أو الصدقة بمعنى الزكاة ، ومثل ذلك
أن تقوم الزوجة بإداء جزء من زكاة أموال زوجها على هيئة طعام
لفقراء مرضى أو لمساكين جوعى فلها أجرها بما أدت ولزوجها أجره
بما كسب وللخازن مثل ذلك لا ينقص بعضهم أجر بعض شيئاً •

— وقالت ذات النطاقين أسماء بنت أبي بكر رضى الله عنهما :

قال لى النبي — صلى الله عليه وسلم :

« لا توكى فيوكى عليك » (٢٩) •

والكلام على الاستعارة أى لا تمنعنى ما فى يدك فيمنع عنك الرزق،
لأن من أوكى على ما فى سقائه أن شده بالوكاء وهو الحبل الذى
يربط به رأس القرية « (٣٠) •

فلا يمتنعن عن أداء الزكاة ذو مال فما نقص مال من صدقة
والله يربى الصدقات •

— وقالت ذات النطاقين أسماء بنت أبي بكر رضى الله عنهما :

أنها جاءت الى النبي — صلى الله عليه وسلم — فقال :

لا توعى فيوعى الله عليك أرضخى ما استطعت »

ومعنى الحديث هو عدم الامساك لأنه من أوعيت الشيء جعلته
فى الوعاء حفظاً له فأستعير لذلك لمعنى الامساك والرضخ هو العطاء
اليسير ، فالرسول صلى الله عليه وسلم ينهى أسماء وسائر المسلمات
والمسلمين عن الإمساك ويأمر بالعطاء بدون تبذير (٣١) •

(٢٩) ، (٣٠) المرجع السابق ص ٢٦ •

(٣١) انرجع السابق ص ٢٧ •

والله جل وعلا يقول « فويل للمصلين ، الذين هم عن صلاتهم
ساهون ، الذين هم يراءون ويمنعون الماعون » (الماعون / ٤ ، ٥ ،
٦ ، ٧) .

فبجانب الزكاة المفروضة ، يمكن للمسلمات تلبية لدعوة الرسول
صلى الله عليه وسلم أن يعطين عطاء يسيرا ويمتنعن عن الامساك
استجابة لنهى الله جل وعلا عنه حتى لا تضيق عليهن ولا على
ازواجهن الأزواق .

الباب الرابع

الإيرادات العامة في عهد الصديق

من :

خمس الغنائم والجزية والخراج

الفصل الأول

استمرار الأيرادات العامة من خمس الفائت في عهد الصديق

يقين الصديق بفضل الجهاد :

أعلن الصديق في خطابه الأول أهمية الجهاد وقاوم به مانعي الزكاة والمرتدين وانتصر عليهم ولاشك أنه عندما أعلن ذلك كان يدور بخلداه فضل الجهاد كما توضحه آيات القرآن المجيد وسنن رسول الله صلى الله وسلم .

فالجهد يحقق فلاح الأمة استنادا لقول الله جل وعلا :

« يا أيها الذين آمنوا اتقوا الله وابتغوا إليه الوسيلة وجاهدوا في سبيله لعلكم تفلحون » (المائدة / ٣٥) .

ويحقق فضل الله سبحانه وتعالى كما أوضح في آية :

« يا أيها الذين آمنوا من يرتد منكم عن دينه فسوف يأتي الله بقوم يحبهم ويحبونه أئمة على المؤمنين أعزة على الكافرين يجاهدون في سبيل الله ولا يخافون لومة لائم ذلك فضل الله يؤتيه من يشاء والله واسع عليم » (المائدة / ٥٤)

ويأتى الجهاد بالخير للمجاهدين الذين ينفرون خفافا وثقالا بأموالهم وأنفسهم فى سبيل الله ، كما بينه القرآن المجيد فى قول الله سبحانه وتعالى :

« انفروا خفافا وثقالا وجاهدوا بأموالكم وأنفسكم فى سبيل الله ذلكم خير لكم ان كنتم تعلمون » (التوبة / ٤١) •

والجهاد هو التجارة التى تنجى من العذاب الأليم ، فقد قال تعالى :

« يا أيها الذين آمنوا هل أدلكم على تجارة تنجيكم من عذاب أليم ، تؤمنون بالله ورسوله وتجاهدون فى سبيل الله بأموالكم وأنفسكم ذلك خير لكم ان كنتم تعلمون » (الصف ١٠ ، ١١) •

ويمنع الجهاد مذلة الرقاب ، استنادا لحديث رسول الله صلى الله عليه وسلم :

« لأن تركتم الجهاد وأخذتم بأذناب البقر ، وتبايعتم بالعينة ، ليلزمنكم الله مذلة فى رقابكم لا تنفك عنكم حتى تتوبوا الى الله وترجعوا على ما كنتم عليه » (١) •

وللجهاد جزاء مادى فى الدنيا ، فقد أحل الله للمجاهدين الغنائم فقال سبحانه وتعالى :

« فكلوا مما غنمتم حلالا طيبا واتقوا الله ان الله غفور رحيم » (الانفال / ٦٩)

وقال رسول الله صلى الله عليه وسلم :

« لم تحل الغنائم لأحد سود الرؤوس قبلكم ، كانت تنزل نارا فتأكلها » (٢) •

(١) كتاب الجهاد للدكتور أحمد محمد الحوفى ص ٤٢ •

(٢) الاموال لأبى حنيفة ص ٣٨٦ •

نظام توزيع الغنائم :

وقد نظم الله ورسوله توزيع الغنائم طبقا للقواعد التالية :

— يفرق بين الفئى والغنائم ، فالفئى هو ما حصل علىه المسلمون من العدو بدون حرب فلم يوجف المسلمون عليه بخيل ولا ركاب فكان ذلك لرسول الله صلى الله عليه وسلم ، فلما أفاء الله عليه بأموال بنى النضير كان ينفق على أهله نفقة سنة وما بقى جعله فى الكراع (٣) والسلاح عدة فى سبيل الله (٤) وبعد وفاة رسول الله صلى الله عليه وسلم يؤول للدولة كإيراد من إيراداتها العامة .

— أما الغنيمة أو الذفل فهى ما يستولى عليه جيش المسلمين من العدو فى الحرب ، وفيما يلى قواعد التصرف فيه :

— إذا انفرد المسلم بقتل المشرك وأقام البيعة على ذلك ، فيكون له سلبه كله من غير أن يشركه فيه أحد من سائر المشركين فى المعركة ، ويقصد بالسلب ما كان على القتل من ثياب أو سلاح وكذلك فرسه الذى قاتل عليه بأداته أى سرجه ولجامه وغيرهما .

وذلك استنادا لحديث رسول الله صلى الله عليه وسلم .

فعن أبى قتادة أن رسول الله صلى الله عليه وسلم قال يوم حنين :

« من قتل قتيلا له بيعة فله سلبه » (٥) .

— إذا عاونت النساء فى المعركة بالسقى ، أو عاون الرعاة والادلاء بارشاد الجيش عن مواقع العدو وآثاره فيعطون من الغنيمة قبل التوزيع شيئا قليلا ولا يضرب لهم بسهم لأنهم لم يحاربوا .

(٣) الكراع اسم لجميع الخيل والسلاح .

(٤) الاموال لأبى عبيد ص ١٥ .

(٥) الاموال لأبى عبيد ص ٣٨٦ .

– يقول خمس التذيمة لمن سماهم الله جل وعلا في آية الخمس وهي :

« واعلموا أنما غنمتم من شيء فإن لله خمسه وللرسول ولذي القربى واليتامى والمساكين وابن السبيل ان كنتم آمنتم بالله وما أنزلنا على عبدنا يوم الفرقان يوم التقى الجمعان والله على كل شيء قدير (الأنفال / ٤١) »

– الأربعة أخماس الباقية توزع على الذين اشتركوا في المعركة على أساس للفارس ثلاثة أسهم باعتبار أن للفارس سهمين ولصاحبه سهم أو يكون التوزيع للفارس سهمان – للفارس سهم ولصاحبه سهم – ويكون التوزيع سهمًا واحدًا للمراجل (٦) .

اتمام بعث أسامه كان أول عمل للصدیق :

عاصر أبو بكر الصديق الجهاد مع رسول الله صلى الله عليه وسلم ووعى فضله وشارك في غزوات الرسول وشاهد بنفسه توزيعه للغنائم ، فلما ولي أمر المسلمين قاد الأمة للجهاد فأعلن ذلك في خطابه الأول كما ذكرنا وبدأ به أول عمل له في الدولة فكان أول أمر أصدره بعد أن تمت له البيعة هو :

« ليتم بعث أسامه »

فقد كان رسول الله صلى الله عليه وسلم جهز جيشًا من الأنصار والمهاجرين لغزو الروم بعد الذي كان بينهم وبين المسلمين في غزوة مؤتة واستشهد من قواته زيد بن حارثة وجعفر بن أبي طالب وعبد الله بن رواحه ثم داور خالد بن الوليد بالجيش حتى عاد به إلى المدينة سليما وإن لم ينتصر .

وأمر الرسول على الجيش أسامه بن زيد بن حارثة وكان حدثًا لما يبلغ العشرين ، وولاه الرسول ليجعل له من النصر ما يجزى به استشهاده أبيه بمؤتة ، وليعتاد الشباب الاضطلاع بالمسئوليات .

(٦) أنظر الموضوع بتوسع في كتابنا « السياسة المالية للرسول »

وأمر رسول الله صلى الله عليه وسلم أسامه أن يوطيء الخيل تخوم البلقاء والداروم من أرض فلسطين وأن ينزل على أعداء الله في عماية الصبح وأن يمعن فيهم قتلاً وأن يحرقهم بالنار وأن يتم ذلك بسرعة حتى لا تسبق إلى أعدائه أنباؤه ، فإذا تم له النصر فليسرع بالعودة غانماً مظفراً (٧) .

وحين وفاة رسول الله صلى الله عليه وسلم ، لم يكن جيش أسامه قد ابتعد عن المدينة مسافة كبيرة ، فلما علم من بالجيش بالوفاة انفرط الجيش وعاد المجاهدون للمدينة باكين ، وكان أسامة في نحو العشرين وتحت لوائه صحابة من السابقين الأولين في الاسلام ومتهم عمر بن الخطاب رضي الله عنه ، فطلب منه أسامة أن يستأذن الخليفة بالرجوع بالجيش ليبقى كبار الصحابة بجواره في هذه الأزمة التي وقعت بموت رسول الله صلى الله عليه وسلم ، وطلب من عمر بعض من في الجيش أن يطلب من الخليفة أن يولى رجلاً أكبر سناً من أسامة إذا صمم على مسيرة الجيش ، ذهب عمر بن الخطاب رضي الله عنه وأبلغ الخليفة ماطلب منه .

فقال أبو بكر رضي الله عنه مصمماً تصميماً قاطعاً لا رجعة فيه :

« والله لا أحل عقدة عقدها رسول الله صلى الله عليه وسلم ولو أن الطيور تخطفنا والسباع من حولي تأكلني ، ولو أن الكلاب جرت بأهيات المؤمنين لأجهز جيش أسامة ولن أؤرد قضاء قضى به رسول الله صلى الله عليه وسلم »

فلما أظهر عمر خشيته من رحيل الجيش والعرب مرتدون .

قال الصديق رضي الله عنه « يا عمر لو لعبت الكلاب بخلأخيل نساء المدينة ما رددت جيشاً أنفذه رسول الله صلى الله عليه وسلم » .

(٧) الصديق أبو بكر - طبعة سابعة - محمد حسين هيكل

ص ٨٧ ، ٨٨ .

فلما نقل اليه عمر رضى الله عنه رغبة البعض أن يولى عليهم
رجلا أقدم سنا من أسامة .

قال أبو بكر الصديق رضى الله عنه غاضبا غضبا شديدا
« تكلتك أمك وعدمتك يابن الخطاب (٨) ! استعمله رسول الله صلى
الله عليه وسلم وتأمرنى أن أنزعه ، كيف أؤمر غير من أمر رسول
الله » .

بهذا التصميم أدار الخليفة عجلة الجهاد لتنفيذ ما أمر به
رسول الله صلى الله عليه وسلم .

وقد حمس أبو بكر الصديق رضى الله عنه جيش أسامة بن زيد
بأن صحبه حتى وصل الى الجرف وكان ماشيا يقود دابته عبدالرحمن
ابن عوف وأسامة راكب .

فقال له أسامة : يا خليفة رسول الله والله لتركبن أو لأنزلن .

فقال الخليفة : والله لا تنزل والله لا أركب ! وما على أن أغبر
قدمى فى سبيل الله ساعة ، فإن للغزى بكل خطوة يخطوها سبعمائة
حسنة تكتب له وسبعمائة درجة ترتفع له ، وترفع عنه سبعمائة
خطيئة (٩) .

وكان الصديق يخطب البعوث يذكرهم بآيات الله ويعظهم
ويدعوهم الى صالح الأعمال والسباق اليها قبل انتهاء الآجال وأن
يأخذوا العبر ممن مات قبلهم فقد خطب وأوصى جيش أسامة فقال :

« يا أيها الناس ، قفوا أوصيكم بعشر فأحفظوها عنى : »

لا تخونوا ولا تغلوا ، ولا تغدروا ولا تمثلوا ، ولا تقتلوا طفلا
صغيرا ، ولا شيخا كبيرا ولا امرأة ولا تعقروا نخلا ولا تحرقوه ،
ولا تقطعوا شجرة مثمرة ، ولا تذبحوا شاة ولا بقرة ولا بعيرا الا
لأكله ، وسوف تمرن بأقوام قد فرغوا أنفسهم فى الصوامع ، فدعوهم

(٨) الطبرى - مرجع سابق - ص ٢٢٦ .

(٩) الطبرى - مرجع سابق - ص ٢٢٦ .

وما فرغوا أنفسهم له ، وسوف تقدمون على قوم يأتونكم بآنية فيها ألوان الطعام ، فإذا أكلتم منها شيئا بعد شيء ، فاذكروا اسم الله عليها ٠٠٠ » (١٠) .

وطلب من أسامة أن يترك له عمر بن الخطاب فتركه له وكان عمر في جيش أسامة .

وأوصى الصديق قائد الجيش أسامة بن زيد فقال له :

« اصنع ما أمرك به نبي الله صلى الله عليه وسلم ، ابداً ببلاد قضاة ثم آيت آبل ، ولا تقصرن في شيء من أمر رسول الله صلى الله عليه وسلم ، ولا تسجلن لما خلفت عن عهده » .

فمضى أسامة على ندى المروة والوادي وانتهى الى ما أمره به النبي صلى الله عليه وسلم من بث الخيول في قبائل قضاة والغارة على آبل ، فسلم وغنم ، وانتهى من مهمته في أربعين يوماً سوى ذهابه وإيابه (١١) .

فتوح لنشر دعوة الاسلام في عهد الصديق :

عندما تم للمسلمين القضاء على الردة في الجزيرة العربية كأن عليهم أن يبلغوا الناس بدعوة الاسلام بالقيام بالفتوح المختلفة بهدف نشر الدعوة الاسلامية للأمم وصيغها بالصيغة الاسلامية دون اكراه باعتمادها فاما الاسلام أو الجزية أو القتال ويضاف الى هذا الهدف الأصلي تأمين الدولة الاسلامية الوليدة من دسائس الذين يترصدون بها من اليهود والنصارى الذين اشترأبت اعناقهم بعد موت رسول الله صلى الله عليه وسلم وانتشار حركة الردة ومن احتمالات اعتداءات الفرس والروم وغيرهم الذين كانوا يتوقون الى اطفاء نور الله بايقاف المد الاسلامي والقضاء على الدولة الاسلامية الوليدة في عهدها بعد موت مؤسسها الأول رسول الله صلى الله عليه وسلم .

(١٠) الطبري - مرجع سابق - ص ٢٢٦ ، ٢٢٧ .

(١١) الطبري - مرجع سابق - ص ٢٢٧ .

وفيما ينى ملخص للفتوح الاسلامية في عهد ابي بكر الصديق
رضي الله عنه :

فتح العراق في عهد الصديق :

ابتدأت الفتوح في عهد الصديق رضي الله عنه بالجبهة الشرقية
من الفرس ووضع تخطيطا دقيقا لفتح العراق ثم مواصلة الجهاد
لفتح بلاد فارس بالاستيلاء على عاصمتهم المدائن وقدم الحواري
للقواد الذين بعث بهم لفتح فجعل السابق منهم الى الحيرة هو
الامير على الآخر .

فقد كتب الصديق في المحرم من السنة الثانية عشر الى خالد
ابن الوليد وقد أمره على حرب العراق أن يدخلها من أسفلها ، والى
عياض بن غنم وقد أمره على حرب العراق أن يدخلها من أعلاها ،
ثم يستبقا الى الحيرة ، فأيهما سبق الى الحيرة فهو أمير على
صاحبه .

وقال : « إذا اجتمعتما بالحيرة وقد فضضتما مسالح فارس ،
وأمنتما أن يوتى المسلمون من خلفهم ، فليكن أحكما رداء للمسلمين
ولصاحبه بالحيرة وليقتحم الآخر على عدو الله وعدوكم من أهل
فارس دارهم ومستقر عزهم المدائن » (١٢) وقد التقى المسلمون مع
الفرس في عدة مواقع بقيادة خالد بن الوليد تمكن المسلمون من
الانتصار فيها مع ضخامة جيوش الفرس بالنسبة لجيش المسلمين ،
ونلك كما يبين من المواقع التالية :

موقعة ذات السلاسل :

كان جيش خالد يضم ثمانية عشر ألف مسلم بعد أن انضم اليه
جند الثني بن حارثة الشيباني وأصحابه وبدأت الموقعة في كاظمة قرب
الحفير ، وكان قائد الاعداء هرمز فأراد أن يقضى على خالد فدعاه
للمبارزة وأعد له كميناً ليغدر به ولكن خالد تمكن من قتل هرمز

وتمكن حماسة خالد من قتل كمين هرمز وانهزم الفرس وتبعهم المسلمون يقتلونهم ويأسرونهم وأمر أبو بكر خالد أن يحسن إلى الأتلاحين فأقرمن لم يقاتل منهم وجعل لهم الذمة (١٣) .

موقعة المذار :

كانت واقعة المذار في صفر سنة اثنتى عشرة ويومئذ قال الناس :

« صفر الأصفار فيه يقتل كل جبار على مجمع الأنهار »

فكان هرمز عندما علم بقدم خالد أخبر أردشير ملك الفرس فأمدّه بجيش من المدائن بقيادة قارن بن قريانس ، وعندما وصل الجيش إلى المذار علم بهزيمة هرمز في ذات السلاسل فانضم إليه قلول جيش هرمز وهم مغبطون لهزيمتهم وعسكروا بالمذار فخرج اليهم خالد ودار القتال فنصر الله المسلمين وقتل قارن وعدد كبير من الفرس قدر بثلاثين ألفا سوى من غرق في النهر . وغنم المسلمون في هذه الموقعة غنائم كبيرة (١٤) .

موقعة الولجة :

بلغ أردشير نبأ هزيمة الفرس في المذار فأرسل جيشا بقيادة الأندرزغر وأردفه بجيش آخر بقيادة بهمن جاذويه ، وقد سسار الأندرزغر حتى وصل إلى الولجة وعسكر جنود آخرون إلى جانب جيشه في الولجة من أهالي البلاد .

سار إليه خالد بعد أن أعد كمينين من جيشه والتقى به في صفر من نفس السنة ودار بينهما قتال بالغ الضراوة ثم خرج كمينا خالد وهاجما الفرس فحلت بهم الهزيمة وتم نصر الله للمسلمين على الفرس ومن عاونوهم من عرب الضاحية وكانوا من نصارى بكر بن وائل (١٥) .

(١٣) الطبرى جزء ٣ - مرجع سابق - ص ٣٥٠ .

(١٤) الطبرى جزء ٣ - مرجع سابق - ص ٣٥١ ، ٣٥٢ .

(١٥) المرجع السابق ص ٣٥٣ ، ٣٥٤ .

موقعة الیس :

غضب العرب لمن قتل منهم فى الولجة فكاتبوا الفرس وحضوهم على قتال المسلمين فكتب أردشير الى بهمن جاذويه أن سر حتى تصل الیس بجيشك وانضم الى من اجتمع بها من فارس ونصارى العرب فأرسل بهمن الجيش بقيادة جابان الى أن يلحق به فنزل بالیس وانضمت اليه المسالحي التي كانت بازاء العرب ونصارى العرب وبعض عرب اهل الحيرة .

نهض اليهم خالد فأقتلوا قتالا شديدا ودعا خالد ربه « اللهم ان هزمتهم فعلى أن لا أستبقى من أقدر عليه حتى أجرى دمائهم فى نهرهم » فنصر الله المسلمين وبلغ قتلى الأعداء سبعين ألفا سال دمهم فى النهر فوق خالد بنذره (١٦) .

هضم امغيشيا :

لما فرغ خالد من وقعة الیس أتى امغيشيا وكان أهلها قد جلوا عنها فأمر خالد بهدمها ، فأصابوا منها أنفالا كثيرة ، فلما بلغ ذلك الصديق رضى الله عنه أخبر قريش بالخبر وقال :

« عدا أسدكم على الأسد فغلبه على خراذيله (١٧) ، أعجزت النساء أن ينسلن مثل خالد » (١٨) .

فتح الحسيرة :

انتصار خالد فى الیس فتح له الطريق ليستولى على الحيرة عاصمة العراق وكان مرزبان الحيرة قد احتاط لقدم خالد فحسبكر خارج الحيرة وأمر ابنه ليسد الفرات ولكن خالد قتله وأطلق ماء النهر ، هرب المرزبان وتابع خالد سيره حتى نزل الحيرة فوجد أهلها

(١٦) الرجوع السابق ص ٣٥٥ .

(١٧) الخراذيل : قطع اللحم .

(١٨) الرجوع السابق ص ٣٥٨ ، ٣٥٩ .

قد تحصنوا في قصورهم فوزع قواته على قصورهم وامرهم ان يبدؤهم بالدعوة للاسلام او الجزية او الحرب ، فأبوا ، فدارت مناوشات انتهت بأن عقد خالد صلحا مع نقيب أهل الحيرة تعهدوا فيه بأن يدفعوا مائة وتسعين ألف درهم في كل سنة وعلى المنعة ولما استقر الأمر بين خالد وأهل الحيرة اتته الدهاقين فصالحوه وتم للمسلمين بذلك الغلبة على أحد جانبي العراق (١٩) .

فتح دومة الجندل : (١٩م)

كان عياض بن غنم مكلفا بفتح العراق من أعلاه فطال حصاره لدومة الجندل ولم يتمكن من فتحها فتوجه اليه خالد وفي طريقه مر بـ «نبار فاستولى عليها بعد مناوشة قليلة مع أهلها ثم توجه الى عين التمر فتصدوا لقتال خالد ولكنه تغلب عليهم وهزمهم واستولى على حصن عين التمر وغنم ما فيه .

فلما وصل خالد الى دومة الجندل جعلها بينه وبين معسكر عياض وانتهى القتال بين المسلمين وبين أهل دومة الجندل بنصر المسلمين ، فقد تمكنوا من الاستيلاء على حصنهم وقتل من فيه وفد حاول الأعداء الموتورون الاغارة على المسلمين واسترجاع ما بيدهم ولكنهم فشلوا .

توجه خالد بعد ذلك الى الفراض وهي تخوم الشام والعراق والجزيرة وقد تجمع بها الفرس والروم والعرب من تغلب وايباد والنمر وقاتلوا المسلمين في معركة حامية انتصر فيها المسلمون وقتلوا من أعدائهم في المعركة مائة ألف .

وقد كانت هذه الموقعة آخر الحروب التي خاضها خالد في العراق ووجه الجيش الى الحيرة وأدى سرا فريضة الحج فبلغ ذلك

(١٩) ملخصه من المرجع السابق من ص ٣٥٦ - ٣٦٥ .

(٢٠) مقتبسة من الطبري ص ٢٧٨ وما بعدها .

أبا بكر الصديق فعاتبه لتركه الجيش وأمره بالتوجه لجموع المسلمين باليرموك (٢٠) بالشام .

فتح الشام :

كان أبو بكر الصديق رضى الله عنه قد أرسل في مطلع السنة الثالثة عشر من الهجرة خالد بن سعيد بن العاص الى تيماء حيث اجتمع له عدد كبير من المسلمين فاستنفرت له الروم بعض القبائل فانتصر خالد بن سعيد في بعض المواقع ولكن ياهان بطريق الروم تمكن من هزيمته .

وجه أبو بكر رضى الله عنه عند ذلك الجيوش الى الشام فأرسل أبا عبيدة بن الجراح بجيش ووجهه الى حمص ويزيد بن أبي سفيان بجيش ووجهه الى دمشق وشرحبيل بن حسنة بجيش ووجهه الى الأردن وعمرو بن العاص بجيش ووجهه الى فلسطين ، وقد بلغ تعداد هذه الجيوش قرابة ثلاثين ألفا .

معركة اليرموك : (٢١)

أزاء هذه الجيوش الكثيفة أعد الروم جيوشا لمقابلتها ولكن قادة المسلمين شعروا بخطورة تفرقهم فاستقر رأيهم بعد موقعة الخليفة على الاجتماع في اليرموك ، فلما علم هرقل بذلك أمر جيوشه بنزول الواقصة على ضفة اليرموك وصار الوادي خندقا لهم .

عند ذلك تحول المسلمون فنزلوا بحذائهم وصار الروم محصورين لا طريق لهم الا على المسلمين واستمرت المناوشات بين الفريقين بدون فصل للمعركة قرابة شهرين ، فاستشاروا الخليفة فأرسل لهم خالد بن الوليد .

وكان وصول خالد الى اليرموك ايذانا بنشوب المعركة الفاصلة بين الروم والمسلمين ، فقد حشد الروم ما يتجاوز مائتى ألف جندي

(٢٠) الطبرى - مرجع سابق - ص ٣٨٤ .

(٢١) الطبرى - مرجع سابق - ص ٣٩٤ وما بعدها .

وكان جيش المسلمين ما يقارب أربعين ألفاً منهم ألف من أصحاب رسول الله صلى الله عليه وسلم وفيهم مائة من أهل بدر .

خطط خالد للمعركة فقسم الجيش الى كتائب في كل واحد منها ألف جندي وجعل عليه فارساً شجاعاً وجعل للجيش ميمنة وميسرة وقلبا ثم عبأ الروح المعنوية بقراءة سورة الجهاد وهي الأنفال .

وفي جمادى الآخرة سنة ١٢ هـ التحم الفريقان في المعركة الفاصلة وحملت الروم حملة قوية أزالوا المسلمين عن مواقعهم فتبايع أربعمائة من المسلمين وعلى رأسهم عكرمة بن أبي جهل على الموت فقاتلوا وجرحوا جميعاً فتراجعت الروم الى مواقعهم .

زحف خالد على الروم واشتد القتال وطال فتضع الروم فنهد اليهم خالد في قلب جيشهم وكان بين خيلهم ورجلهم فضائق المهرب على خيل الروم ثم خرجت بهم في الصحراء وتفرقت في البلاد فشدد المسلمون الحملة على رجالة الروم ففروا وهوا في منخفض الواقصة ، وبلغ من هوى قرابة مائة وعشرين ألفاً سوى من قتل في المعركة واستمر القتال هزيعاً من الليل حتى تم النصر للمسلمين .

واستشهد من المسلمين في هذه المعركة ثلاثة آلاف مسلم منهم عدد من الصحابة وأصحاب باع في الجهاد .

وكانت النساء المسلمات في المعركة يداوين الجرحى ويسقين الماء وبعضهن خاض غمرات القتال ومنهم جويرية ابنة أبي سفيان التي أصيبت في المعركة .

وكانت هذه المعركة ايذاناً بانتشار الاسلام في الشام ثم امتداده بعد ذلك ، وكانت هذه المعركة خاتمة الأعمال الحربية التي تمت في حياة أبي بكر رضي الله عنه .

النتائج المالية للفتوح في عهد أبي بكر :

كانت للفتوح الاسلامية في عهد أبي بكر الصديق رضي الله عنه نتائج هامة لها جوانبها المالية وذلك على النحو التالي :

— بلغت الدعوة الاسلامية الاقاليم المفتوحة وهدى الله الكثير من أهلها لدعوة الاسلام فدخلوا في دين الله أفواجا وصار عليهم أن يقوموا بأركان الاسلام الخمس ومنها الزكاة . فزادت بذلك حصيلة الزكاة في عهد أبي بكر الصديق خصوصا بعدما تمكن من رد الممتنعين عن أداء الزكاة في أول عهده الى الوفاء بها وزاد بذلك المقدار الذي يمكن أن يوزع منها على الفقراء والمساكين وسائر مصارفها المحددة بالقرآن الكريم مما جعلها أكثر قدرة على أداء وظائفها الاجتماعية بجانب وظائفها التعبدية .

ومما يزيد في فعالية الزكاة أن من أسلم عن حق أصبح من الحاضرين لخيرته على أدائها باعتباره مكلف بنشر الدعوة بالكلمة وبالجهاد دفاعا عنها بالسيف تلبية لداعى الجهاد اذا دعاه .

— تقليم أظافر النرس والروم كنتيجة لهذه الممارك أطاح بنظمهم المالية العامة التي كانت تقوم على أساس أن رئيس الدولة هو المالك للأموال العامة ولا فصل بينهما وبين أمواله الخاصة . يسانده في ذلك حاشية من كبار الاقطاعيين وجماعة من الكهنة يناولون من الاموال العامة قدر ما يستطيعون لاشباع نفوسهم الظامئة للمال والغنى والاكتناز من عرق الفلاحين والعبيد الذين كانوا مسخرين لزراعة الأرض وكانوا مبهظين بالضرائب والآتاوات فلا يبقى لهم من نتيجة عملهم الا القليل الذي لا يكفى معيشتهم وشئون حياتهم .

ونتيجة للفتوح حل النظام المائى الاسلامى العام الذى يقوم على أن المال مال الله ، والشعب مستخلف عليه . فاذا بايع الشعب الخلفية حكم بالقرآن بالسنة وعدل فى أمور المال العام فلا يجبى الا بالحق ولا يصرف الا فى حق ويمدع من الباطل ، والحاكم فيه يستغف عن الاموال العامة فهو كولى اليتيم لا يأكل منه الا بالمعروف نظير أجر عمله وهو فيماعد ذلك كسائر الرعية يعود عليه ما يعود عليهم ، والممولون أحرار يطيعون ويوفون بالالتزامات المالية العامة عن طواحيه خصوصا اذا كانت ذات طبيعة تعبدية كالزكاة . والشأن فى حاشية الحاكم أن تكون صالحة لخير الدين والدنيا ترشد الحاكم لمسالك المعروف ليسلكها وتنهاه عن دروب المنكر ليتجنبها .

— أدت هذه الفتوح الى اتساع الدولة الاسلامية وعكس هذا الاتساع أثره على الموارد العامة للدولة فبجانب زيادة الزكاة على النحو الذى أوردناه زادت الموارد العامة الأخرى للدولة من الجزية التى أداها أهل الكتاب الذين لم يعتنقوا الاسلام وآثروا الاحتفاظ بدينهم وكان على الدولة الاسلامية أن تدخلهم فى نعمتها وتؤدى لهم من الخدمات العامة ما يحقق لهم الأمان على أرواحهم وأموالهم وذرياتهم ، وأن تعدل بينهم وتدخلهم فى ظلال السماحة الاسلامية التى حض عليها رسول الله صلى الله عليه وسلم وخلفاؤه الراشدون فاوصوا بهم وحرّموا اضطهادهم وتعذيبهم ، بل أضفوا عليهم من بيت مال المسلمين ما يكفل لهم المعيشة اذا ألم بهم فقر أو اعترتهم الشيخوخة وكانوا معوزين .

— أحل الله الغنائم للمسلمين ، فاذا جاهدوا وتحقق نصر الله حق لهم أن يأخذوا ما غنموه طبقا للنظام الذى وضعه رسول الله صلى الله عليه وسلم فى الغزوات التى غزاها والسرايا التى أمر بها والسابق التنبؤ به عنه .

نماذج من غنائم المعارك فى عهد الصديق :

نوضح فيما يلى نماذج من الغنائم التى حصل عليها المقاتلون فى المعارك التى خاضوها فى عهد الصديق رضى الله عنه :

منح الصديق خالد بن الوليد سلب هرمز :

أوضحنا فى موقعة ذات السلاسل أن هرمز طلب مبارزة خالد ابن الوليد فبارزه خالد وقتله وكان أهل فارس يجعلون قلانسهم على قدر أحسابهم فى عشائهم ، فمن تم شرفه فقيمة قلنسوته مائة ألف ، فكان هرمز ممن تم شرفه فكانت قيمة قلنسوته مائة ألف ، فغفلها أبو بكر الصديق رضى الله عنه خالد بن الوليد ، وكانت مفصصة بالجواهر ، وكانت للفرس بيوتات سبع تعتبر أعلى (٢٢) البيوتات ،

(٢٢) الطبرى جزء ٢ — مرجع سابق — ص ٣٤٩ .

وتعمام شرف أحد الفرس أن يكون من أحد هذه البيوتات وكان هرمز من أحدها ولقد منح أبو بكر الصديق رضى الله عنه خالدا هذه القلنسوة لأنها من سلب هرمز وكان مستندا في هذا المنح لحديث رسول الله صلى الله عليه وسلم « من قتل رجلا فله سلبه » (٢٣) .

خالد بن الوليد اعطى الأسلاب لمستحقها :

وفي عهد أبو بكر الصديق كان خالد بن الوليد يعطى الأسلاب لمستحقها في المواقع التي خاضها ففي وقعة المذار مثلا يذكر المؤرخون أنه سلم الأسلاب لمن سلبها بالغة ما بلغت (٢٤) .

خالد بن الوليد كان يرسل خمس الغنائم للخليفة :

كان خالد بن الوليد بعد نهاية المعركة يقسم الغنائم فيبدأ بالخمس ويرسله لأبي بكر الصديق رضى الله عنه بالمدينة ، فبعد نهاية واقعة ذات السلاسل أرسل خالد بنتيجة المعركة وكانت الفتح ومابقى من الأخماس للخليفة ، ففرىء الفتح على الناس ليعلموه ، وكان مع الأخماس فيل مصنوع كان من ضمن الغنائم قطيف به في المدينة ليراه الناس .

فكانت ضعيفات النساء يقلن : « أمن خلق الله ما نرى » ثم رأينه مصنوعا .

وكان زب بن كليب هو مبعوث خالد بالفتح بالخمس والفيل فرد أبو بكر الصديق رضى الله عنه معه الفيل (٢٥) .

وفي موقعة المذار بعث خالد بالخمس وبأخبار المعركة للخليفة مع الوليد بن عتبة (٢٦) .

(٢٣) انظر حالات عملية على السلب في عهد رسول الله صلى الله عليه وسلم

في كتابنا « السياسة المالية للرسول » ص ١٢١ - ١٢٣ .

(٢٤) الطبرى جزء ٣ - مرجع سابق - ص ٣٥٢ .

(٢٥) المرجع السابق ص ٣٥٠ .

(٢٦) المرجع السابق ص ٣٥١ .

وفى وقعة الزميل بعث خالد بالخمسة الى أبى بكر رضى الله عنه مع النعمان بن عوف بن النعمان الشيباني (٢٧) •

وبعث كذلك بخمسة غنائم تغلب الى أبى بكر رضى الله عنه مع الصباح بن فلان المزني (٢٨) •

وبعث أيضا خالد بأخماس غنائم اليرموك الا ما نفل منها مع عمير بن سعد الأنصاري لأبى بكر الصديق رضى الله عنه (٢٩) •

وهكذا كان القوادى في عهد أبى بكر الصديق يطبقون فيما يغنمون بعد النصر نصوص القرآن الكريم بشأن خمس الغنائم •

تقدير القيمة الكلية لبعض الغنائم الفتوح في عهد الصديق :

— ذكرنا أن جيش خالد بن الوليد في ذات السلاسل كان يضم ثمانية عشر ألف مسلم ويذكر المؤرخون أن سهم الفارس من الغنيمة في يوم ذات السلاسل والثني بلغ ألف درهم والراجل على الثلث عن ذلك (٣٠)

فمن هذا يتضح أن خالد جعل سهم الفارس ثلاثة أمثال سهم الراجل •

وفى ضوء هذه المعلومات المتاحة يمكن بطريقة حسابية الوصول الى قيمة تقريبية لغنائم ذات السلاسل والثني وذلك كما يلي :

عدد المجاهدين المسلمين ١٨٠٠٠ مسلم

لتوزيع عدد المجاهدين بين الفرسان والراجلين نفترض أن عدد الفرسان ١٠٪ من عدد المجاهدين فيكون عدد الفرسان ١٨٠٠ فارس ويكون عدد الراجلين ١٦٢٠٠ راجل •

(٢٧) المرجع السابق ص ٢٨٢ •

(٢٨) المرجع السابق ص ٢٨٣ •

(٢٩) المرجع السابق ص ٤٠٨ •

(٣٠) المرجع السابق ص ٣٣٠ •

ومجموع غنائمهم باعتبار أن الفارس أخذ ١٠٠٠ درهم

$$= ١٨٠٠٠٠٠ \text{ درهم}$$

ومجموع غنائم الراجلين باعتبار أن الراجل أخذ $\frac{1}{3}$ الفارس
أي ١٦٢٠٠ × $\frac{1}{3}$ ٢٢٢ درهم = ٤٠٠٠٠٠٠ درهم

مجموع ما حصل عليه المجاهدون وهو يمثل $\frac{4}{5}$ الغنائم

$$= ٧٢٠٠٠٠٠٠ \text{ درهم}$$

قيمة $\frac{1}{5}$ الغنائم الذي أرسله خالد لبیت مال المسلمين بالمدينة

$$= ١٨٠٠٠٠٠٠ \text{ درهم}$$

مجموع غنائم ذات السلاسل والثني = ٩٠٠٠٠٠٠٠ درهم

فتكون الواقعة حققت نصر الله وأعلى كلمة الدين وغنائم بلغت
٩ ملايين درهم

– وفي أمغيشيا كان العسكر ١٨٠٠٠ فارس أو يزيدون (٣١) .

ويقول الطبري « لم يصب المسلمون فيما بين ذات السلاسل
وأمغيشيا مثل شيء أصابوه في أمغيشيا بلغ سبهم الفارس ألفاً
وخمسمائة سوى النفل الذي نفعه أهل البلاء » (٣٢) .

ويأتباع نفس الأساس السابق وهو افتراض أن عدد الفرسان
١٠٪ من عدد المجاهدين يكون عدد الفرسان ١٨٠٠ فارس وعدد
الراجلين ١٦٢٠٠ راجل .

ومجموع غنائم الفرسان وقد أخذ كل منهم ١٥٠٠ درهم <
١٨٠٠ فارس = ٢٧٠٠٠٠٠ درهم

ومجموع غنائم الراجلين وقد أخذ كل منهم $\frac{1}{3}$ الفارس أي
٥٠٠ درهم أي ١٦٢٠٠ راجل × ٥٠٠ درهم = ٨١٠٠٠٠٠٠ درهم

(٣١) الطبري جزء ٣ مرجع سابق ص ٢٥٧ .

(٣٢) الطبري جزء ٣ مرجع سبق ص ٣٥٨ .

ويكون مجموع غنائم المقاتلين المسلمين وهو يمثل $\frac{5}{4}$ الغنائم
 $= ١٠٨٠٠٠٠٠٠ \text{ درهم}$

قيمة $\frac{1}{5}$ الغنائم الذي أرسله خالد للمدينة طبقا لأية الخمس
 $= ٢٧٠٠٠٠٠٠ \text{ درهم}$

مجموع غنائم أمغيشيا $= ١٣٥٠٠٠٠٠ \text{ درهم}$

ويكون ما حققه المسلمون من غنائم في موقعتين من مواقع
 العراق وهما ذات السلاسل والثني وأمغيشيا ٩ ملايين درهم +
 $١٣\frac{1}{2}$ مليون درهم $= ٢٢\frac{1}{2}$ مليون درهم .

- وفي واقعة اليرموك بالششام كان عدد المجاهدين ٤٦٠٠٠
 مقاتل .

وكان سهم الفارس يومئذ ألفا وخمسمائة (٣٣) .

فبافتراض أن عدد الفرسان $\frac{1}{10}$ من عدد المجاهدين يكون
 عدد الفرسان ٤٦٠٠ فارس وعدد الراجلين ٤١٤٠٠ راجل

ويكون مجموع غنائم الفرسان وقد أخذ كل منهم ١٥٠٠ درهم
 أي $٤٦٠٠ \times ١٥٠٠ = ٦٩٠٠٠٠٠٠ \text{ درهم}$

ويكون مجموع غنائم الراجلين وباعتبار نصيب الراجل
 $\frac{1}{5}$ نصيب الفارس أي $٤١٤٠٠ \times ٥٠٠ = ٢٠٧٠٠٠٠٠٠ \text{ درهم}$.

ويكون مجموع غنائم المقاتلين هو يمثل $\frac{5}{4}$ الغنائم

$= ٢٧٦٠٠٠٠٠٠ \text{ درهم}$

قيمة الخمس الذي يؤول لبيت مال الدولة الاسلامية

$= ٦٩٠٠٠٠٠٠٠ \text{ درهم}$

مجموع غنائم واقعة اليرموك $= ٣٤٥٠٠٠٠٠٠٠ \text{ درهم}$

(٢٢) المرجع السابق ص ٤٠٠ .

وهكذا كانت فتوحات الاسلام في عهد ابي بكر الصديق رضى الله عنه خيرا وبركة باعلاء دين الله وبالأموال التي آلت لبيت مال المسلمين ممثلة في خمس الغنائم ونصيب المجاهدين من الغنائم وكان حترتفعا . وهذا غير ما اخذه الأتلاء والنساء اللاتي ساعدن في المعركة .

أنفال من الطعام في عهد الصديق :

لما هزم الفرس في واقعة اليس وأخلوا عن عسكرهم ورجع المسلمون من طلبهم ودخلوه وقف خالد على الطعام فقال : قد نقلتموه فهو لكم .

وقال : كان رسول الله صلى الله عليه وسلم اذا أتى على طعام مصنوع نقله وقد نقل يوم خيبر الخبز والطبيخ والشواء (٣٤) .

فقد عليه المسلمون لعشائهم بالليل ، وجعل من لم ير الأرياف ولا يعرف الرقاق يقول :

« ما هذه الرقاق البيض ١٩ »

وجعل من قد عرفها يجيبهم ، ويقول لهم ما زحاً :

« هل سمعتم برقيق العيش ؟ »

فيقولون : « نعم »

فيقول : « هو هذا » .

فسمى الرقاق وكانت العرب تسميه القرى (٣٥) .

هذا وما ذكره خالد أن رسول الله صلى الله عليه وسلم أتى على طعام مصنوع نذله فمن ذلك ما حدث في موقعة خيبر ، ففي اثنائها أتى بنى سهم من اسلم رسول الله صلى الله عليه وسلم

فقالوا : يارسول الله والله لقد جهدنا ، وما بأيدينا شيء ، فلم يجدوا عند رسول الله شيئا يعطيهم اياه .

فقال النبي صلى الله عليه وسلم داعيا الله : « اللهم انك قد عرفت حالهم وأن ليست بهم قوة وأن ليس بيدي شيء أعطيهم اياه ، فافتح عليهم حصونها أكثر طعاما وودكا »

ففدا الناس ففتح الله عليهم حصن الصعب بن معاذ وما بخير حصن أكثر طعاما وودكا منه (٣٦) .

اعطاء طيلسان مرصع من الغنائم للحسين :

كان مما أرسله خالد بن الوليد الى الصديق في الغنائم طيلسان مرصع وهو كساء أخضر ثمين يلبسه رؤساء الفرس ووجهائهم وكان خالد قد غنمه من قرية اسمها يانقيا في ناحية من نواحي الكوفة فأعجب الطيلسان أبا بكر رضى الله عنه ، فكساه الحسن بن على عليهما السلام (٣٧) .

ولعل مما حدا بالصديق أن يؤثر الحسن بالطيلسان تذكره قول رسول الله صلى الله عليه وسلم « الحسن والحسين سيदा شباب أهل الجنة » ولأنه من أهل البيت الذين قال فيهم الله جل وعلا :

« انما يريد الله ليذهب عنكم الرجس أهل البيت ويطهركم تطهيرا » (الأحزاب / من ٣٣)

اذفال من الثياب في عهد الصديق وموعظة :

كان من بين خمس الغنائم الذي أرسل للصديق حلل فاخرة للثريات من نساء العجم والروم فوزع الصديق تلك الحلل بالتساوي بين نساء المدينة وفيهن أمهات المؤمنين ، أزواج النبي رضى الله عنهن .

(٣٦) انظر جتائنا « السياسة المالية للرسول » - مرجع سابق -

ص ١٠٧ .

(٣٧) الصديق أول الخلفاء - مرجع سابق - الفصل الخامس .

ونال السيدة عائشة رضى الله عنها ثوب من الديباج الموشى
وكان طويلا لا عهد لنساء المدينة به وكان لاحدى الاميرات ، فبدأ
عليها وكأنها تختال به .

قالت عائشة رضى الله عنها تصف ما كان منها ومن الخليفة
فى أمر هذه الثياب :

« لبست ثيابى ، فطفت أنظر الى ثيابى وذيلى ، فدخل أبو بكر
على :

فقال : يا عائشة ، أما تعلمين أن الله لا ينظر اليك الآن
قلت : ومم ذاك ؟

قال : أما علمت أن العبد اذا دخله العجب بزينة الدنيا مقته
ربه عز وجل حتى يفارق هذه الزينة ؟
فنزعت عائشة ، فتصدقت به

قال أبو بكر : عسى الله أن يكفر عنك » (٣٨)

تدعيم توزيع الغنائم فى ارض المعركة :

كان الصديق رضى الله عنه يختار للمعركة قائدها ويعظه
ويقوضه فى أمر المعركة ويكل اليه تحقيق النصر ، وبعد النصر يتولى
تجميع الغنائم مسئول ويقال لما جمع من الغنائم (الاقباض) ، ففى
معركة اليرموك كان على الاقباض عبد الله بن مسعود ، وبعد نهاية
المعركة يقوم القائد بتجنيب خمس الغنائم وارساله مع مسئول الى
الخليفة وتوزيع الباقي على من يستحقه . وكان يجوز للقائد فى عهد
الصديق النقل من الخمس قبل ارساله .

وفى ذلك يقول الطبرى :

« ولما انتهى الخبر الى خالد عن قارن قسم الفئ على من أقفاه الله ، ونفل من الخمس ماشاء الله وبعث ببيقيته وبالفئ الى أبى بكر ٠٠ » (٣٩) .

وفى موضع آخر يقول :

« وبعث خالد بالأخماس الا ما نفل منها مع عمير بن ساعد الأنصارى وبمسيره الى الشام » (٤٠) .

جواز المفاضلة فى توزيع الغنائم :

كان من اجتهاد الصديق فى توزيع الغنائم بين الغانمين أن الغنيمة لا تضاف للغانمين اضافة الملك ، ولكن لهم فى الغنيمة حقا ليس لغيرهم ممن لم يجاروا ، من أجل ذلك أصبح للامام الأعظم وهو ولى الأمر أن يرتب الغنائم ويقدم أمرا على أمر ، ويفضل أحد الغانمين على آخر ، وأمر الصديق كذلك أمراء جيوشه أن يفضلوا من الغانمين أولئك الذين أبلوا فى الحرب بلاء حسنا ، وأن يقدموا المجاهدين بقدر بذلهم وبلائهم فى الحرب .

ولقد آثر الصديق رجلا أرسله اليه خالد بن الوليد يبشره بالنصر على الفرس فى أحد المعارك المضنية ومعه الغنائم والسبايا فأهداه إحدى الجوارى (٤١) .

وقد رأينا كيف آثر الحسن بالطيلسان .

(٣٩) الطبرى - مرجع سابق - ص ٣٥١ .

(٤٠) المرجع السابق ص ٤٠٨ .

(٤١) الصديق أول الخلفاء - مرجع سابق - الفصل السابع .

قراءة سورة الأنفال عند اللقاء تبارك تحقيق النصر والغنائم :

وفي عهد الصديق ، أحيأ قواد الجيوش سنة رسول الله صلى الله عليه وسلم ، فقد سن الرسول بعد غزوة بدر أن تقرأ سورة الجهاد عند اللقاء ، وهى الأنفال ، وفى موقعة اليرموك كان القارىء المقداد (٤٢) .

والواقع أن السورة تضمنت من الآيات ما ينظم أحكام القتال والاستعداد له والجنوح للمسلم أن جنح الأعداء ومقام القوة المعنوية فى تحقيق النصر وأحكام غنائم الحرب ، وفيما يلى بعض سور آية الأنفال وأهدافها :

الاستعداد للقتال :

« وأعدوا لهم ما استطعتم من قوة ومن رباط الخيل ترهبون به عدو الله وعدوك وآخرين من دونهم لا تعلمونهم الله يعلمهم ، وما تنفقوا من شيء فى سبيل الله يوف اليكم وأنتم لا تظلمون » (الأنفال / ٦٠) .

حالة الجنوح للمسلم :

« وإن جنحوا للسلم فاجنح لها وتوكل على الله انه هو السميع العليم » (الأنفال / ٦١)

وجوب القتال لمنع الفتنة ويكون الدين لله :

« وقاتلوهم حتى لا تكون فتنة ويكون الدين كله لله ، فإن انتهوا فإن الله بما يعملون بصير » (الأنفال / ٣٩) .

(٤٢) الطبرى - مرجع سابق - ص ٣٩٧ .

النبات عند اللقاء :

« يا أيها الذين آمنوا إذا لقيتم فئة فاثبوا واذكروا الله كثيرا لعلكم تفلحون » (الأنفال / ٤٥)

النهى عن تولى الأديار :

« يا أيها الذين آمنوا إذا لقيتم الذين كفروا زحفا فلا تولوهم الأديار » (الأنفال / ٦٥)

رفع الروح المعنوية بذكر أيام الرسول :

« واذكروا إذ أنتم قليل مستضعفون في الأرض تخافون أن يتخطفكم الناس فتأوكم وأيدكم بنصره ورزقكم من الطيبات لعلكم تشكرون » (الأنفال / ٦)

الصبر في القتال من عوامل النصر :

« يا أيها النبي حرض المؤمنين على القتال أن يكن منكم عشرون صابرون يغلبوا مائتين ، وأن يكن منكم مائة يغلبوا ألفا من الذين كفروا بأنهم قوم لا يفقهون » (الأنفال / ٦٥)

« الآن خفف الله عنكم وعلم أن فيكم ضعفا ، فإن يكن منكم مائة صابرة يغلبوا مائتين وإن يكن منكم ألف يغلبوا ألفين بإذن الله والله مع الصابرين » (الأنفال / ٦٦)

الملائكة عاونوا المجاهدين :

« إذ تستغيثون ربكم فاستجاب لكم أنى ممدكم بألف من الملائكة مردفين » (الأنفال / ٩)

النصر من عند الله .

« وما النصر الا من عند الله ان الله عزيز حكيم » (الأنفال / من ١٠)

توزيع الغنائم :

« واعلموا انما غنمتم من شيء فان الله خمسه وللرسول ولذي القربى واليتامى والمساكين وابن السبيل ان كنتم آمنتم بالله وما أنزلنا على عبدنا يوم الفرقان ، يوم التقى الجمعان والله على كل شيء قدير » (الأنفال / ٤١)

الغنيمة حلال طيبة :

« فكلوا مما غنمتم حلالا طيبا واتقوا الله ان الله غفور رحيم » (الأنفال / ٦٩)

أسرى المعارك :

« ما كان لنبي أن يكون له أسرى حتى يثخن في الأرض تريدون عرض الدنيا والله يريد الآخرة والله عزيز حكيم » (الأنفال / ٦٧)

الفصل الثانى

توالى الايرادات العامة من الجزية فى عهد الصديق

كلمة عامة عن الجزية :

عرفت الجزية قبل الاسلام عند الرومان والفرس والبيزنطيين واستندت فى الاسلام الى الآية التاسعة والعشرين من سورة التوبة التى نزلت فى السنة التاسعة من الهجرة وهى عبارة عن ضريبة سنوية على أهل الكتاب الذين احتفظوا بدينهم ولم يستجيبوا لدعوة الاسلام وظلوا مستوطنين فى الدولة الاسلامية يتمتعون بالأمان على أنفسهم وأموالهم وذرياتهم وبسائر الخدمات العامة للدولة الاسلامية وتفرض على الرجال القادرين على القتال طبقا لدرجة يسارهم . وترفع عنهم الجزية اذا اسلموا ، فليس على مسلم جزية ، وتحصل نقدا أو عينا ويراعى فى تحصيلها الرفق فلا يعذب أهل الذمة عند تحصيلها ولا يؤخذ فى الجزية الميتة والخنزير والخمر ، ويمكن تأخير تحصيلها من أهل الكتاب لوقت ظهور غلاتهم من باب الملازمة والرفق فى التحصيل ، وفى عهد الرسول صلى الله عليه وسلم حصلت الجزية من المجوس لأن لهم شبهة كتاب والحقوا بالكتابيين .

وقد نفذ الرسول صلى الله عليه وسلم أية الجزية على النحو الذى سبق ايضاحه (١) فسن بذلك لمن جاء بعده فساد على سنته أبوبكر الصديق رضى الله عنه ، فكان قواده يدعون أهل الكتاب للإسلام أولا فإذا أسلموا قلهم ما للمسلمين وعليهم ما عليهم ، وإذا أبوا يدفعون جزية للدولة الإسلامية فإذا أبوا حل قتالهم ..

نموذج عملى لإعلان أهل الكتاب قبل القتال :

وفيما يلى نموذج لما كان خالد بن الوليد أحد قواد أبى بكر الصديق يعلن به الناس من أهل الكتاب قبل الحرب ، ففى واقعة اليرموك جرى النقاش التالى بين خالد بن الوليد وجرجة وكان مقدم عسكر الروم بعد أن أمز كل منهما صاحبه :

فقال جرجة : ياخالد أصدقنى ولا تكذبنى فان الحر لا يكذب فان الكريم لا يخادع المسترسل بالله ، هل أنزل الله على نبيكم سيفاً من السماء فأعطاكمه ، فلا تسله على قوم الا هزمتهم ؟

قال خالد : لا ..

فقال جرجة : فبقا سميت الله المسلول ؟

قال خالد : ان الله عز وجل بعث فينا نبيه صلى الله عليه وسلم فدعانا فنفرنا عنه ونأينا عنه جميعا ثم ان بعضنا صدقه وتابعه ، وبعضنا باعده وكذبه ، فكنت فيمن كذبه وباعده وقاتله ، ثم ان الله أخذ بقلوبنا ونواصينا فهدانا به فتابعناه ، فقال : أثبت سيف من سيوف الله سله الله على المشركين ا ودعا لى بالنصر فسميت سيف الله بذلك ، فأنا من أشد المسلمين على المشركين .

قال جرجة : صدقتنى ، ياخالد أخبرنى الام تدعونى ؟

قال خالد : الى شهادة أن لا اله الا الله وأن محمدا عبده ورسوله ، والإقرار بما جاء به من عند الله .

(١) يرجع للآية فى الفصل الثانى من الباب الثانى من هذا الكتاب .

قال جرعة : فمن لم يجيبكم ؟

قال خالد : فالجزية ونمنعهم

قال جرعة : فان لم يعطها ؟

قال خالد : تؤذنه بحرب ثم نقاتله

قال جرعة : فما منزلة الذى يدخل فيكم ويجيبكم الى هذا الامر اليوم ؟

قال خالد : منزلتنا واحدة فيما افترض الله علينا شريعتنا ووضيعنا وأولنا وآخرنا .

قال جرعة : هل من دخل فيكم اليوم ياخالد مثل مالكم من الأجر والذخر ؟

قال خالد : نعم وأفضل .

قال جرعة : وكيف يساويكم وقد سبقتموه ؟

قال خالد : انا دخلنا في هذا الامر وبايعنا نبينا صلى الله عليه وسلم وهو حى بين أظهرنا تأتيه أخبار السماء ويخبرنا بالكتب ويرينا الآيات ، وحق لمن رأى ما رأينا وسمع ما سمعنا ان يسلم ويبايع ، وانكم انتم لم تروا ما رأينا ولم تسمعوا ما سمعنا من العجائب والحجج ، فمن دخل هذا الامر منكم بحقيقة ونية كان أفضل منا .

قال جرعة : بالله صدقتنى ولم تخادعنى ولم تألفنى

قال خالد : بالله لقد صدقتك ومابى اليك ولا الى أحد منكم حاجة ، وان الله لولى ما سألت عنه .

فقال : صدقتنى .

واسلم جرعة وانضم لجيش الاسلام بعد أن تطهر وصلى ركعتين وقتل أثباء القتال ولم يصل بعد اسلامه الا الركعتين (٢) .

(٢) الطبرى جزء ٣ - مرجع سابق - ص ٣٦٨ - ٤٠٠ .

الجزية أحيانا هي الحل لأهل الكتاب أنفسهم :

يعترض بعض أهل الكتاب على الجزية باعتبارها صغار ، والواقع أنها مشاركة منهم في الأعباء العامة بعد ما أثروا الاحتفاظ بدينهم وعدم القتال والدخول في ذمة الدولة الإسلامية مما يتيح لهم الأمن والأمان والتمتع بالخدمات العامة للدولة ، وقد كان في رأى هرقل لمبادئ جحافل المسلمين بفتح الشام في عهد أبى بكر الصديق رضى الله عنه أن الجزية هي الحل .

فقد كان هرقل وقتئذ ببيت المقدس أتاها حاجا ، فبينما هو مقيم أتاها الخبر بقرب الجنود منه فجمع الروم وقال : أرى من الرأى ألا تقاتلوا هؤلاء القوم ، وأن تصالحوهم ، فوالله لأن تعطوهم نصف ما أخرجت الشام ، وتأخذوا نصفاً وتقر لكم جبال الروم خير لكم من أن يبلغوكم على الشام ، ويشاركوكم في جبال الروم .

ولكن قومه عصود ، فلما هزموا

قال هرقل لجلسائه : ألم أقل لكم لاتقاتلوهم ! فإنه لا قوام لكم مع هؤلاء القوم ، أن دينهم دين جديد يجدد لهم ثبارهم (٣) ، فلا يقوم لهم أحد حتى يبلى .

فقالوا . قاتل عن دينك ولا تجبن الناس واقض الذى عليك

قال : وأى شىء أطلب الا توقير دينكم (٤) .

تحليل نموذج عملى لشروط الصلح على الجزية فى عهد الصديق :

مضى خالد بن الوليد رضى الله عنه الى الحيرة فقال لهم خالد :

(٣) الثبار على الامر : المواظبة عليه .

(٤) الطبرى جزء ٣ : ص ٤٠٢ ، ٤٠٣ .

« ادعوكم الى الله والى الاسلام فان انتم فعلتم فلکم ما للمسلمين وعليكم ما عليهم، وان ابیتم فاعطوا الجزية ، فان ابیتم فقد اتیتکم بقوم هم أحرص على الموت منكم على الحياة » .

فقال ممثلهم بعد مناقشات عديدة :

« مالنا في حربك من حاجة وما نريد أن ندخل معك في دينك ، نقيم على ديننا ونعطيك الجزية » .

فصالحوه على ستين ألفاً

ورحل على ألا يهدم لهم بيعة ولا كنيسة ولا قصراً من قصورهم التي كانوا يتحصنون بها إذا نزل بهم عدو لهم ولا يمنعون من ضرب النواقيس ولا من أخراج الصليبان في يوم عيدهم وعلى ألا يستملوا على تغية^(٥) ، وعلى أن يضيفوا من مر بهم من المسلمين مما يحل لهم من طعامهم وشرابهم وكتب بينهم هذا الكتاب .

« بسم الله الرحمن الرحيم

هذا كتاب من خالد بن الوليد لأهل الحيرة ، أن خليفة رسول الله صلى الله عليه وسلم أباً بكر الصديق رضى الله تعالى عنه أمرنى أن أسير بعد منصرفى من أهل اليمامة الى أهل العراق من العرب والعجم بأن أدعوهم الى الله جل ثناؤه والى رسوله عليه السلام وأبشرهم بالجنة وأنذرهم من النار فان أجابوا فلهم ما للمسلمين وعليهم ما على المسلمين ، وانى انتهيت الى الحيرة فخرج الى اياس ابن قبيصة الطائى فى أناس من أهل الحيرة من رؤسائهم ، وانى دعوتهم الى الله والى رسوله فأبوا أن يجيبوا فعرضت عليهم الجزية أو الحرب .

فقالوا : لا حاجة لنا بحربك ولكن صالحنا على ما صالحت عليه غيرنا من أهل الكتاب فى اعطاء الجزية وانى نظرت فى عدتهم فوجدت عدتهم سبعة آلاف رجل ثم ميزتهم فوجدت من كانت به زمانة

(٥) التغية بسكون الغين : القبيح والريبة وبالتحريك الفساد والهلاك .

ألف رجل فأخرجتهم من العدة ، فصار من وقعت عليه الجزية ستة آلاف ، فصالحوني على ستين ألفا ، وشرطت عليهم عهد الله وميثاقه الذى أخذ على أهل التوأرة والأنجيل :

أن لا يخالفوا ولا يعينوا كافرا على مسلم من العرب ولا من العجم ولا يدلّوهم على عورات المسلمين ، عليهم بذلك عهد الله وميثاقه الذى أخذه أشد ، ما أخذه على نبي من عهد أو ميثاق أو ذمة فان هم خالفوا فلا ذمة ولا أمان .

وان هم حققوا ذلك ورعوه وأدوه الى المسلمين فلهم ما للمعاهد وعلينا المنع لهم .

فان فتح الله علينا فهم على ذمتهم لهم بذلك عهد الله وميثاقه أشد ما أخذ على نبي من عهد أو ميثاق وعليهم مثل ذلك لا يخالفون .

وجعلت لهم أيما شيخ ضعف عن العمل أو أصابته آفة من الآفات أو كان غنيا فافتقر وصار أهل دينه يتصدقون عليه طرحت جزيته وعيل من بيت مال المسلمين وعياله ما أقام بدار الهجرة ودار الاسلام . فان خرجوا الى غير دار الهجرة ودار الاسلام فليس على المسلمين النفقة على عيالهم ،

وأيما عبد من عبيدهم أسلم أقيم في أسواق المسلمين فبيع بأعنى ما يقدر عليهم في غير الركنس ولا تعجيل ، ودفع ثمنه الى صاحبه .

ولهم كل ما لبسوا من الزى الا زى الحسرب من غير أن يتشبهوا بالمسلمين فى لباسهم ، وأي رجل منهم وجد عليه من زى الحرب سئل عن لبسه ذلك ، فان جاء منه بمخرج والا عوقب بقدر ما عليه من زى الحرب .

وشرطت جباية ما صالحتهم عليه حتى يؤدوه الى بيت مال المسلمين عمالهم منهم ، فان طلبوا عوننا من المسلمين أعينوا به ومئونة العون من بيت مال المسلمين « (٦) » .

(٦) كتاب الخراج للقاضى أبى يوسف يعقوب بن ابراهيم صاحب الامام

أبى حنيفة - الطبعة السلفية - ص ١٤٢ ، ١٤٣ ، ١٤٤ .

فكانت جزية الحيرة أول جزية حملت من أرض المشرق وأول مال قدم به من المشرق على أبى بكر الصديق رضى الله تعالى عنه (٧) .

ومن تحليل الكتاب السابق يتبين أن التطبيق العملى للجزية فى عهد الخليفة أبى بكر الصديق رضى الله عنه قام على الأسس التالية :

— دعوة أهل الكتاب للإسلام فإن أسلموا قلهم ما للمسلمين وعليهم ما على المسلمين وإن أبوا فعليهم الجزية فإن أبوا حل قتالهم — وهذا هو ما فعله خالد بن الوليد رضى الله عنه مع أهل الحيرة ويسند ذلك الى آيتين من القرآن الكريم وهما :

« لا اكراه فى الدين قد تبين الرشد من الغى فمن يكفر بالطاغوت ويؤمن بالله فقد استمسك بالعروة الوثقى لا انفصام لها والله سميع عليم » (البقرة / ٢٥٦)

« قاتلوا الذين لا يؤمنون بالله ولا باليوم الآخر ولا يحرمون ما حرم الله ورسوله ولا يدينون دين الحق من الذين أوتوا الكتاب حتى يعطوا الجزية عن يد وهم صاغرون » (التوبة / ٢٩)

— إذا أبوا الاسلام وفضلوا البقاء على دينهم أعلنوا ذلك لقائد جيش الاسلام وأبدوا استعدادهم لاعطاء الجزية — وهذا هو ما أبداه ممثلو أهل الحيرة .

— يقوم قائد جيش الاسلام ومعاونوه بتحديد الخاضعين للجزية، وهم الرجال ، ولا تفرض على النساء والأطفال لأن الرجال هم الذين يقاتلون عادة والنساء والأطفال لا يقاتلون ، ويعفى من الجزية الذين لا يستطيعون القتال من الرجال بسبب ما بهم من العاهات وهذا ما فعله خالد بن الوليد رضى الله ، فوجد أن عدد الرجال سبعة آلاف رجل ، ثم استبعد من كانت به زمانة أى عاهة وعددهم ألف رجل فكان الخاضعون للجزية ستة آلاف رجل .

(٧) المرجع السابق ص ١٥٤ .

— لم تحدد آية الجزية فئة محددة يخضع لها أهل الكتاب ،
فترك ذلك لأطرواف كل حالة ودرجة يسار كل إقليم ، وقد حددها
رسول الله صلى الله عليه وسلم في أحد كتبه لأهل الكتاب (بدينار
واف أو قيمته من المعافر (ثياب اليمن) أو عرضته (عرضه)
ثياباً^(٨) » • وحددها الخليفة عمر بن الخطاب رضى الله عنه بمراعاة
درجة يسار الخاضعين لها فجعلها تصاعدية على أساس •

٤٨ درهما على المرسر وهو صاحب الحرفة

٢٤ درهما على متوسط الحال وهو الأقل كسبا

١٢ درهما على العامل بيده مثل الخياط والصباغ والاسكافى
ومن شابههم^(٩) •

وحدها خالد بن الوليد رضى الله عنه بعشر دراهم عن كل
رجل وكانت الجزية المستحقة على أهل الحيرة كلهم ستين ألف درهم
• فجعلها ثابتة الفئة ولم تكن تصاعدية •

— تنقص حصيلة الجزية خلال سريان التصالح بمقدار ما
ترفع عن الفئات القتالية التى حددها خالد بن الوليد بسبب ماطرأ
على حالتهم من تغير :

الشيوخ الذين ضعفوا عن العمل

الشيوخ الذين أصابتهم آفة من الآفات

(٨) انظر كتاب الرسول صلى الله عليه وسلم للحارث بن كلال وآخرين
ورد بكتابتنا السياسة المالية للرسول ص ١٤١ وكتابه صلى الله عليه وسلم
لوفد بنى الحارث بن كعب ص ١٤٢ ، ١٤٣ من الكتاب •

(٩) انظر كتابنا المالية العامة للدولة الإسلامية — إصدار معهد
الدراسات الإسلامية — طبعة رابعة ص ١٨٤ نقلا من كتاب الخراج لأبى يوسف
ص ٦٩ ، ٧٠ •

الشيوخ الذين كانوا أغنياء فافتقروا وصار أهل دينهم يتصدقون عليهم ويعولهم بيت مال المسلمين ماداموا مقيمين بدار الاسلام فيتكفل بنفقات الاعالة

— عبيد أهل الكتاب الذين يعتنقون الاسلام يصيرون أحراراً ويعوض أهل الكتاب عنهم بأن يدفع ثمنهم لأصحابهم .

— يقوم أهل الحيرة بجباية ما استحق عليهم وتوريده لبيت مال المسلمين وإذا طلبوا عوناً في الجباية تعينهم الدولة الاسلامية ، ويتحمل بيت مال المسلمين نفقات المساعدة في الجباية .

— رتب الكتاب الذى كتبه خالد بن الوليد رضى الله عنه الحقوق التالية لأهل الكتاب :

لا تهدم لأهل الكتاب بيعة ولا كنيسة ولا يمنعون من ضرب النواقيس ولا من اخراج الصليبان في يوم عيدهم .

ويصيرون في ذمة الدولة الاسلامية وعلى الدولة المنع لهم .

— رتب الكتاب أيضاً واجباتهم وهى :

لا يشتملوا على تغية أى افساد أو اهلاك

ويضيفون من مر بهم من المسلمين مما يحل لهم من طعامهم وشرابهم .

ولا يلبسون زى الحرب .

المبادئ المستخلصة من النموذج السابق لشروط الصلح على الجزية :

وبذلك يكون الصلح الذى عقده خالد بن الوليد رضى الله عنه قام على المبادئ السامية التالية :

سماحة الاسلام :

ويتمثل ذلك في عدم اكراه أهل الكتاب على اعتناق الاسلام وكفالة الحرية لهم في أداء تعاليم دينهم ، وتمتعهم بحقوق المسلمين

من الحماية والأمان وغيرها من الخدمات العامة بسبب دخولهم في
• ذمة المسلمين .

العدالة المالية :

ويتمثل ذلك في قصر الجزية على الرجال ورفعها عن الشيوخ
إذا ألت بهم ما يقدهم عن الكسب وتحمل بيت المال مصاريف
الجباية إذا طلب أهل الكتاب معاونتهم في الجباية .

المرونة المالية :

تحددت قيمة الجزية بفتة ثابتة على كل رجل ، ويورد اقليم
الحيرة الحصيلة الكلية للدولة الاسلامية ، ويمكن لرؤساء الاقليم
اعادة توزيع العبء على الرجال طبقا لدرجة يسارهم بحيث يوردون
القيمة الاجمالية المستحقة لبيت مال المسلمين ، وبذلك اتسم الاتفاق
• بالمرونة المالية .

تحرير العبيد :

تضمن الاتفاق نظاما بمقتضاه يعثق عبيد أهل الكتاب اذا
اعتنفوا الاسلام بعد تعويض أصحابهم ، وبذلك يتمتعون بكامل
• حقوقهم السياسية كمسائر المسلمين .

ايصالات باداء الجزية (١٠) :

وكان عمال الجزية يكتبون البراءات لأهلها لاثبات قبضها ،
وكانت من نسخة واحدة وهذا نصها :

• (١٠) المرجع السابق ص ٣٦٩ .

« بسم الله الرحمن الرحيم

براءة لمن كان من كذا وكذا من الجزية التي صالحهم عليها
الأمير خالد بن الوليد ، وقد قبضت الذي صالحهم عليه خالد .
وخالد والمسلمون لكم يد على من بدل صلح خالد ما أقرتم بالجزية
وكفتم . أما أنكم أمان وصلحكم صلح ، نحن لكم على الوفاء » .
وكان يشهد على الكتاب نفر ممن أشهدهم خالد على الصلح .

اعلان رؤساء البلاد الأهالي بأداء الجزية (١١) :

وكان أهل البلاد يكتبون كتابا للأهالي بأدائهم الجزية المستحقة
على النحو السابق ايضاحه .

الصديق يرفض هدايا وردت مع الجزية ويدخلها في حسابها (١٢) :

لما عهد نقباء أهل الحيرة خالد بن الوليد على دفع الجزية
دفعوها وأهدوا له هدايا فبحث بالجزية والهدايا الى أبي بكر رضي
الله عنه ، فقبلها أبو بكر ولكن من الجزية ، وكتب لخالد أن « أحسب
لهم هديتهم من الجزية الا أن تكون من الجزية ، وخذ بقية ما عليهم
نقو بها أصحابك » .

فمن هذا يبين أن الخليفة لم يقبل الهدية الا أن تكون من حساب
الجزية فتصبح من حقوق بيت المال ، وأصدر بذلك تعليمات لخالد بن
الوليد ليحسب لهم هديتهم من الجزية الا اذا كانت حسبت فعلا من
المبالغ التي أرسلها اليه ، مما يظهر مدى تعفف الخليفة عن الأموال
العامة ورفضه هدايا متعلقة بأعمال الدولة .

كما أن الخليفة وجه الباقي المستحق على أهل الكتاب من الجزية
لتقوية جيوش المسلمين فهي نفقة عامة من الإيرادات العامة للدولة .

(١١) المرجع السابق ص ٣٦٩ .

(١٢) المرجع السابق ص ٣٦٢ .

تفويه بعض رؤساء الحيرة من أهل الكتاب عن جزية المسلمين :

بعد أن صالح خالد بن الوليد أهل الحيرة عن الجزية وتركها لمواصلة الفتوحات الإسلامية أذاع رؤساء الحيرة من أهل الكتاب ، كتابا ينوّهون فيه عن المسلمين ويوضحون أن الجزية نظير منع المسلمين البغى عنهم .

فقد ورد بالكتاب :

« انا قد أدينا الجزية التي عاهدنا عليها خالد العبد الصالح والمسلمون عباد الله الصالحون ، على أن يمدّعونا وأميرهم البغى من المسلمين وغيرهم » (١٣) .

امهال الذميين لاداء الجزية فى عهد الصديق :

الجزية خسرية على الرؤوس وجمعها يتطلب وقتا لتحصيلها ممن يقع عليهم عبؤها ، وفي جزية الحيرة تم جمعها في خمسين يوما ، وكان خالد بن الوليد قد جعل رؤوس الدساتيق رهنا في يده لضمان الوفاء والاداء (١٤) .

عمال الجزية فى عهد أبى بكر الصديق (١٥) :

فى عهد أبى بكر الصديق، وبعد عقد الصلح بين أهل الكتاب على أداء الجزية ، كان القائد الذى يعقد الصلح مع أهل الكتاب متضمنا دفع الجزية ، يعين بالبلاذ عمالا لقبض الجزية المتفق عليها ، وفيما يلى بعض عمال خالد بن الوليد الذين عينهم لقبض الجزية :

عبد الله بن وثيمة المنصرى : نزل بالفلاليج لقبض الجزية

(١٣) الطبرى - مرجع سابق - ص ٣٧١ .

(١٤) الطبرى - مرجع سابق - ص ٣٧٠ .

(١٥) الطبرى جزء ٣ - مرجع سابق - ص ٣٧١ .

جرير بن عبد الله : عينه على بانقيا وبسما
 بشير بن الخصاصية : عينه على النهرين
 وسويد بن مقرن المزني : عينه على نستر
 وأط بن أبي أط : عينه على روزمستان

نماذج من قيمة جزية بعض البلاد في عهد الصديق :

فيما يلي نماذج أخرى من الجزية التي تصالح عليها خالد بن
 الوليد أثناء فتوحاته في عهد أبي بكر الصديق رضي الله عنه :

جزية أهل السيس :

— « ثم بعث (أي خالد بن الوليد) طليعة له إلى أهل السيس
 وفيها حصن فيه رجال مسلحة لكسرى فحاصروهم وفتح الحصن
 وأخرج من فيه من الرجال وضرب أعناقهم وسبى نساءهم وذرائعهم
 وأخذ ما كان فيه من المتاع والسلاح وهدم الحصن وأحرقه . »

فلما رأى أهل السيس ذلك وما صنع خالد بأهل الحصن طلبوا
 منه الصلح على أداء الجزية فأعطاهم فأدوا إليه الجزية « (١٦) » .

جزية أهل قرية أسفل الفرات :

— « ثم أن خالد مضى إلى قرية أسفل الفرات يقال لها بانقيا
 وفيها رجال مسلحة لكسرى في حصن فحاصروهم ، فافتتح الحصن
 وقتل من فيه من الرجال وسبى نساءهم وذرائعهم وأخذ ما كان فيه
 من المتاع والسلاح وأحرق الحصن وهدمه ، فلما رأى ذلك أهل
 القرية طلبوا الصلح منه على أداء الجزية ، فكان من ولى الصلح

(١٦) وردت بكتاب الخراج للقاضي أبي يوسف - مرجع سابق -

عنهم هانيء بن جابر الطائي فصالحه عنهم على ثمانين ألف درهم « (١٧) » .

جـزـية أهل بـانـقـيا :

— « ثم سار (أي خالد بن الوليد) حتى نزل بانقيا على شط الفرات فقاتلوه ليلة الى الصباح وحاصروهم واشتد قتالهم فافتتحها بقوة الله تعالى وعونه : وفيها أساورة كان كسرى صيرهم فيها ، فقتلهم وسبى نزارهم ونساءهم وأحرق الحصن وهدمه ، فلما رأى أهل بانقيا ذلك طلبوا الصلح منه فأعطاهم ، ثم بعث جرير بن عبد الله الى قرية بالسواد ، فلما اقتحم الفرات ليعبر الى أهل القرية ناداه دهقانها صلوبا : « لا تعبر أنا عبر اليك » .

فعبر اليه فصالحه على مثل ما صالحه عليه أهل بانقيا وأعطاه الجزية « (١٨) » .

جـزـية أهل ماروسـما :

— وصالحه أهل ماروسما وما حولها من القرى على ما صالحه عليه أهل الحيرة « (١٩) » .

الصديق أخذ الجزية من المجوس :

كان المجوس قوما يعبدون النار ليسوا يهودا ولا نصارى ولا أهل كتاب ، وقد قال على بن أبي طالب أن رسول الله وأبا بكر وعمر أخذوا منهم الجزية .

واستند أبو بكر في ذلك الى ما روى عن أبي عبيدة ، فقد قال : كتب رسول الله صلى الله عليه وسلم الى المنذر بن ساوى

« أن من صلى صلاتنا واستقبل قبلتنا وأكل ذبيحتنا فذلك المسلم له ذمة الله وذمة رسوله ، فمن أحب ذلك من المجوس فهو آمن ، ومن أبى فعلية الجزية » (٢٠)

وقد كان المجوس أهل كتاب ثم عبدوا النار ، فأخذ رسول الله صلى الله عليه وسلم منهم الجزية لأهل كتابهم وحرم مناكرتهم وذبائحهم لشركهم (٢١) .

الجزية في عهد الصديق كانت أحيانا عينية :

كانت الجزية تؤدى لرسول الله صلى الله عليه وسلم نقدا أو عينا ، وقد سار الصديق رضى الله عنه على سنة الرسول ، فلما أتى خالد بن الوليد دمشق ، تصدى له صاحب بصرى وجماعته ، غطفر بهم خالد بن الوليد وهزمهم فدخلوا حصنهم وطلبوا الصلح فصالحهم ودفعوا الجزية عن كل شخص دينارا وجريب حنطة كل عام (٢٢) .

اقرار الصديق شروط جزية أهل نجران مع الرسول :

لما توفي رسول الله صلى الله عليه وسلم ، أتى أهل نجران أبابكر الصديق رضى الله عنه ، وقدموا له كتاب رسول الله صلى الله عليه وسلم لهم بالصلح معهم ونصه كما يلي (٢٣) :

« بسم الله الرحمن الرحيم

هذا ما كتب محمد النبي رسول الله صلى الله عليه وسلم لأهل نجران ، أن كان له حكمه عليهم :

(٢٠) الخراج لأبى يوسف - مرجع سابق - ص ١٣١ .

(٢١) المرجع السابق ص ١٣٠ .

(٢٢) الطبرى - جزء ٢ - مرجع سابق ص ٤١٨ .

(٢٣) كتاب رسول الله صلى الله عليه وسلم وود بكتاب الاموال لأبى

عبيد ص ٢٤٤ ، ٢٤٥ .

أن في كل سوداء وبيضاء وحمراء وصفراء وشمرة ورقيق ،
وأفضل عليهم(٢٤) وترك ذلك لهم : ألفى حلة وفي كل رجب ألف حلة
كل حلة أوقية ، مازاد الخراج أو نقص فعلى الأوقى فليحسب ، وما
قضوا من ركاب أو خيل أو دروع أخذ منهم بحساب(٢٥) . وعلى
أهل نجران مقرئ رسل(٢٦) عشرين ليلة فما دونها : وعليهم عادية
ثلاثين فرسا وثلاثين بعيرا وثلاثين درعا إذا كان كيدا باليمن ذو
معنرة(٢٧) وما هلك مما أعاروا رسله فهو ضامن على رسله حتى
يؤدوه اليهم ولنجران وحاشيتيها(٢٨) ذمة الله وذمة رسوله ، على
دمائهم وأموالهم وملتهم وبيعهم ورهبانيتهم وأساقفتهم وشهادتهم
وغائبهم ، وكل ما تحت أيديهم من قليل أو كثير ، وعلى ألا يغيروا
أسقفا من سقيفاء ، ولا واقها من وقيهاه(٢٩) ولا راهبا من رهبانيتها .
وعلى أن لا يحشروا ولا يعشروا(٣٠) ولا يطا أرضهم جيش ، ومن
سأل منهم حقا فالنصف بينهم بنجران ، على أن لا يأكلوا الربا(٣١) ،
فمن أكل الربا من ذى قبل فذمتي منه بريئة وعليهم الجهد والنصح
قيما استقبلوا غير مظلومين ولا معنوف عليهم

-
- (٢٤) أفضل عليهم يعنى تفضل ومن عليهم بترك أموالهم بعد أن صار له
الحكم عليهم .
- (٢٥) يعنى إذا قضوا ما عليهم من خراج هذه الأشياء المذكورة تؤخذ
منهم بحالها .
- (٢٦) أى ضيافتهم وقراهم .
- (٢٧) يعنى إذا حصل غدر من أهل اليمن واحتجاج المسلمون أن
يستصروا منهم هذه الأشياء للحرب فعليهم أن يعيروهم إياها ترد اليهم بعد
الحرب ، وإذا تلف منها شيء نسمه المسلمون .
- (٢٨) وحاشيتيها : يعنى ما يتبعها من القرى والداكر .
- (٢٩) قال ابن الأثير فى النهاية (هكذا يروى بالقاف وإنما هو بالفاء
ولا وافة عن وقيته) والوافة هو التيم على البيت الذى فيه صليب النصرى .
- (٣٠) يحشروا يعنى يطروا من أرضهم ويعشروا يعنى يؤخذ منهم العشور .
- (٣١) حرم عليهم أكل الربا بالذات دون سائر المعاصى حتى لا يقع من
يتعامل معهم من المسلمين فى أكل الربا .

شهد بذلك عثمان بن عفان ومعه

تحليل كتاب رسول الله صلى الله عليه وسلم عن جزية أهل نجران :

ومن تحليل كتاب رسول الله صلى الله عليه وسلم يتضح أن
على أهل نجران واجبات ولهم حقوق وذلك على النحو التالي :

واجبسات أهل نجران :

- يؤدون كجزية الفى حلة وفى كل رجب ألف حلة

- تقوم كل حلة بأوقية

- تكون الأوقية أساس حساب الذراج

- يجوز أداء الجزية ركاب أو خيل أو دروع

- على أهل نجران ضيافة رسل رسول الله صلى الله عليه وسلم
لمدة عشرين ليلة

- فى حالة غدر أهل اليمن ، وبناء على طلب المسلمين ، يعير
أهل نجران المسلمين ثلاثين فرسا وثلاثين بعيرا وثلاثين درعا وإذا
تلف منها شيء ضمنه المسلمون .

- لا يتعامل أهل نجران بالربا

حقوق أهل نجران :

- من رسول الله صلى الله عليه وسلم عليهم بترك أموالهم لهم
ولم يصادرها مع أنه له الحكم عليهم .

- لأهل نجران ولأهل ما يتبعها من القرى الدساكر زمة الله
وزمة رسوله .

- يأمن أهل نجران وما يتبعهم من القرى والدسساكر على أموالهم وملئتهم وبيعهم وربانيتهم وأساقفتهم ، ويسرى ذلك على الحاضر منهم والغائب .

- لا يغير المسلمون رجال الدين لأهل نجران

- يبقى أهل نجران في أرضهم ولا يجلون عنها .

- لا تؤخذ منهم عشور

- لا يطا أرضهم جيش

- انصاف المطالبين بأى حق لهم يكون بنجران .

أقر أبو بكر الصديق كتاب رسول الله لهم وكتب لهم كتابا نحو من كتاب رسول الله صلى الله عليه وسلم (٣٢) فضمن لهم حقوقهم إذا أوفوا بالتزاماتهم تنفيذا لعهد رسول الله صلى الله عليه وسلم واستجابة لقول الله جل وعلا .

« يا أيها الذين آمنوا أوفوا بالعقود » (٠٠٠) (المائدة من ١)

وقد ظل أهل نجران بالجزيرة العربية طيلة عهد أبى بكر الصديق رضى الله عنه ، فلما كان عهد عمر بن الخطاب أجلاهم عن نجران لأنهم تعاملوا بالرأيا فخالفوا بذلك عهدهم ، فأتوا العراق واتخذوا النجرانية وهى قرية بالكوفة مقرا لهم وأوصى عمر رضى الله عنه الأمراء بأن يقطعوهم الأرض لا زرع فيها ولا شجر وليست في يد أحد ليعملوا فيها ، ويرى البعض أن اجلاء عمر لهم انما كان تنفيذا لوصية رسول الله صلى الله عليه وسلم للمسلمين بأن لا يبقى بأرض العرب دينان وأن يخرجوا اليهود والنصارى من جزيرة العرب (٣٣) .

تثبيت الجزية في عهد الخليفة الأول :

مما سبق يتضح أن أبا بكر الصديق ثبت أمر الجزية كما ثبت أمر الزكاة ، وإن كانت الزكاة تبرز علاقة المسلمين ببيت المال ، فإن الجزية تجسد علاقة أهل الكتاب ببيت مال المسلمين ، والعلاقة الثانية تختلف عن العلاقة الأولى ، فبينما علاقة الزكاة تنشأ طيبة من المسلمين لأن اعتناقهم الإسلام يربطهم بالله وبدولة الإسلام ، فإن علاقة الجزية تنشأ بين أهل الكتاب من النصارى واليهود وهم على دين غير دين الدولة ، وكانت أعناقهم قد اشترأبت بعد موت رسول الله صلى الله عليه وسلم ، ليروا ماذا سيتم في أمر الإسلام والمسلمين وندولتهم بعد أن أتت القبائل المسلمة إلا من عصم الله إلى أبي بكر الصديق رضي الله تعالى عنه فطلب إعفاءها من أداء زكاة الأموال ، فلما بلغهم تصميم أبي بكر وانتصاره على المرتدين ، وأعلانه الجهاد وإرسال الجيوش لنشر راية الإسلام عرفوا أن الإسلام مستمر ، وأن الله نزل الذكر ، وأنه جل وعلا حافظاً له ، فعادت أعناقهم إلى الاعتدال بعد أن اشترأبت وأدوا الجزية عن يد وهم صاغرون .

رد الجزية لأهل حمص في عهد أبي بكر :

أوضحنا أن أداء أهل الكتاب الجزية يجعلهم في نعمة المسلمين يؤمنون على أنفسهم وأموالهم ، فإذا تعذر تحقيق هذا الأمان تدين الجزية لدافعيها ، وهذا هو ما فعله أبو عبيدة مع أهل حمص ، عندما شغل المسلمون عن نصرة أهل حمص بسبب حشد المسلمين لمقابلة جيش هرقل في معركة فاصلة ، فرد أبو عبيدة لهم ما كان قد أخذهم منه من الجزية .

فقال المسلمون لأهل حمص : قد شغلنا عن نصرتكم والدفع عنكم ، فأنتم على أمركم .

فقال أهل حمص : لولايتكم أحب الينا مما كنا فيه من الظلم والغشم ، ولندفعن جند هرقل عن المدينة مع عاملكم •

وقال اليهود : رالتوارة ، لا يدخل عامل هرقل مدينة حمص ، الا أن تغلب عليها ونجهد فأغلق أهل حمص أبواب مدينتهم وحرسوها (٣٤) •

الفصل الثالث

سنة الرسول توجه خراج الأرض فى عهد الصديق

أنواع الأرضين التى تركها رسول الله :

لما توفى رسول الله صلى الله عليه وسلم وخلفه أبو بكر الصديق رضى الله عنه كانت أوضاع الأرض العامة والتى آلت للدولة من الفتوحات الإسلامية كما يلى :

— أرض بنى النضير وكانت مما آفاه الله على رسوله صلى الله عليه وسلم ومما لم يوجب المسلمون عليه بخيل ولا ركاب ، فكانت لرسول الله صلى الله عليه وسلم خاصة ، فكان ينفق منها على أهله نفقة سنة ، وما بقى جعله فى الكراع والسلاح عدة فى سبيل الله .

— أرض بنى قريظة وقد آلت للدولة الإسلامية بعد بعض القتال ، قال للدولة الإسلامية خمسها طبقا لآية الخمس لله وللرسول ولذئى القربى واليتامى والمساكين وابن السبيل والأربعة أخماس الباقية وزعت على المقاتلين .

— كما أن رسول الله صلى الله عليه وسلم ترك أرض خيبر بعد أن افتتحها والمجاهدون عنوة وقسمها على أساس الخمس للمسلمين

في آية الخمس والأربعة أخماس الباقية للفاتحين ، ثم دفع الرسول صلى الله عليه وسلم الأرض لأهل خيبر ليعملوها ويكون ثمرها بين المسلمين وبين أهل خيبر بالنصف وتجليهم الدولة الإسلامية في الوقت التي تريد .

— كما أن رسول الله صلى الله عليه وسلم افتتح مكة ثم لم يقسمها ولم يجعلها نبيًا وقال « أن مكة حرام حرمها الله لا يحل بيع رباعها ولا أجور بيوتها »

نصيب الرسول في الأرض العامة :

وعلى ذلك يكون للرسول صلى الله عليه وسلم الأنصبة التالية في الأرض العامة :

أرض بنى النضير كلها ولكنه صلى الله عليه وسلم اكتفى منها بما ينفق منها على أهله نفقة سنة وما بقى أنفق على الجهاد في سبيل الله .

سهم الخمس المقرر له طبقا لآية الخمس في أرض بنى قريظة .

سهم الخمس المقرر له طبقا لآية الخمس في أرض خيبر .

وقد ثبت أن الرسول صلى الله عليه وسلم كان زاهدا وكثيرا ما بات وأهل بيته طاوئين من الجوع ، وقد أشارت لذلك أم المؤمنين عائشة رضي الله عنها فقالت أن الأيام كانت تمر ولا يوقد في بيت رسول الله صلى الله عليه وسلم نار لطهي الطعام ، وشكت أمهات المؤمنين رضي الله عنهن من أنهن لا يجسدن ما يكفين من النفقة والزينة .

عدم توريث أرض الرسول وأهل بيته المال :

ولو كان رسول الله صلى الله عليه وسلم رئيس دولة فقط ولم يكن نبيا لآل لورثته ما آل إليه من تلك الأراضي ولآل لرئيس الدولة بعده وهو أبو بكر الصديق رضي الله عنه ما كان مخصصا للرسول

صلى الله عليه وسلم للانتفاع بريعه ، ولكن أبا بكر الخليفة الأول
للرسول صلى الله عليه وسلم لم يورث ما تركه الرسول صلى الله
عليه وسلم ، فقد أرسلت فاطمة الزهراء رضى الله عنها بنت رسول
الله اليه تطلب ارثها من أبيها ، فرد عليها أنه سمع رسول الله صلى
الله عليه وسلم يقول « نحن الأنبياء لا نورث ، فما تركناه صدقة »
فما كان جوابها الا أن قالت « أنت وما سمعت من رسول الله » أي
التزمه (١) .

وكان عمر بن الخطاب رضى الله عنه على رأى أبى بكر فيما
تركه النبى .

واختلف الناس بعد وفاة رسول الله صلى الله عليه وسلم في
كيفية تطبيق ما ورد بآية الخمس من تخصيص سهم للرسول وسهم
لذى القربى ، فقال قوم سهم الرسول للخليفة من بعده ، وقال
آخرون سهم ذوى القربى لقرباه الرسول عليه السلام . وقالت
طائفة : سهم ذوى القربى لقرباه الخليفة من بعده ، فأجمعوا على
أن جعلوا هذين السهمين في الكراع والسلاح (٢) وهذا ما فعله
أبو بكر الصديق رضى الله عنه (٣) .

إذا فقد آلت الأراضي العامة كلها التي كانت للرسول صلى
الله عليه وسلم لببيت مال المسلمين لينفق من خراجها على شئون الدولة
بصفة عامة وعلى هدى : كان يعمل رسول الله صلى الله عليه وسلم
مع تخصيص نصيب الرسول وذى القربى للانتفاق على الخيل الغازية
في سبيل الله وما يلزم المجاهدين من سلاح .

(١) يذكر الطبرى أن السيدة فاطمة رضى الله عنها ماتت بعد رسول
الله صلى الله عليه وسلم ستة أشهر فيكون مطالبتها ببيتها من والدتها في
أوائل عهد الصديق - الطبرى - مرجع سابق - ص ٢٤٠ .

(٢) الخراج لأبى يوسف ص ٢١ .

(٣) وردت بنفس الآراء المختلفة بخصوص سهم الرسول وذى القربى
بكتاب - الأموال لأبى حنيفة مرجع سابق ص ٤١٦ .

زكاة ارض المسلمين وخراج ارض الكتابيين آل لبیت المال :

وليس الخراج وحده هو ما كان يؤول لبیت المال في عهد الصديق رضي الله عنه ، بل كان يؤول لبیت المال زكاة الزروع والثمار التي كان يملكها المسلمون تنفيذا لقول سبحانه وتعالى (وءاتوا حقه يوم حصاده) (الأنعام من ١٤١) واستنادا لأحاديث رسول الله صلى الله عليه وسلم التي أوضحت نصاب زكاة الزروع وما يخضع منها للزكاة وفئاتها وطريقة تحديدها ، ومن المعلوم أن الزكاة التي تؤول لبیت مال المسلمين تختلف عن الخراج في وجوه انفاقها فالأولى مخصصة للانفاق منها على وجوه الانفاق الثمانية التي وردت في القرآن الكريم ، بينما أن الخراج ينفق منه على وجوه الانفاق العامة للدولة الاسلامية .

ماذا تم في ارض الفتوح في عهد أبي بكر :

ذكرنا أنه قد تحققت انتصارات في الفتوحات الاسلامية في عهد أبي بكر الصديق رضي الله عنه وأن الغنائم كانت تقسم بين المسلمين بعد أيلولة الخمس لبیت مال المسلمين مما يدعو الى التساؤل وماذا تم في تقسيم اراضي تلك البلاد المفتوحة ؟ ان الفتوح العام لهذه الاراضي لم يتم نهائيا في عهد أبي بكر الصديق رضي الله عنه وإنما تم في عهد عمر بن الخطاب بسبب انتكاسات لفتوح العراق انتصر بعدها المسلمون كما استكملت باقي فتوح العراق في عهد عمر ، مما جعل مسألة توزيع اراضي الغنائم تثار في عهد عمر بن الخطاب وليس في عهد الصديق رضي الله عنهما ، فقد تقدم الفاتحون لعمر بن الخطاب طالبين تقسيم اراضي السواد في كل من العراق والشام عليهم ، ولكن عمر رضي الله عنه كان من رأيه أن تؤول ملكية اراضي الفتوح للدولة ولا تقسم ويبقى عليها أهلها من أهل الكتاب يزرعونها ويؤدون عنها الخراج للدولة ، فلما استشار كبار الصحابة من المهاجرين أيده بعضهم وعارضه آخرون ، فاجتهد واستند الى الآيات من السادسة حتى العاشرة في سورة الحشر بأن الشيء من الارضين لأهل القرى والمهاجرين والانتصار ولن يأتي من بعدهم ، وعرض

الأمر على كبار الأنصار فأيدوه في رأيه ورضى بذلك الفاتحون إزاء تفسير عمر وتأييد كبار مجتهدى الأمة .

ولو تمت الفتوحات نهائياً في عهد أبى بكر الصديق واستشار الصحابة كما استشار عمر لانتهى رأيهم الى ما انتهوا اليه في عهد عمر ولأخذ به الصديق إيثارا لمصلحة الأمة ومصلحة أجيال المسلمين المقبلة وحتى لا تنشأ في الدولة الإسلامية وقتئذ طائفة لكبار ملاك الأراضي تشغلهم عن الجهاد في سبيل الله وتؤول الى ورثتهم من بعدهم دون باقى المسلمين .

انواع الأرض العامة في عهد أبى بكر :

وعلى ذلك كانت أنواع الأرض طبقاً لعلاقاتها ببית مال المسلمين في عهد الصديق كالتى :

— أرض ملك للدولة وتديرها كإرض بنى النضير وهذه يؤوا، كل ربيعها لبیت مال المسلمين .

— أرض يملكها المسلمون فهي أرض عشرية تؤدى زكاة الاموال لبیت المال عن محصولاتها اذا بلغت نصاباً .

— أرض خراجية وتحت يد أهل الكتاب ليزروعوها كإرض خيبر ، فهذه أرض خراجية تؤدى الخراج طبقاً للشروط التى تم الاتفاق معهم عليها أيام رسول الله صلى الله عليه وسلم ، وقد أقر أبو بكر الصديق لما تولى الخلافة ما اتفق عليه الرسول مع أهل خيبر .

— أرض حرام وهى أرض مكة لا يحل بيع رباعها ولا اجور بيوتها ، والذي يقوم على مراعاة حرمتها هى الدولة تنفيذاً لحديث الرسول صلى الله عليه وسلم ،

الفرق بين الخراج والجزية :

على أنه يجب التفرقة بين الخراج والجزية فلكل منهما خصائص تختلف عن الأخرى ، وإن كان يدفع كل منهما الذمى من أهل الكتاب

وكل منهما ضريبة تؤدي المالك ويقوم بتحصيلها ممثلون عن الدولة الإسلامية ، وتمثل الفروق بينهما فيما يلي :

ـ الجزية ضريبة على الرؤوس والخراج ضريبة على ناتج الأرض .

ـ تحدد فئات الجزية طبقا لدرجة يسار الذمي من أهل الكتاب فيمكن زيادتها على الغنى والتدرج بها هبوطا في السعر كلما هبط دخل الخاضع لها بينما تحدد فئات الخراج على الأرض طبقا لخصوبتها ونوع الري إذا كان ميسرا أم له تكلفة عالية ، وطبقا لنوع المحصول الذي تنتجه الأرض وما إذا كان سعره مرتفعا أم منخفضا .

ـ تحصل الجزية في الغالب مرة واحدة كل سنة بينما يرتبط تحصيل الخراج بعدد المحاصيل التي تزرع سنويا ومواعيد ظهورها .

ـ كان الرسول يأخذ الجزية عينا أو نقدا وكان يغلب أن يؤدي الخراج عينا من نوع المحصول .

شاعر يخلط بين الجزية والخراج في عهد أبي بكر :

في أحد حروب الردة وبعد أن اتفق المرتدون على إثارة السلام ودفع الجزية قال ابن بكيلة في ذلك شعرا يقارن بين ما تم الاتفاق عليه كجزية وبين ما كان قومه يدفعونه كخراج لكسرى وقد عبر عن الجزية بالخراج وهو خطأ فقد أوضحنا الفرق بين الجزية والخراج، فقال الشاعر :

تؤدي الخرج بعد خراج كسرى
وخرج من قريظة والنضير
كذاك الدهر دولته سجال
فيوم من مساءة أو سرور^(٤)

(٤) الطبري - مرجع سابق - ص ٢٦٢ .

عسودول أبى بكر عن التنازل عن خراج البحرين :

جاء الزبيرقان والأفرع وهما من رؤساء القبائل الى أبى بكر
وقالا : اجعل لنا خراج البحرين ونضمن لك الا يرجع من
قومنا أحد (أى الردة) .

ففعل أبو بكر وكتب كتابا بذلك وأشهدوا شهودا منها عمر بن
الخطاب وكان الذى يتوسط بين أبى بكر وبينهما طلحة بن عبيد الله
فلما عرض الكتاب على عمر بن الخطاب رفض أن يشهد على
الكتاب

وقال : لا والله ولا كرامة

ثم مزق الكتاب وسماه

فغضب طلحة وأتى أبى بكر

فقال : أأنت الأمير أم عمر ؟

فقال : عمر ، غير أن الطاعة لى

فسكت طلحة(٥)

ولربما كانت فلسفة أبى بكر ، أنه لا يمنع فى سبيل رفعة الاسلام
واعلاء أمر الدين ومنع الردة من تأليف القلوب بالمال ولا ضير فى
ذلك ، فقد كان الرسول صلى الله عليه وسلم يتألف من لم يخلص
اسلامه من رؤساء العرب وقال عليه الصلاة والسلام :

« والله انى لأعطي الرجل وأدع الرجل الذى أدع أحب الى
من الذى أعطى ، ولكنى أعطي أقواما لما أرى فى قلوبهم من الجزع
والهلع وأكل (أترك) أقواما الى ما جعل الله فى قلوبهم من الغنى
والخير » .

(٥) انرجع السابق من ٢٧٥ .

ولربما كانت فلسفة عمر بن الخطاب ، أن الردة لا تعالج إلا بالحسم ، ولو فتح الباب للقبائل لتأخذ ثمن عدم ارتدادها من أموال الخراج لفشى ذلك بين القبائل الأخرى ولتقلص سلطان الدولة المالي وتشتت خراجها ، وقام الدين في نفوس البعض على أساس المنفعة .

والفلسفة الأولى نبعث مما اتصف به الصديق من لين والفلسفة الثانية نبعث مما اتصف به عمر بن الخطاب من شدة .

ولا ضير من أن يرجع الصديق عن رأيه ويأخذ برأى عمر ، فتبادل الآراء والأخذ بأصلح الآراء هو النتيجة الحتمية للمشورة التي أمر بها الله جل وعلا رسوله الكريم ، فقال جل وعلا :

« وشاورهم في الأمر. فإذا عزمت فتوكل على الله » (آل عمران من ١٥٩)

اقطاع الأرض للأفراد في عهد أبي بكر :

للأرض العامة جانب آخر يتصل بالمالية العامة وهو اقطاع الأرض للأفراد بدون ثمن ليصلحوها ويعمروها وإذا لم يعمروها تعود للدولة ، وقد ثبت أن الرسول صلى الله عليه وسلم أقطع بعض الأراضي العامة لبعض المسلمين^(٦)

العدول عن اقطاع أرض لطلحة بن عبيد الله :

فلما خلفه أبو بكر الصديق رضى الله عنه ، أقطع أرضا لطلحة ابن عبيد الله رضى الله عنه وكتب له بها كتابا وأشهد له ناسا فيهم عمر بن الخطاب رضى الله عنه ، فأتى طلحة عمر بالكتاب

(٦) لمزيد من التفاصيل - انظر كتابنا السيامة المالية للرسول - ص ١٥٨ وما بعدها .

فقال : اختتم على هذا

فقال عمر : لا أختتم ، أهذا كله لك دون الناس ؟

فرجع طلحة مغضبا الى أبى بكر

فقال : والله ما أدري ، أنت الخليفة أم عمر ؟

فقال أبو بكر : بل عمر ولكنه أبى(٧)

ومن هذا يبين فلسفة أبى بكر في اقتطاع الأرض وفلسفة عمر ابن الخطاب ، فبينما أبو بكر يرى اقتطاع الأرض للإصلاح ، ويرى عمر تقييد الاقتطاع بحيث لا تعطى مساحة كبيرة لفرد في الأمة دون سائر الناس ، ولعل ذلك ماحدا بعمر ألا يقسم أرض الفتوح على المقاتلين ، ولا يخصها بهم دون باقى أفراد الشعب حاليا ومستقبلا ، وأثر أن تؤول للدولة ليكون عائدها للجميع ، وقد سبق أن نوهنا عن ذلك .

مناقشة مبدأ اقتطاع الأرض في عهد الصديق :

جاء رجلان الى أبى بكر من الذين كان الرسول صلى الله عليه وسلم يتألف قلوبهم :

فقالا له : يا خليفة رسول الله ، عندنا أرض سبخة ، ليس فيها كلاً ولا ينفع بها ، فإن رأيت أن تقطعناها ، لعلنا نحرقها أو نزرعها ، ولعل الله أن ينفع بها بعد اليوم *

فقال أبو بكر لن حوله : ما رأيكم فيما قالا ؟

قالوا : ان كانت أرضا سبخة لا منفعة بها ، فنرى أن تقطعها هدين ، لعل الله أن ينفع بها بعد اليوم *

فأقطعهما الصديق إياها ، وكتب لهما بذلك كتاب وأشهد عمر وهو ليس فى القوم *

(٧) الاموال لأبى عبيد - مرجع سابق - ص ٢٥١ ، ٢٥٢ .

فانطلق الرجلان الى عمر بن الخطاب ليشهداه ، فوجداه بهذا
بغيره له (هنا البعير طلاء بالقطران)

فقالا له : ان أبا بكر أشهدك على ما في هذا الكتاب • فقبل
لنا ان نقرأه عليك ، أو نقرأ ؟

قال : أنا على الحال التي ترياني ، فان شئتما فاقرأ ، وان
شئتما فانتظرا حتى أفرغ فاقرأ •

قال : بل نقرأ

فقرأه

فلما سمع عمر ما في الكتاب تناوله من أيديهما ، ثم ثقل عليه
فمحاها ، فتذمرا

وقالا له مقالة سيئة

فقال لهما : ان رسول الله كان يتألفكما والاسلام يومئذ قليل
نليل ، وان الله عزوجل قد أعز الاسلام ، اذهباً فأعملاً ، واجهداً
جهنكماً ، لا رعى الله جهنكماً ان رغبتما (أى عن العمل)

فاقبلا الى أبى بكر وهما يتذمران

فقالا يستفزانه : والله ما ندرى من الخليفة أنت أم عمر ؟

قال الصديق • بل هو لو كان شاء •

فجاء عمر وهو مغضب حتى وقف على أبى بكر •

فقال : يا خليفة رسول الله ، أخبرنى عن هذه الأرض التي
أقطعتها هذين لك خاصة أم بين المسلمين عامة ؟

قال الصديق : بل هى للمسلمين عامة •

قال عمر : فما حملك ان تخص بها هذين دون جماعة

المسلمين ؟

قال الصديق : استشرت هؤلاء الذين حولي فأشاروا على
بذلك .

قال عمر : فإذا استشرت هؤلاء الذين حولك ، أفكل المسلمين
وسعتهم شورة ورضا ؟

قال أبو بكر : قد قلت لك أنك أقوى على هذا الأمر مني ،
ولكنك غلبتني .

وأقر الصديق عمر على اجتهاده (٨) .

ومن تحليل هذه الواقعة يمكن استخلاص ما يلي :

— كانت موافقة الصديق على إقطاع الأرض للرجلين لتزرع
— وهي أرض مسبوخة — فينتفعا بها ، وينتفع بنتائجها ، مما
يؤدي إلى زيادة الانتاج العام وهو من الأهداف التي تدخل في
اختصاص الحكومات وولى الأمر .

— أن الصديق طبق مبدأ المشورة قبل أن يتخذ القرار

— أنه قصد بقراره أن يتألف القلوب كما كان يفعل رسول
الله صلى الله عليه وسلم .

واعتراض عمر تأسيس على ما يلي :

— أن الأرض أرض عامة فهي ملك الأمة جمعاء .

— لا يكفي للتنازل عنها استشارة البعض دون البعض الآخر .

— أنه لا محل لتأليف القلوب بعد أن أعز الله الاسلام ، (وقد
أوقف عمر بغد توليه الخلافة الانفاق على المؤلفة قلوبهم من الزكاة
منه رأى أن الاسلام والدولة قويا وأصبحا في غير حاجة للتأليف) .

(٨) الصديق أول الخلفاء الراشدين — عبد الرحمن الشراوى —
الفصل السابع .

– نصح عمر الرجلين أن يعملوا بدلا من أن يعتمدا على أرض الدولة وكان يرى أن لا حق لهما فيها .

وقد أقر الخليفة في النهاية رأى عمر ، ولعله حينما أشبهه على كتابه للرجلين ، كان ينتظر رأيه ، فلما أيداه تقبله ، لأنه لا يريد إلا الصالح العام .

وفاء أيى بكر لوعده الرسول بإقطاع أرض :

في حياة رسول الله صلى الله عليه وسلم تقدم اليه تميم الدارى بعد أن أسلم

فقال : يا رسول الله ان لى جيرة من الروم بفلسطين لهم قرية يقال له جيرون وأخرى يقال لها عينون ، فان فتح الله عليك الشام فهبهما لى .

فقال رسول الله صلى الله عليه وسلم : هما لك .

قال : فاكتب لى بذلك كتابا .

فكتب له الكتاب القالى :

« بسم الله الرحمن الرحيم

هذا كتاب من محمد رسول الله لتميم بن أوس الدارى أن له قرية جيرون وبيت عينون قريتهما كلهما وسهلها وجبلها وماؤهما وحرثها وأنباطهما وبقرهما ولعقبه من بعده لا يحاقه فيهما أحد ولا يلجها عليهما أحد بظلم ، فمن ظلم واحدا منهم شيئا فان عليه لعنة الله » .

فلما ولي أبو بكر كتب لداريين الكتاب القالى :

« بسم الله الرحمن الرحيم

هذا كتاب من أبي بكر أمين رسول الله صلى الله عليه وسلم الذي استخلف في الأرض بعده ، كتبه للداريين أن لا يفسد عليهم سيدهم^(٩) ولبيدهم^(١٠) من قرية جيرون وعينون فمن كان يسـمع ويطيع فلا يفسد منهما شيئاً وليقم عمودى الناس عليهما وليمنعهما من المفسدين^(١١) .

فلما استخلف عهـ وظهر على الشام جاءه تميم الدارى فأنجز كتاب رسول الله صلى الله عليه وسلم المؤيد بكتاب أبي بكر رضى الله عنه^(١٢) .

حمى الأرض في عصر أبي بكر :

ينبت الكلأ ببعض أراضى الدولة التى ليست ملكاً لأحد الناس ، ويظهر هذا الكلأ بدون جهد للناس من بذر أو رى أو حرث أو غير ذلك ، فيكون الكلأ الذى نبت فيها مباحاً لأنعام الناس ، وذلك طبقاً لسنة الرسول صلى الله عليه وسلم بأن الناس شركاء فى الماء والكلأ والنار ، فلا يجوز أن تحمى هذه الأرض بأن تمنع عن الناس ليرعوا فيها أنعامهم ، إلا إذا كان المنع لله ورسوله ، وكان ذلك فى أيام الرسول صلى الله عليه وسلم للخيـل الغازية فى سبيل الله .

وقد حمى أبو بكر الصديق رضى الله عنه بلدة الأبرق بعد أن انتصر فى قتال أهلها المرتدين فمنعوا من دخولها ، فاتوا أبا بكر فى المدينة .

(٩) السبد : العليل من الشعر .

(١٠) اللبد : الكثير من الشعر .

(١١) كتاب الخراج للقاضى أبى يوسف - مرجع سابق - ص ٢١٦ .

(١٢) الاموال لأبى عبيد - مرجع سابق ص ٣٤٩ .

فقالوا : علام نمنع من نزول بلادنا ؟

فقال : كذبتُم ليست لکم ببلاد ولكنها موهبي ونقذی (١٣) •

وحمی الأبرق لخیون المسلمین ، ثم حماها وسائر البلاد الريدة
لصدقات المسلمین ، لقتال كان وقع بین الناس وأصحاب الصدقات
فمنع بذلك بعضهم من بعض (١٤) •

(١٣) النقذ : ما استنفذه من المدو

(١٤) الطبری جزء ٣ - مرجع سابق •

الفصل الرابع

مناقشة الإيرادات العامة للدولة في عهد الصديق في ضوء الفن المالي الحديث

أنواع الإيرادات العامة الحديثة :

لم تتضمن الإيرادات العامة في عهد الصديق أنواعا من الإيرادات العامة تظهر في الموازنات العامة الحديثة ، ولناقشة أسباب ذلك نوضح أهم أنواع الإيرادات العامة الحديثة وما لم يكن موجوبا منها أيام الصديق وأسبابه ثم نوضح طبيعة الإيرادات في عهد الصديق في ضوء الفن المالي الحديث .

أنواع الإيرادات العامة الحديثة

الضريبة :

وهي فريضة نقدية تفرضها الدولة جبرا على الأفراد كل على قدر طاقته ، بمالها من حقوق السيادة ويدفعونها دون مقابل يقصد تعجيلية النفقات العامة .

وتتبع الدولة نظاما مختلفة في فرض ضرائبها ، فقد تفرض ضريبة موحدة أو تفرض ضرائب متعددة للحصول على الإيرادات

العامة اللازمة لها ، وقد تتنوع الضرائب فتكون على الأشخاص أو على الأموال ، وقد تكون ضرائب الدولة مباشرة وغير مباشرة ، وقد تكون ضرائب الدولة شخصية ترعى شخصية الممول في قواعد ربطها وضرائب ذات صبغة عينية لا تراعى شخصية الممول كالضرائب الجمركية ، وقد تكون ضرائب للدولة ذات سعر تناسبي ثابت مهما زاد الإيراد أو تكون ذات سعر تصاعدي يتزايد كلما زاد الإيراد الخاضع للضريبة وقد تشمل النوعين معا .

الرسم :

وهو مبلغ نقدي تحصله الحكومة من بعض الأفراد جبرا مقابل مزايا تمنحها لهم أو خدمات من نوع خاص تؤديها لهم .

وبذلك يختلف الرسم عن الضريبة فالرسم يدفعه الممول نظير مقابل يعود عليه أما الضريبة فتفرض ويدفعها الممول دون مقابل مباشر يعود عليه .

وقد تعددت الرسوم في الدول حديثا بتعدد الخدمات العامة التي تؤديها الدولة للأفراد كرسوم التعليم والصحة والعدالة .

الثمن العام :

يدفع الأفراد للحكومة مبلغا نقديا مقابل المشتريات العامة التي تقدمها لهم بدون الزام من الحكومة وبذلك تختلف الأثمان العامة عن الرسوم ، كما هو الحال عندما تقوم الحكومة بإدارة المرافق العامة كالمياه والكهرباء وينتفع بها الأفراد طواعية نظير دفع الثمن .

إيرادات الممتلكات العامة :

للدول ممتلكات كالأراضي والمساكن وغيرها وتستغلها فتساهم مواردها في التمويل العام لتلك الدول .

الائتاءة :

هى عبارة عن مبلغ من المال تفرضه الدولة جبرا نظير تنازلها عن حق من حقوقها للغير لمدة محدودة كحق استغلال محجر أو منجم .

فوائض وحادات القطاع العام :

نتيجة لتدخل الدولة فى النشاط الاقتصادى تقوم بإنشاء شركات عامة بقصد مزاولة الأنشطة التجارية والصناعية والزراعية والفنادق وغيرها ، وتكون رؤوس أموال هذه الشركات اما مملوكة للحكومات ملكية كاملة أو لها نصيب فى ملكيتها ، وفى نهاية السنة يؤول فائض هذه الوحدات كله أو نصيب منه للدولة بمقدار ما تملكه فى الشركة ويعتبر ما تحصل عليه الدولة من فوائض هذه الشركات من الإيرادات العامة لها (١) .

إيرادات عامة حديثة لم تكن موجودة فى عهد الصديق :

ولم يكن موجودا فى عهد الصديق رضى الله عنه الأنواع التالية من الإيرادات العامة :

الرسم :

لما كان الرسم يؤديه الأفراد حاليا للدولة نظير خدمة عامة يحصلون عليها ، ولما كانت قديما تؤدى الدولة الخدمات العامة للأفراد دون مقابل لأنها كانت قليلة الأنواع ولأنها لم تكن باهظة التكاليف فلم تحصل منهم على مقابل لها خصوصا وأن الخدمات العامة كانت قاصرة على الخدمات التقليدية ، ففى الدولة الإسلامية

(١) للتفصيل يرجع لكتابنا الموازنة العامة من ٢٤٧ وما بعدها - طبعة

ثالثة الهيئة المصرية العامة للكتاب .

الأولى كانت الخدمات العامة هي أداء الشعائر وتعليم الدين والجهاد في سبيل الله والخدمات الاجتماعية وهي بطبيعتها دون مقابل لأنها مفروضة على الأغنياء والقادرين للفقراء والمساكين وأمثالهم *

الثلث العمام :

لم تكن الحكومة تاجرة في القرون الوسطى ولم تكن للدولة الإسلامية في خلافة أبي بكر الصديق مرافق عامة حتى تباع ناتجها للأفراد وتحصل منهم على ثمن عام منهم *

الاتساق :

لم يثبت في عهد أبي بكر الصديق أنه قد تقدم للدولة شخص لاستغلال مناجم أو محاجر أو غيرها مما تملكه الدولة الإسلامية وإن كان هذا النوع من الإيراد أصبح من أهم الموارد العامة في الجزيرة العربية بسبب ما تم من اكتشافات لحقول البترول حديثا * وقد ثبت أنه في عهد الصديق اكتشف منجم للذهب قرب المدينة (٢) *

قوائم وحدات القطاع العام :

لم تكن الفلسفة الاقتصادية بشأن تدخل الدولة للاحداث التوازن الاقتصادي والقيام بالمشروعات العامة قد عرفت بعد في عهد أبي بكر الصديق رضى الله عنه وإنما طبقت في الثلاثينيات وعلى ذلك لم تشمل الإيرادات العامة فائض لقطاع الأعمال في عهد الصديق *

(٢) في كتاب الصديق أبو بكر - محمد حسين هيكل - الطبعة السابعة -

طبعة دار المعارف - يذكر المؤلف ص ٣٠٨ ، « أن الصديق سوى في قسمة الذهب الذي كان يجيء من المنجم الذي فتح على مقربة من المدينة في مهده بين المسلمين » وعلى ذلك فإن المنجم كان يدار بعرفة الدولة .

ايرادات الممتلكات العامة :

كان للدولة الاسلامية في عهد أبى بكر الصديق أراضى عامة على النحو الذى أوضحناه ولكنها لم تكن بالكثرة التى تحققت في عهد عمر بن الخطاب رضى الله عنه حينما آلت أراضى الدولة المفتوحة للدولة الاسلامية ولم تقسم كباقى الغنائم على الفاتحين .

طبيعة الايرادات العامة في عهد الصديق في ضوء الفقه الحديث للمالية العامة :

يثور بعد ذلك السؤال عن طبيعة الايرادات العامة فى عهد أبى بكر الصديق رضى عنه هل هى كلها ضرائب كالضرائب الحديثة أم أن بعضها ضرائب والبعض الآخر له طبيعة خاصة تتواءم مع طبيعة الدين الاسلامى ومنهجه ؟ ونوضح فيما يلى طبيعة كل إيراد من الايرادات العامة للدولة الاسلامية في عهد الصديق رضى الله عنه :

الزكاة فريضة اسلامية ذات طابع مالى :

الزكاة ليست من انواع الضرائب بل لها طبيعة خاصة فرضها الله سبحانه وتعالى والضرائب تفرضها الدول ويدفع المزمى الزكاة طوعية ، بينما الضرائب يدفعها الممول جبرا عنه ولا يحصل مقابلها على منفعة مباشرة وإنما يعود عليه من الخدمات العامة كسائر المواطنين ومؤدى الزكاة يجزى عنها بثواب الله جل وعلا ورضائه ، وبذلك لا تجزى الضرائب عن الزكاة ولا يحل أحدهما محل الآخر . فالزكاة اذن فريضة دينية ذات طابع مالى .

الزكاة ليست جزئية :

اعتبر بعض المرتدين في عهد أبى بكر الصديق رضى الله أن الزكاة جزئية ، وفى ذلك يقول أحد الكتاب ، فزحفوا عليها (أى زحف المرتدون على المدينة) وظنوا أنهم اذا هددوها وهى عزلاء وتوسلوا

بالمعاوضة والوساطة في الوقت نفسه رجع الخليفة عن عناده وقبل منهم ما ساءموه عليه ، وهو اقامة القرائض كلها والاعفاء من الزكاة ٠٠٠٠ أو من الجزية كما سموها «(٣)» .

ولقد كان المرتدون في اعتبارهم الزكاة جزية مضللين مضطئين عاصين لأن الزكاة خلاف الجزية كما يتضح مما يلي :

— آيات الزكاة بالقرآن الكريم خلاف آيات الجزية .

— الزكاة ليست ضريبة كما أوضحنا والجزية ضريبة كما سنوضح .

— الزكاة مفروضة على المسلم والجزية مفروضة على أهل الكتاب وليس على مسلم جزية .

— الزكاة يدفعها المسلمون طواعية ، والجزية يعطيها أهل الكتاب لبیت مال المسلمين عن يد وهم صاغرون .

— يعفى من الزكاة من هم دون النصاب من المسلمين ويعفى من الجزية الصغار والنساء والعاجزين من الرجال فاعفاء الزكاة خلاف اعفاءات الجزية .

— أداء الزكاة ابتغاء ثواب الله وأداء الجزية ابتغاء احتفاظ أهل الكتاب بدينهم وعدم القتال والتمتع بالأمن والأمان على النفس والمال والولد .

— وجوه نفقات الزكاة محددة بالقرآن بينما الاتفاق العام من الجزية مطلق غير محدد .

الزكاة ليست اقاوة :

كان بعض العرب الممتنعين عن أداء الزكاة بعد وفاة رسول الله صلى الله عليه وسلم يرون أن الزكاة اقاوة فرفضها الرسول صلى

(٣) الصديق أبو بكر - محمد حسين هيكل - الطبعة السابعة - دار

المعارف بمصر ص ٧٢

الله عليه وسلم وطالبوا الإعفاء منها بعد وفاته ، فقد قال أحد رؤساء القبائل وهو قرّة بن هبيرة لعمر بن العاص بعد أن أكرمه وهو في الطريق عائداً من مهمة أرسله رسول الله صلى الله عليه وسلم لأدائها قبل وفاته ما يلي :

« ان العرب لا تطيب لكم نفساً بالأناوة (يقصد الزكاة) فان أنتم أعفيتموها من أخذ أموالها فستسمع لكم وتطيع وان أبيتم فلا أرى أن تجتمع عليكم » .

فقال عمرو : اكفرت يا قرّة

فقال: لنردنكم الى فيئتكم — اجعلوا بيننا وبينكم موعداً .

فقال عمرو : اتوعدنا بالعرب وتخوفنا بها ، موعدك حفش أمك (٤) ، فوالله لأوضحن عليك الخيل

وقدم عمرو بن العاص على المسلمين فأخبرهم .

وبعد ذلك وقع قرّة بن هبيرة في أسر خالد بن الوليد فأوثقه وبعث به الى أبى بكر فلما قدم عليه

قال له قرّة : يا خليفة رسول الله انى قد كنت مسلماً ، ولى من ذلك على أسلامي عند عمرو بن العاص شهادة ، قد مر بى فأكرمته وقربته .

فدعا أبو بكر عمرو بن العاص فقال : ما تعلم من أمر هذا .

فقص عليه الخبر حتى انتهى الى ما قال من أمر الصدقة .

قال قرّة لعمر : حسبك رحمك الله .

قال عمرو : لا والله ، حتى أبلغ كل ما قلت

وبلغ عمرو الخليفة بكل ما قاله قرّة .

(٤) الحفش : حقيبة المرأة تضع فيه زينتها .

فتجاوز الخليفة عن قرّة وحقن (٥) دمه (٦) .

وقد ضل الممتنعون عن الزكاة وأخطأوا بوصفهم إياها بأنها
اتّاة ، فمن الناحية الفنية تعرف الاتّاة بأنها « مبلغ من المال
تفرضه الدولة جبرا وتحصل عليه من الغير نظير منحه حق استغلال
أحد امتيازاتها لفترة محددة كحق استغلال محجر أو منجم في أراضي
الدولة » كما ذكرنا .

فالاتّاة طبقا لهذا التعريف تختلف عن الزكاة ولا تعتبر الزكاة
اتّاة لما يلي :

- الزكاة فرضها الله جل وعلا والاتّاة تفرضها الدولة .
- الزكاة تحصل عليها الدولة لتنفقها في وجوه محددة حددها
الله تعالى ، بينما الاتّاة تشييع مع إيرادات الدولة الأخرى ولا
تخصص لوجوه اتفاق عامة محددة .
- الزكاة أبدية الى يوم البعث بينما الاتّاة موقوتة بمسدة
محددة .
- المسلم يدفع الزكاة لوجه الله تعالى طاعة له ولا ينتظر
مقابلها خدمة من الدولة بينما من يدفع الاتّاة يتمتع بأحد وجوه
امتياز الدولة .

خمس الغنائم إيراد عام له طبيعة خاصة :

فرض الله الجهاد على المسلمين فجاهدوا وحقق لهم النصر
وأغنمهم غنائم أحلها لهم على أن يؤدوا خمسها لبيت مال المسلمين
في الدولة الإسلامية . وقد حق للدولة الإسلامية أن تحصل بأمر الله
جل وعلا على هذا الخمس ، خصوصا وأنها عادة تخطط
أمور الجهاد وتنظمه وتعبئه وتشارك في تمويله وبعد أن تحصل على

(٥) حقن دمه : حل به القتل ولم ينفذه .

(٦) الطبري - جزء ٣ - مرجع سابق - ص ٢٥٨ ، ٢٥٦ ، ٢٦٠ .

الخمس لا تشيعه على أى نوع من النفقات العامة ، بل يجب عليها أن توجهه لوجوه انفاق محددة وردت فى آية الخمس ، فالخمس اذن ، ايراد عام له طبيعة خاصة ولا يعتبر نوعا من أنواع الايرادات العامة التى تظهر حديثا فى الموازنات العامة للدول .

الجزية ضريبة :

أمر الله جل وعلا بفرض الجزية على أهل الكتاب اذا أثروا الاحتفاظ بدينهم ، وتتوافر فى الجزية جميع أركان الضريبة لأنها مال نقدى أو عينى يدفعه الكتابى جبرا لأنه يفرض عليه دفعه للدولة الاسلامية دون مقابل مباشر يعود عليه كدافع جزية بالذات ، وانما يتمتع هو وعائلته ممن لا يحق عليهم جزية بحقوق المواطنة فيأمنون على أموالهم وأنفسهم وأولادهم ويتمتعون بسائر الخدمات العامة للدولة التى يتمتع بها المسلمون ، وهى ضريبة شخصية لأنها تفرض على شخص الكتابى حسب مقدرته وكان يعفى منها الصغار والنساء والعجزة والفقراء غير القادرين على الكسب ، فهى بذلك تتسم بالعدالة الضريبية ، خصوصا وأنه كان يراعى فى استئذائها الرفق وعدم الظلم والملازمة فكانت تؤخذ نقدا أو عينيا بما يلائم حالة الممول .

خسراج الأرض ضريبة :

خراج الأرض نوع من أنواع الضرائب على الأرض التى افتتحها المسلمون أو تصالحوا عليها فصارت ملكا للدولة الاسلامية يستغلها القائمون عليها من أهل الكتاب ويؤدون نسبة معينة مما تخرجه الأرض نقدا أو عينا طبقا للسعر الذى تحدده الدولة الاسلامية تحديدا عادلا بمراعاة خصوبة الأرض ونوع المحصول وسهولة الرى أو صعوبة وكان يراعى أن يترك للقائمين على الأرض بقية يقابلون بها ما قد يتعرضون له من نرائب وضائقة ، فهى شبيهة بضريبة الاطيان التى تفرضها حاليا الدول .

وحديثاً ضرائب الأطنيان تعتبر من أنواع الضرائب على الأرض غير أن أسس فرضها تختلف عن خراج الأرض في الاسلام ، ففي مصر مثلاً تفرض ضريبة الأطنيان بقانون ، وتخضع لها الأراضي المنزرعة فعلاً أو القابلة للزراعة ، فلا تخضع لها الأجران والأراضي الداخلة في نطاق المدن والأراضي المقام عليها مبان للسكنى ، ووعاء الضريبة هو القيمة الإيجارية للأرض ، وتقدر القيمة الإيجارية لجان للتقدير وتستمر القيمة الإيجارية لعدة سنوات ، وهذه القيمة الإيجارية تمثل الأيراد الذى يحصل عليه مالك الأرض كعائد للملكية . وسعر الضريبة نسبى وهو ١٤٪ ، والضريبة سنوية وتحصل على أقساط روى فى توقيتها أن تكون متفقة مع مواعيد الحصاد ، ويقع عبء الضريبة على مالك الأرض .

أيرادات عامة أخرى عارضة :

وقد توجد فى عهد الصديق إيرادات عامة أخرى عارضة ليس لها طبيعة التكرار كالتقيا وتركات من لا وراث له فهى تؤول لبنت مال المسلمين وتخصص للصرف منها على الفقراء . وهذه الإيرادات العارضة لها مقابل فى العصر الحديث ، فقد جرت العادة أن يدرج فى الموازنات العامة تحت عنوان « إيرادات أخرى » كل أيراد علم لا يندرج تحت أى نوع من أنواع الإيرادات العامة الحديثة السابق التقنيه عنها .

مثال لإيرادات عارضة فى عهد الصديق :

وفيمائلى مثال لإيرادات عامة عارضة وضعت فى بيت المال فى عهد الصديق رضى الله عنه :

لما أراد أبو بكر الصديق رضى الله عنه لقاء الروم استنفر أهل اليمن ، فأتاه ملوك اليمن يقودهم ذو الكلاع الحميرى ملك حمير ، من خلفه ومن حوله ألف عبد من الفرسان ، وعلى رأسه التاج وعلى حلقه الجواهر المتألئة ويردته تسطع بخيوط الذهب المرصع بالملكىء

والياقوت والمرجان ، وقد لبس ذلك استعدادا لمقابلة الخليفة فقد كان
يظنه ملكا فلما دخل المسجد ليقابله وجد الخليفة شيخا نحىلا وعليه
ثوب خشن ويجلس على الحصباء فاستحى ذو الكلاع وخرج وأخبر
مراقبيه بما رأى فألقوا ما يرتدونه ولبسوا أثوابا خشنة وتخلوا عن
التيجان المثقلة بالجواهر وتركوا حلل المخمل الموشى بخيوط الذهب
والياقوت والدر والمرجان ، ووضع الصديق فى بيت المال ما تخلوا
عنه جميعا من نفائس (٧) .

(٧) الصديق أول الخلفاء - مرجع سابق - الفصل الخامس .

الباب الخامس

الانفاق العام في عهد الصديق

الفصل الأول

النفقات العامة المخصصة في عهد الصديق

التعريف الفني الحديث للنفقة العامة :

تعرف النفقة العامة حديثاً بأنها :

« مبلغ من المال يخرج من ذمة شخص ادارى سداداً لحاجة عامة »

فالركن الأول هو استعمال مبلغ من النقود ثمناً لما تحتاج اليه الحكومة من خدمات أو مواد أو اتشاءات أو غيرها . فالأساس النقدي أصبح سمة أساسية للنفقات العامة ، ومع ذلك يمكن أن تتخذ النفقة الشكل العيني فيمكن أن يتخذ أجر العاملين بالدولة شكل المزايا العينية فيحصل عليها العامل مقابل جزء من أجره على شكل مأكل أو مسكن أو علاج ، وأن كان يمكن تقويمها دائماً تقويماً نقدياً .

والركن الثانى فى النفقة العامة هو أن تكون من شخص ادارى عام أى من الدولة أو وحدات الحكم المحلى أو من هيئة عامة أو مؤسسة عامة أو سائر المنشآت ذات الشخصية العامة الادارية .

والركن الثالث هو أن يكون الغرض من الانفاق سداد حاجة عامة ، فلا تكون لمنفعة فرد كما كان يحدث في بعض الدول المستبدية في الماضي ، فقد كانت تعتبر من النفقات العامة النفقات الخاصة لرؤساء هذه الدول ، وكما تكون الحاجة العامة التي توجه لها النفقة العامة حاجة حاضرة تكون حاجة مستقبلية كالنفقات العامة التي تنفقها الدول على المشروعات الاستثمارية التي تقوم بها ، وقد تكون الحاجة العامة مباشرة كمصروفات الأمن لحماية أفراد الشعب أو غير مباشرة كأعباء المعاشات والاعانات التي تمنح للفقراء من أفراد الشعب فهي تعود بمنفعة غير مباشرة على الشعب ، فتقوى حاجته للضمان الاجتماعي وتوفر استقرار المجتمع وتدعيم روابط طبقاته .

ونبحث فيما يلي مدى توفر أركان النفقة العامة في النفقات المخصصة من الزكاة وخمس الغنائم :

تطبيق التعريف الفني للنفقة العامة على وجوه انفاق الزكاة :

يقول الله جل وعلا « خذ من أموالهم صدقة تطهرهم وتزكيهم بها وصل عليهم إن صلاتك سكن لهم » (التوبة / من ١٠٣) .

ويقول سبحانه وتعالى « إنما الصدقات للفقراء والمساكين والعاملين عليها والمؤلفة قلوبهم وفي الرقاب والغارمين وفي سبيل الله وابن السبيل فريضة من الله والله عليم حكيم » (التوبة / ٦٠) .

فما مدى توفر أركان النفقة العامة في مصارف الزكاة الثمانية الواردة بالقرآن الكريم ؟

الركن الأول في النفقة العامة وهو اتخاذاها الشكل النقدي يتوفر في النفقة العامة من زكاة الأموال فبعضها بطبيعته نقدي كزكاة الذهب والفضة وزكاة التجارة فما ينفق منه على مصارف الزكاة يتخذ الشكل النقدي بطبيعته ، وبعض أنواع زكاة الأموال الأخرى بطبيعته عيني كزكاة الزروع والأنعام ومع ذلك يمكن أداء زكاتها نقدا بعد تقويم المحصول وإخراج نسبة الزكاة المحددة شرعا ، وإذا جمعها بيت المال عينا ووزع منها على مستحقي الزكاة عينا ، فإن

ماجمعه بيت المال عينا ووزعه عينا من الممكن تقييمه بالنقد السائد في الدولة ، والإداء العيني للزكاة كان أحد وجوه التيسير على من يقع عليه عبء الزكاة فكان مصلحته •

الركن الثاني في النفقة العامة أن تكون صادرة من الدولة أو أحد مكوناتها ، وهذا هو الأصل في نفقات الزكاة ، فالأصل طبقا للآية ١٠٣ من سورة التوبة أن يجمعها كلها ولي الأمر أو من ينوب عنه ، وكان وما زال في بعض الدول الإسلامية جباة من قبل الدولة لجمع الزكاة ، وكان النبي صلى الله عليه وسلم يجمعها ممن يأتونه من الناس ويعطونه إياها طوعا لا كرها ، والنبي صلى الله عليه وسلم علاوة على أنه نبي مرسل من الله جل وعلا كان أول رئيس للدولة الإسلامية ، وكان الخلفاء من بعده رؤساء للدولة الإسلامية ، ويرون أن جمع الزكاة من حق ولي الأمر • وقد رأينا كيف قاتل الصديق رضي الله عنه الممتنعين عن أداء الزكاة المفروضة حتى أدوها •

الركن الثالث للنفقة العامة أن تكون سدادا لحاجة عامة ، ومن الحاجات العامة الهامة لأي دولة هو تحقيق التضامن القومي الذي هو أساس الجماعة وأحد عناصر التضامن القومي تحقيق التوازن الاجتماعي في المجتمع وتحقيق المصارف التالية للزكاة هذا الهدف القومي •

— الانفاق على الفقراء والمساكين من الزكاة المأخوذة من أموال الأغنياء يزيد دخول الطبقة الفقيرة فنقل حدة التفاوت الواسع بين طبقات الأغنياء والفقراء عن طريق التقارب النفسي في الدخول •

— الانفاق من الزكاة على العاملين عليها يمثل دفع أجر العاملين قاموا بالعمل في تحصيل زكاة الأموال ، فأجرهم نظير خدمة عامة أدوها للدولة المنوط بها جمع الزكاة •

— الانفاق العام من الزكاة على المؤلفة قلوبهم يقلل من عدائهم للدولة ويحوطه الى مودة فيشيع الأمان والاطمئنان بين ربوعها وعلى حدودها ، والأمن والأمان أحد الحاجات العامة لأي دولة •

— الانفاق العام من الزكاة على مصرف (وفي الرقاب) يؤدي الى منح العبيد حريتهم فيصـبحون أكثر ولاءا وارتباطا وانتماء للمجتمع مما يساهم في كفالة تضامن جميع أبناء الشعب .

— الانفاق العام من الزكاة على الغارمين وهم من يعجزون عن سداد ديونهم المشروعة يؤدي الى رفع أعباء المديونية عنهم وتسكين نفوسهم ويبعث الثقة بين المتعاملين في المجتمع ، فتبعد عن الاقتصاد القرمي نكسات الافلاس ومغبة الكساد وشيوع البطالة مما يميل بالمجتمع نحو التوازن وقد يكون الغارم هو من تحمل مبلغا في سبيل تسكين خلاف بين مجموعتين من مجموعات المجتمع فتعطيه الدولة ما تحمله من أموال وبذلك يحل الوثام والسلام في المجتمع محل الخلاف والنزاع .

— من وجود الانفاق العام من الزكاة على مصرف (وفي سبيل الله) أن يوجه لتقوية جيوش الدولة بشراء الأسلحة والعتاد والانفاق على المحاربين للذود عن الأوطان ، والدفاع عن البلاد ضرورة أساسية من أي دولة لأنه يؤدي الى تأمين حدودها الخارجية من أي اعتداء عليها .

هذا ويرى بعض المفسرين أن سهم (في سبيل الله) يمكن توجيهه لأي وجه من وجود الانفاق العام يحقق المنفعة العامة للشعب ويوصل الى مصلحة الأمة .

— الانفاق العام من الزكاة على مصرف (ابن السبيل) وهو ما انقطعت به الأسباب وكان في سفر بحيث لا يستطيع الانتفاع بماله — كطلبة العلم — هذا الانفاق يعينهم ويقيهم مذلة السؤال فلا تخدش كرامتهم . وكرامة المواطنين من كرامة الأمة .

فوجوه انفاق الزكاة التي حددها الله جل وعلا ، اذا قامت بها الدولة مما تحصـله من زكاة أموال المواطنين تعتبر نفقة عامة وتتوافر فيها اركان النفقة العامة طبقا لفقه المالية العامة الحديث .

تطبيق التعريف الفنى للنفقة العامة على وجود اتفاق خمس الغنائم :

يقول الله جل وعلا :

« واعلموا أنما غنمتم من شيء فإن لله خمسه وللرسول ولذئ القربى واليتامى والمساكين وابن السبيل أن كنتم امنتم بالله وما أنزلنا على عبدنا يوم الفرقان يوم التقى الجمعان والله على كل شيء قدير »
(الأنفال / ٤١) .

فما مدى اعتبار نفقات الخمس من النفقات التى تتوفر فيها
الأركان الثلاثة للنفقة العامة :

فالركن الأول فى النفقة العامة من اتخاذها الشكل النقدي والغنائم تكون أحيانا نقدية فبذلك يتوفر فيها الطابع النقدى وإذا كانت غير نقدية يكون من الممكن معادلتها بالنقد وقد كان الرسول صلى الله عليه وسلم يعادل أنواع الغنائم .

فقال رافع : كنا مع النبى صلى الله عليه وسلم بذى الحليفة فأصبنا غنما وأبلا فعدل عشرة من الغنم ببعير « أى جعل العشرة معادلة للبعير » (١) .

الركن الثانى : فى النفقة العامة أن تكون صادرة من الدولة والاتفاق من الخمس كان صادرا من الدولة الاسلامية ، فإذا كان رئيس الدولة هو الذى يقود المجاهدين فى الفتوح الاسلامية أشرف على التوزيع وحجز لبيت المال خمس الغنائم ووزع أربعة أخماس الغنائم على المقاتلين وإذا كان الذى يقود الجيش قائد غير رئيس الدولة جذب خمس الغنائم وأرسله لرئيس الدولة ليؤول لبيت المال فيقوم بتوزيعه على المستحقين ، وقد سبق أن أوضحنا أن خالد بن الوليد كان يقوم بعد النصر بارسال خمس ما يغنم للخليفة الصديق رضى الله عنهما .

الركن الثالث للنفقة العامة أن تكون مستدامة لحاجة عامة

(١) صحيح البخارى - جزء ٥ - مرجع سابق ص ١٨٤ .

تتطلبها الدولة وهو ما يتوافر في وجوه الانفاق التي حددتها آية
الخمس .

نحن أهم حاجيات الدولة الإسلامية أن تخصص نفقات لمعيشة
نبي الاسلام في حياته خصوصا وأنه كباقي الأنبياء لا يأخذ أجرا ،
وقد كان للتحديد بمعرفة الله جلا وعلا الحجة البالغة على المنافقين
الذين يظهرون المحبة للإسلام والأمة الإسلامية ويخفون العداوة ،
ويضمرون لها البغضاء إذ لو كان التحديد بمعرفة الرسول للمزوه
في التحديد والتوزيع .

والانفاق من الخمس على ذوى القربى من حسابات العامة
للأمة ، لأن سهم ذوى القربى مخصص للفقراء منهم ، وقد حرم
الرسول عليهم الأخذ من أموال الزكاة لأنها من أوساخ الناس ،
فعلى الدولة أن تكفلهم تحقيقا للتكافل الاجتماعي الذي هو أحد
الوظائف الأساسية في الدولة الإسلامية .

والانفاق على اليتامى في المجتمع الاسلامي من الخمس يمثل
حاجة عامة لدخوله في دائرة التكافل الاجتماعي السابق التقويه
عنه .

وقد سبق أن أوضحنا الانفاق على المساكين وابن السبيل من
الزكاة وبيننا العائد الذي يعود على المجتمع من كفالتهم ، ويتحقق
نفس العائد للأمة من كفالتهم من خمس الغنائم .

ماذا فعل الصديق بسهم الرسول من الخمس بعد وفاته وسهم
ذى القربى ؟

في حياة الرسول صلى عليه وسلم ثبت أن رسول الله صلى
الله عليه وسلم دفع صداق بعض ذوى قرباه من نصيبهم في
الخمس (٢) وأنه قسم سهم ذوى القربى على بنى هاشم وبنى المطلب
وجده محمد بن عبد الرحمن بن أبي ليلى عن أبيه قال :

(٢) انظر كتابنا الحياة المالية للرسول ص ١٩٦ وما بعدها .

سمعت علياً رضي الله عنه يقول :

قلت يارسول الله : ان رأيت أن توليني حقنا من الخمس فاقسمه في حياتك كيلا ينازعنا أحد يهدك فافعل ، ففعل (أى الرسول) فولانيه رسول الله صلى الله عليه وسلم فقسّمته في حياته ثم ولانيه أبو بكر رضي الله عنه فقسّمته في حياته ، ثم ولانيه عمر رضي الله عنه فقسّمته في حياته ، حتى اذا كان آخر سنة من سنى عمر فاتاه مال كثير فعزل حقنا ثم أرسل الى

فقال (عمر) : خذ فاقسمه

فقلت : يا أمير المؤمنين تباعدد العام عنى وبالمسلمين اليه حاجة ، فردّه عليهم تلك السنة ثم لم يدعنا اليه أحد بعد عمر حتى قمت مقامى هذا ، فلقينى العباس بن عبد الله بعد خروجى من عند عمر رضي الله عنه

فقال (أى العباس) : يا على لقد حرمتنا الغداة شيئا لا يرد علينا أبدا الى يوم القيامة (٣) *

فبين من قول الامام على رضي الله عنه أن سهم ذوى القربى تولاه على بن أبى طالب رضي الله عنه فى عهد أبى بكر وقسمه فى حياته على ذوى القربى *

على أنه فى إحدى الروايات أن الناس أجمعوا على أن هذين السهمين أى سهم الرسول صلى الله عليه وسلم أستخدم فى الكراع والسلاح (٤) *

(٣) الخراج لأبى يوسف - مرجع سابق - ص ٢٠ .

(٤) المرجع السابق ص ٢١ .

ونحن نرجح قول الامام علي رضي الله عنه بأن سهم نوى
المقرئ أعطاه ابي بكر الصديق رضي الله عنه ليوزعه تطبيقاً
لخدمة رسول الله صلى الله عليه وسلم .

وكان الصديق حريصاً على العمل بالسنة ، وأن سهم الرسول
استخدمه الصديق بعد وفاة الرسول صلى الله عليه وسلم ، في سبيل
الله ومن وجوهه شراء الكراع والسلاح .

الفصل الثاني

النفقات العامة غير المخصصة في عهد الصديق

أسباب قلة النفقات العامة غير المخصصة في عهد أبي بكر :

بجانب وجود الإنفاق المخصصة من كل من الزكاة وخمس الغنائم تقوم الدولة الإسلامية بباقي النفقات العامة اللازمة لها من سائر الإيرادات العامة الأخرى وكانت في عهد أبي بكر الصديق من إيرادات الجزية والخراج ، وكانت النفقات العامة غير المخصصة قليلة نسبياً في عهد الصديق للأسباب التالية :

لم يكن في خلافة أبي بكر دواوين حكومية :

لم تأخذ الدولة الإسلامية بنظام الدواوين إلا ابتداء من عهد عمر بن الخطاب رضي الله عنه إذ أنشأ ديوانين أحدهما للخراج والثاني للعطاء ، وفي عهد رسول الله صلى الله عليه وسلم وفي عهد أبي بكر الصديق رضي الله عنه كانت أمور الدولة وأنشطتها تزاوئ في مسجد الرسول ، فذهب كان الرسول يعلم ويبلغ المسلمين ما أنزل عليه من آيات القرآن الكريم ومما علمه الله ، وفيه كانت تأتي إليه الأموال العامة من الصدقات وخمس الغنائم والجزية وفيه كن يوزع

ما أتى إليه من أموال ، وفيه كان يخطط للغزوات والسرايا ويقيم القضاء بين المتخاصمين وغير ذلك من الأنشطة العامة الأخرى التي تدخل في اختصاصات الحكومات وتقيم لها الدولة الأبنية من الدواوين والمصالح العامة ويقيم بها عمال الدولة ليزاولوا ما يدخل في اختصاصاتهم من الأنشطة العامة . واستمر هذا الوضع في عهد الخليفة أبي بكر الصديق رضي الله عنه .

ضالة أجور العاملين بالدولة في عهد الصديق :

في الموازنات العامة الحديثة تمثل الأجور والمرتببات والمهايا والمكافآت والحوافز نسبة كبيرة من النفقات العامة للدول بسبب استخدام الحكومات عدد كبير من العاملين لمزاولة الأنشطة التي تدخل في اختصاصات رئيس الدولة والسلطات الثلاث التشريعية والتنفيذية والقضائية ، غير أنه في عهد أبي بكر الصديق رضي الله عنه كانت هذه النفقات ضئيلة جدا لا تكاد تذكر ويرجع ذلك إلى ما يلي :

— ضالة ما كان يتقاضاه الخليفة من جعل نظير عمله للدولة ، فبعد أن ولى الخلافة خرج كعادته لقوت عياله يتجر واستمر على ذلك ستة أشهر ثم وجد الصحابة أن أمور المسلمين لا يصلحها إلا التفرغ لادارتها فطلبوا منه أن يترك التجارة فعرضوا له في كل سنة ستة آلاف درهم لينفق منها على عياله ويحج ويعتمر^(١) .

ولما مرض مرض الموت وكانت ابنته عائشة أم المؤمنين تمرضه قال لها كما سنرى :

« أما والله لقد كنت حريصا على أن أوفر فيء المسلمين^(٢) ، على أنى قد أصيب من اللحم واللبن ، فانظري ما كان عندنا فأبلغه عمر » .

(١) الأموال لأبي عبيد — مرجع سابق — ص ٣٣٩ .

(٢) يعني لا أكل منه شيئا

وما كان عنده دينار ولا درهم ، ما كان الا خادما ولقحة (٣)
ومحبيا .

فلما رجعوا من جنازته أمرت به عائشة الى عمر

فقال : رحم (٤) الله أبا بكر لقد أتعب من بعده (٥)

وسنورد تفاصيل ذلك في الفصل الثالث من الباب السادس

أين ما تقاضاه أبو بكر من بيت المال زاهدا متعقفا مما يرصد
في الموازنات العامة للدول حديثا من مخصصات لرؤساء الدول من
مكافآت ومرتبآت وأجور له ولعاشيته والعاملين بالرياسة من
مستشارين وخبراء ومندراء ومعاونيهم ، وأين ما تركه أبو بكر رضى
الله عنه بعد وفاته وما يتركه الرؤساء حديثا من قصور وضباع
وأموال كانت كلها ، أو بعضها بسبب مراكزهم وتصدرهم لأمر
الدولة .

— ضالة عدد العاملين بالسلطة التنفيذية :

كان عدد العاملين الذين يقومون بأعمال السلطة التنفيذية في
عهد أبي بكر الصديق عددهم قليل جدا يتمثل في الولاة القليلين
الذين كانوا يرسلهم لملأ الأقاليم وهؤلاء كانوا يتناولون أجرا محددا نظير
عملهم اقتداء بما حدده رسول الله صلى الله عليه وسلم حينما
استعمل غياث بن أسد واليا على مكة فرزقه كل يوم درهما وكان هذا
الأجر يعتبر يؤمنا مجزيا .

ويتمثل كذلك في المصدقين الذين كانوا يجمعون الزكاة
المفروضة وهؤلاء كانوا يحصلون على أجورهم من أموال الزكاة

(٣) اللقحة بفتح اللام وكسرها هي الناقة القريبة العهد بالنتاج .

(٤) أى أن نربه المثل في الزهد والعزس على أموال المسلمين سيتعب
من بعده من الخلفاء الذين عليهم أن يقتدوا به فيها .

(٥) الأموال لابن عبيد بن مرجع سابق — ص ٣٤٠ .

باعتبار أن أجورهم تصرف لهم من أحد مصنفات الزكاة وهو مصرف « العاملين عليها » أما أمراء الجيوش وسائر المقاتلين فقد كانوا لا ينالون أجرا كما هو الشأن في العصور الحديثة فيدرج لهم حاليا بالموازنات العامة المرتبات والمكافآت والأجور والحوافز طيلة مدة خدمتهم والمعاشات المستحقة لهم بعد بلوغهم سن التقاعد والتعويضات اللازمة لهم إذا أصيبوا أو توفوا أثناء المعارك . وإذا كان هؤلاء يحطون نصيبهم من الغنائم التي أهلها الله ورسوله للمقاتلين وطبقا للأسس السابق أيضاها .

— التطوع بالعمل العام كان كثيرا في عهد الصديق :

رأينا أنه لما ولي أبو بكر الخلافة آتاه بعض الصحابة يعرضون قيامهم بالاختصاصات العامة التي يقوم بها الوزراء حاليا ، وكان هذا العرض منهم على سبيل التطوع ومعاونة للخليفة في انجاح رسالته في إدارة الدولة ، بينما تدرج للوزراء حاليا اعتمادات لأجورهم وتنقلاتهم وأجور مستشاريهم والعاملين بمكاتبهم .

كذلك فإن السلطة التشريعية كان أعضاؤها في عهد أبي بكر الصديق من صحابة رسول الله صلى الله عليه وسلم ، وهم يقدمون آراءهم وفتاواهم وتفسيراتهم للدولة والخليفة والمسلمين كحصىلة لما تعلموه في مدرسة رسول الله صلى الله عليه وسلم ، ويقدمونها تطوعا ابتغاء ثواب الله وما عند الله خير وأبقى .

بينما لأعضاء السلطة التشريعية اعتمادات مخصصة في الموازنات العامة الحديثة لمكافآتهم وبدلاتهم ومزايا أخرى يحصلون عليها .

وفي عهد أبي بكر الصديق رضي الله عنه اندصرت السلطة القضائية تقريبا في عمر بن الخطاب رضي الله عنه وقد قام بالقضاء تطوعا ، بينما في الموازنات العامة الحديثة تزخر الموازنات العامة بالاعتمادات اللازمة للوظائف العديدة للسلطة القضائية ، فقد اتسعت المعاملات وزادت بين الناس وزادات خلافاتهم فاحتكموا فيها للقضاء

وكثير عدد القضاة ومعاونيهم وكان لزاما أن تدرج الدول الاعتمادات اللازمة لمرافق العدالة .

قلة الأغراض العامة التي كانت توجه إليها النفقات العامة في عصر الصديقي :

— تدرج بالموازانات العامة للدول اعتمادات أخرى لإدارة دواوين الدولة كاعتمادات المياه والإنارة والكهرباء والغاز اللازمة لها واعتمادات إيجارها واعتمادات صيانتها واعتمادات الأثاث والتجهيزات والمعدات اللازمة لإدارتها وقطع الخيشار المتعلقة بهذه التجهيزات والمعدات والوقود والزيوت والقوة الحركية اللازمة لتشغيلها ، ولم يكن أثل هذه الاعتمادات وجود في خلافة الصديقي رضي الله عنه بسبب اتخاذ المسجد النبوي مكانا لإدارة أمور الدولة وعدم انشاء دواوين لهذا الغرض .

— كذلك لم يكن في عهد الصديقي ما يطلق عليه بالمصروفات الرأسمالية أو الاستثمارية التي تدرج حاليا بالموازانات العامة للدول للقيام بالمشروعات العامة كرصيف الطرق وإقامة الجسور وإنشاء الكبارى وغيرها من المشروعات العامة اللازمة لإقامة البنية الأساسية وللقيام كذلك بالمشروعات العامة اللازمة للتنمية الدخل القومي والتي تكون مادة ضمن خطط التنمية التي تعدها الدول حديثا لتلحق بركب التقدم وتقاوم التخلف .

ويرجع ذلك إلى أن خلافة أبي بكر الصديقي رضي الله عنه كانت في القرون الوسطى ولم تكن الآراء الحديثة بتدخل الدول وماليتها العامة لإقامة بعض المشروعات العامة قد ظهرت بعد ، وأن كان عمر بن الخطاب رضي الله عنه بعد خلافة أبي بكر الصديقي أقام بعض المشروعات العامة كتوسعة مسجد الرسول صلى الله عليه وسلم وحفر الخليج من نهر النيل إلى البحر الأحمر لتجري فيه السفن حاملة الطعام والأقوات من مصر إلى المدينة ومكة وأنشأ مدينتين جدينتين هما البصرة والكوفة .

كما يرجع ذلك أيضا الى قصر مدة خلافة أبى بكر الصديق رضى الله عنه .

**نماذج من النفقات العامة غير المخصصة في خلافة الصديق :
أجور الخليفة والعاملين بالدولة :**

سبق أن ناقشنا ما خصص للخليفة وما كان يتقاضاه الولاة وجامعو الصدقات .

نفقات الحج :

كان الخليفة يكرم بالحج ومعه بعض المسلمين باعتباره ركنا من أركان الاسلام ويقال أن الذى حج بالناس فى سنة احدى عشرة هجرية عبد الرحمن بن عوف عن تأمير أبى بكر أياه بذلك ، وقيل أن الذى أمره أبو بكر رضى الله عنه فى هذه السنة عقاب بن أسيد (٦) ، أما فى السنة الثانية عشر هجرية حج بالناس أبو بكر الصديق واستخلف على المدينة عثمان بن عفان رضى الله عنهما ، وقيل أن أبا بكر لم يحج فى خلافته وأنه بعث كأمير للحج عمر بن الخطاب أو عبد الرحمن بن عوف رضى الله عنهما (٧) . ولا شك أن نفقات حج ممثل الدولة الاسلامية كانت من النفقات العامة لبيت مال المسلمين .

نفقات الفتوح الاسلامية :

اعداد جيوش الاسلام لمقاومة الردة ونشر راية الاسلام كانت تعتمد فى تمويلها على الجهاد فى سبيل الله بالنفس والمال ، غير أن بيت المال كان يمولها أيضا من المصادر المالية المخصصة لها بل اذا اقتضى الأمر من الإيرادات العامة الأخرى غير المخصصة لنفقات محددة .

(٦) الطبرى جزء ٣ - مرجع سابق ص ٣٤٢ .

(٧) الطبرى جزء ٣ - مرجع سابق ص ٣٨٦ .

فقد ثبت أن أبا بكر الصديق خصص سهم النبي صلى الله عليه وسلم وذوي القربى المخصوص عليها في آية الخمس في الخيل والعدة - في سبيل الله (٨) .

— ثبت كذلك أن عمر بن الخطاب رضى الله عنه قال « كانت أموال بنى النضير مما أقر الله على رسوله مما لم يوجب المسلمون عليه بخيل ولا ركاب فكانت لرسول الله صلى الله عليه وسلم خاصة فكان ينفق منها على أهله نفقة سنة ، وما بقى جعله في الكراع والسلاح عدة في سبيل الله وقد سار أبو بكر الصديق رضى الله عنه على سنة الرسول فيما يتعلق بتمويلها للكراع والسلاح .

— أوضحنا أن الخليفة أبا بكر الصديق وجه الباقي من جزية أهل الحيرة لتقوية جيوش المسلمين تحت إمرة خالد بن الوليد .

تفقات التكافل الاجتماعي في عهد الصديق :

تضمن الدول موازاناتها العامة اعتمادات للتكافل الاجتماعي ممثلة في إعانات ومعاشات شهرية للفقراء والمساكين وإنشاء ملاجئ لايوائهم وبيوت لتعليمهم . وفي الاسلام حدد الله سبحانه وتعالى مصارف الزكاة في آية « إنما الصدقات للفقراء والمساكين والعاملين عليها والمؤلفة قلوبهم وفي الرقاب والغارمين وفي سبيل الله وابن السبيل فريضة من الله والله عليم حكيم » (التوبة / ٦٠) فالذين لا يملكون نصاب الزكاة وغير القادرين على الكسب والمحتاجون المتعففون والمحتاجون السائلون وكل من تنطبق عليهم مواصفات الفقر والمسكنة لهم في الزكاة نصيب .

وقد جاهد أبو بكر رضى الله عنه المرتدين المتنعين عن أداء الزكاة ليحافظ على حقوق الفقراء والمساكين وليوفىها لهم من متحصلات الزكاة كما سبق أن أوضحنا .

(٨) الاموال لأبي عبيد ص ٤١٦ .

كما أنه لليتامى الفقراء الحق في مصارف الزكاة باعتبارهم فقراء وكذلك الحق في مصارف خمس الغنائم باعتبارهم يتامى يستحق الانفاق عليهم من الخمس ، واليتامى هم من مات أبواؤهم قبل البلوغ ولا يصبح اليتيم يتيما اذا بلغ .

عمل عظيم تم دون نفقة من بيت المال في عهد الصديق :

من الأعمال العظام التي تمت في عهد أبي بكر الصديق رضي الله عنه جمع القرآن ، والله جل وعلا يقول : « اذا نحن نزلنا الذكر وانا له لحافظون » ولاشك ان من عوامل حفظ القرآن الكريم مسارعة أبي بكر الصديق رضي الله عنه الى جمعه . فقد أسفرت موقعة اليمامة عن استشهاد عدد من المسلمين بعد أن أبلوا بلاء حسنا في الدفاع عن دين الله .

فجاء عمر بن الخطاب الى أبي بكر فقال : « ان القتل قد استحر يوم اليمامة بالناس واني أخشى أن يستحر القتل بالقراء في المواطن ، فيذهب كثير من القرآن الا أن يجمعوه واني لأرى أن يجمع القرآن »

قال أبو بكر فقلت لعمر : « كيف أفعل شيئا لم يفعله رسول الله عليه الصلاة والسلام »

فقال عمر : « يا والله خير »

يقول أبو بكر « فلم يزل عمريراجعني فيه حتى شرح الله صدرى فرأيت الذي رأى عمر » .

دعا أبو بكر زيد بن ثابت وقال له : انك شاب عاقل ولا نتهمك ، وقد كنت تكتب الوحي لرسول الله عليه الصلاة والسلام ففتبع القرآن واجمعه .

عمر زيد بن عظم المهمة الملقاة على كاهله وخطورتها .

فقال : « فوالله لو كلفني نقل جبل من الجبال ما كان أثقل علي مما أمرني به من جمع القرآن » .

وبداً يتتبع القرآن يجمعه من الرقاع والأكتاف والعسب
وصدور الرجال .

وبداً بعد جمعه يرتبه في الآيات والصور حسب القراءة التي
كان يقرأها رسول الله صلى الله عليه وسلم في الصلاة وفي غير
الصلاة ، فكان ترتيب الآيات في الصور حسب ما بينه النبي عليه
الصلاة والسلام لهم وحسب ما بينه جبريل للنبي عليه الصلاة
والسلام ، ومن ذلك لما نزل قول الله جل وعلا « واتقوا يوماً ترجعون
فيه إلى الله ثم توفى كل نفس ما كسبت وهم لا يظلمون »

قال جبريل للنبي صلى الله عليه وسلم : يا محمد ضعها في
رأس ثمانين ومائتين من البقرة .

ووضعت الصحف التي جمع فيها القرآن عند أبي بكر حتى
توفاه الله ثم عند عمر حتى توفاه الله ثم عند حفصة بنت عمر رضى
الله عنها .

فاستحق أبو بكر بذلك أعظم الأجر

ويشير الامام على بن أبي طالب رضى الله عنه لذلك فيقول :

« أعظم الناس أجراً في المصاحف أبو بكر كان أول من جمع
القرآن بين اللوحين » (٩) .

ومثل هذه الأعمال العظيمة التي تقل بكثير عن عظمة جمع
القرآن تشكل لها في العصور الحديثة اللجان وتدرج لها الاعتمادات
اللازمة للبحث عنها ونجمها وترتيبها وطبعها وقد تستغرق عدة
سنوات فتظهر لها في ميزانات الدول اعتمادات سنوية للانفاق عليها
ومكافآت للعاملين فيها .

(٩) الخلفاء الراشدون - د. عبد العزيز نصار وآخرون ص ٥١ ، ٥٢ ،

٥٣ نقلاً من تاريخ الخلفاء للسيوطي ص ٧٧ .

ولكن ثواب الله خير وأبقى لمن ساهم في جمع القرآن الكريم
في خلافة أبي بكر الصديق رضي الله عنه .

وزيد بن ثابت جامع القرآن أنصاري من المدينة وكان سنه يوم
قدمها رسول الله صلى الله عليه وسلم مهاجرا إحدى عشرة سنة وأسلم
الصبي الصغير مع المسلمين من أهله ، وصحبه أباه معهم إلى غزوة
بدر ولكن الرسول صلى الله عليه وسلم رده لصغر سنه وجسمه ،
ورده كذلك في غزوة أحد ووعدته وأقرانه بالغزوة المقبلة لصغر سنهم
فبدأ زيد غازيا بدءا من غزوة الخندق وقد تابع القرآن حفظا
وكتب الوحى لرسول الله صلى الله عليه وسلم .

يقول الشعبي :

« ذهب زيد بن ثابت ليركب فأمسك ابن عباس بالركاب

فقال له زيد : تنح يا ابن عم رسول الله

فأجابه ابن عباس : لا فهكذا نصنع بعلمائنا

ويقول قبيصة :

« كان زيد رأسا بالمدينة في القضاء والفتوى والقراءة
والفرائض »

ويقول ابن عباس :

« لقد علم المحفوظون من أصحاب محمد أن زيد بن ثابت كان
من الراسخين في العلم »

وكما استنجد أبو بكر الصديق بزيد بن ثابت استنجد به
عثمان أيضا .

فقد كان القرآن مكتوبا في أكثر من مصحف فطلب منه عثمان
ابن عفان رضي الله عنه رسم المصحف ، فجمع زيد أصحابه وأعوانه

وجاءوا بالمصاحف من بيت حفصة بنت عمر رضى الله عنهما .
وكانت محفوظة لديها وأتموا المهمة (١٠) .

سمات الانفاق العام في عهد الصديق :

يثور بعد أن استعرضنا أنواع الثقة العامة في عهد الصديق سؤال عن السمات العامة للانفاق العام في ذلك العهد ؟ نبعت هذه السمات العامة من مصدرين أساسيين وهما القرآن والسنة وفد تمسك بهما الصديق رضى الله عنه ، وهذه السمات هي :

— ترشيد الانفاق العام : استنادا لقول الله جل وعلا :

« والذين اذا انفقوا لم يسرفوا ولم يقتروا وكان بين ذلك قواما » (الفرقان / ٦٧)

وقوله سبحانه وتعالى :

« وآت ذا القربى حقه والمسكين وابن السبيل ولا تبذر تبذيرا »
(الاسراء / ٢٦)

— الانفاق العام يكون سـرا وجها : استنادا لقول الله جل وعلا .

« قل لعبادى الذين آمنوا يقيموا الصلاة وينفقوا مما رزقناهم سرا وعلانية من قبل أن يأتي يوم لا بيع فيه ولا خلال » (ابراهيم / ٣١)

— عدالة الانفاق العام : اتباعا لقول الله سبحانه وتعالى :

« ان الله يأمركم أن تؤدوا الأمانات الى أهلها وإذا حكمتم بين الناس أن تحكموا بالعدل ، ان الله نعمسا يعظكم به ، ان الله كان سميعا بصيرا » (النساء / ٥٨) .

(١٠) وجال حول الرسول — مرجع سابق — ص ٤١٢ — ٤١٨ .

– شمول الانفاق العام : بحيث تخص المسلمين وغيرهم من
الشميين من أهل الكتاب الذين ادوا الجزية للدولة الاسلامية وذلك
استنادا لقول الله جل وعلا :

« لا ينهاكم الله عن الذين لم يقاتلوكم في الدين ولم يخرجوكم
من دياركم أن تبرؤهم وتقسطوا اليهم ان الله يحب المقسطين »
(المتحنة / ٨) .

ماعدا موارد الزكاة فانها تنفق على المسلمين .

– مرونة الانفاق العام :

بعض النفقات العامة ذات طبيعة مركزية كالانفاق العام على
السلاح والعتاد والبعض الآخر له طبيعة محلية كالزكاة تجبى من
أغنياء البلدة وتنفق على فقرائها استنادا لقول رسول الله صلى الله
عليه وسلم ، لمعاد حينما أرسله لليمن ليدعو الناس للإسلام ، فمما
قاله له :

« فإذا أقروا لك بذلك فقل لهم ان الله فرض عليكم صدقة
مموالكم ترؤخذ من أغنيائكم فترد في فقرائكم »

شوائب الملت بالانفاق العام للدول الحديثة :

تلك كانت سمات الانفاق العام في عهد أبى بكر ، لأنه كان يطبق
في المالية العامة للدولة الاسلامية كتاب الله وسنة رسوله ، بينما
تجد أن المالية العامة لبعض الدول حديثا لا تتوافر فيها هذه السمات
الطيبة ، مما شاب انفاقها العام بمخالفات حادت به عن الترشيذ
وكتمان السرية - اذا كان سريريا - وعن العدل والشفعية والمرونة
وطيب المصدر .

فمن الانفاق العام للدول الحديثة وجود اتسمت بالاسراف
والتبذير وضياح الأموال العامة وعدم تحقيق النفقة العامة للمنفعة
العامة المرجوة منها ، اما نتيجة لاهواء القائمين على الأمور العامة

للأمة ، أو بسبب إهمال العاملين بالدولة وتراخيهم بتحديد أو تغيير
 قصد . وتتضمن تقارير أجهزة الرقابة على الأموال العامة بتلك
 الدول سنويا العديد من مخالفات التبذير والاسراف وعدم الترشيد .

وحديثا لا يلتزم القائمون على الانفاق العام السرى في بعض
 الحالات بسريته ، بل يحدث أن تنكشف هذه السرية اهمالا أو خيانة،
 وساعد على ذلك تفنن أجهزة الاستخبارات حديثا في كشف هذه
 السرية .

ويحدث في بعض الحالات ألا يتسهم الانفاق العام كذلك
 بالعدالة نتيجة سوء التوزيع بين وجوهه العامة ، كأن يؤثر بالتمويل
 مشروعات عامة يستفيد منها بعض عليا القوم لسلطانهم أو لجاههم
 أو لقربهم من ذوى السلطان والجاه ، أو يوجه الانفاق العام لاستعمار
 دولة ضعيفة أو اسكات معارضة رشيدة أو كبت أصوات تعلق بالحق
 وتشكى من الظلم .

وقد لوحظ في بعض الماليات العامة حديثا فقد بعض الانفاق
 العام لشموليته ، بسبب إثثار بعض المواطنين بالمنافع العامة التي
 تعود من الانفاق العام ضامنا لاستمرار الولاء الدينى أو السياسى
 أو الفكرى .

وبعض وجوه الانفاق العام خصوصا في الدول النامية تعوزها
 المرونة نتيجة لتعقيد من بيدهم أمر الأموال العامة وكثرة الاجراءات .
 وتشدد اللوائح المنظمة لحركة المال العام ، وتركيز التصرفات
 الخاصة بالانفاق العام في الوزارات المركزية وعدم التفويض فيها
 للوحدات العامة للحكم المحلى .

ومن الإيرادات العامة التي تمويل النفقة العامة إيرادات غير
 طيبة الكسب كاحتناص دولة كبيرة قوية لخيرات وثمرات دولة
 ضعيفة بطريق الاستعمار والجبر ، وما تتضمنه الإيرادات العامة
 لبعض الدول من إيرادات تتمثل في فوائد ربوية أو ضرائب على
 محرمات كضرائب الخمر والمراهات والميسر .

الباب السادس

ادارة الصديق للمالية العامة
وتوازنها ووصاياه المالية

الفصل الاول

ادارة الصديق للمالية العامة حققت التوازن

اهمية ادارة المالية العامة :

لا بد أن تحاط الإيرادات العامة والنفقات العامة للدولة باطار ادارى تقود فيه الحماية الادارية أنشطة المالية العامة نحو تحقيق أهدافها ، وقد ظهرت أهمية الإدارة للمالية العامة بعد أن تدخلت الحكومات فى الأنشطة المالية والاقتصادية والاجتماعية التى يزاوئها الأفراد لاحداث التوازن الاقتصادى والاجتماعى والسياسى ، فتنشأ عن ذلك كثير من المشاكل التى تتصدى الإدارة المالية لحلها .

وللادارة المالية دورة عبارة عن عدة مراحل تمر بها وهى :

التخطيط المالى :

التنظيم والاشراف المالى ،

تعبئة الموارد

الرقابة المالية

وتوضح فيمايلي طبيعة هذه المراحل فى المالية العامة الاسلامية ومدى تأثرها باجراءات يكون الخليفة الاول اجراها او سلوكيات سلكتها :

تخطيط المالية العامة فى عهد الصديق :

التخطيط المالى فى المالية العامة الاسلامية بالنسبة لبعض الموارد العامة تولاه الله جل وعلا فى القرآن الكريم حينما فرض الزكاة وحدد أوجه صرفها زأحل الغنائم للمسلمين وأمر بأن يؤول خمسها لبيت المال لينفق فى وجوه محددة ، وحينما أمر باستئداء الجزية من أهل الكتاب بعد أن تعرض عليهم بدائل ثلاثة الاسلام أو الجزية أو القتال ليختاروا أحد هذه البدائل .

وأما خراج الأرض وان لم يشير اليه مباشرة فى القرآن الكريم فهو بمثل عائد الأرض التى هى أحد أنواع الغنائم العامة التى أحلها الله جل وعلا للمسلمين اذا تحقق النصر وآلت أراضي الدولة المفتوحة للدولة الاسلامية .

والاتفاق العام كذلك خططه الاسلام تخطيطا عاما فأمر بترشيده فلا اسراف ولا تقتير ، وأجاز العلنى منه والسرى ، وحض على عدم اكتنازه ، وحرم معاملاته الربوية ، ونهى عن بخر معاملاته ، وقد كان التخطيط فى القرآن الكريم للمال مطلقا فشمل بذلك المال العام والخاص .

أعلن أبو بكر الصديق رضى الله عنه فى أول خطاب له عن عزمه على طاعة الله ورسوله ، ومن الطاعة الالتزام بما ورد بالقرآن الكريم بشأن تخطيط الموارد العامة والنفقات العامة .

وقد التزم الصديق بذلك التزاما اعتبره بعض الصحابة فى أول الامر تشديدا لا تجيزه الاحوال العامة التى كانت تمر بها الدولة

الإسلامية عقب وفاة الرسول الله صلى الله عليه وسلم ، ولكنه صمم وحارب المرتدين عن الزكاة كما أوضحنا ، وكان تخطيطه للمعارك والفتوحات على النحو السابق أيضا تخطيطا سليما موقفا أدى لانتصار المسلمين وكان من نتائج النصر تثبيت أيراد عام من موارد الدولة الإسلامية وهو الزكاة والانفاق العام منها على وجوهها المخططة بالقرآن ، وكان من نتائجه كذلك تدفق موارد عامة أخرى وهي خمس الغنائم والجزية على أهل الكتاب .

التنظيم والإشراف المالي في عهد الصديق :

خطط الله جل وعلا كما ذكرنا الموارد العامة وكان هذا التخطيط عاما قد أبلغ به رسول الله صلى الله عليه وسلم فنظم قواعدها ليتمكن المسلمون حكاما ومحكومين من تنفيذ ما أمر به الله جل وعلا ، فحدد الأموال الخاضعة للزكاة ونصابها وفئاتها وكيفية تحديد أوعيتها التي تسرى عليها وأرسل المصدقين لتحصيلها ووجهها لوجوه انفاقها بعد أن أبان وأوضح هذه الوجوه .

وطبق الجزية ونظم طرق تطبيقها فكان يرسل الكتب للملوك والرؤساء يدعوهم للإسلام أو الجزية وكان يكتب شروط الصلح وشروط دفع الجزية وكان يحصلها نقدا أو عينا ، ونظم كذلك خراج أرض خيبر وغنائم الفتوح على النحو السابق أيضا .

وفي عهد أبي بكر الصديق أعلن كما سبق التنويه أنه سيقترن بطاعة الله وطاعة رسوله فأنفذ سننه وطبق نظمه ، فتولى الإشراف العام على أمور الدولة الإسلامية ومنها الأموال العامة وكان يساعده في ذلك أبو عبيدة بن الجراح وعين الولاة الذين يدخل في اختصاصهم جمع خراج الدولة والمصدقين المكلفين بجمع أموال الزكاة ، وقد رأينا كيف كان قواده يتلقون منه التعليمات بإعلان الإسلام أو الجزية أو القتال ، وكيف كان هؤلاء بعد النصر يرسلون للخليفة ما جمعه من الجزية من أهل الكتاب ، طبقا لعقود الصلح التي كانوا يبرمونها مع زعماء البهسلاد المفتوحة ، وكيف كانوا يعينون ممثلين عن الدولة

الاسلامية ليجمعوا ما استحق عليهم للدولة من خراج طبقا لشروط الصلح :

لم يكن في عهد الصديق وحدة تنظيمية لبيت المال :

لما أتت الأموال أبا بكر الصديق •

قالوا له : ألا تجعل على بيت المال من يحرسه

قال : لا يخاف عليه

قالوا : ولم

قال : عليه قفل

وفي الحق أن بيت المال كان في داره فكانت تجمع فيه موارد الدولة ومنها ينفق على وجود نفقاتها المختلفة •

ولم تقام منشآت لبيت المال إلا في عهد عمر بن الخطاب حيث أنشأ ديوانين أحدهما للعطاء والآخر للخراج كما سبق أن ذكرنا •

وكان هذا هو الشأن في كل أنشطة الدولة فكان الخليفة يدير أمور الأمة في مسجد الرسول جالسا على الحصباء كما كان يفعل الرسول صلى الله عليه وسلم •

ومما ساهى للصديق تضمنت مبادئ تنظيمية للدولة والعاملين بالدولة (١) :

عندما عقد الصديق ليزيد بن أبي سفيان على رأس جيش كبير ووجهه الروم أوصاه قائلا :

« يا يزيد ، اني قد وليتك لأهلك وأجربك ، فان أحسنت زدتك وان أسأت عزلتك ، فعليك بتقوى الله فإنه يرى من باطنك مثل الذي

(١) الصديق أول الخلفاء - مرجع سابق - الفصل الخامس/ ٤ •

يرى من ظاهرك ، وإن أولى الناس بالله أشدهم توليا له ، وأقرب الناس من الله أشدهم تقربا بعمله ، وقد وليتك عمل خالد بن سعيد بن العاص ، فأياك وعيبة الجاهلية (عيبة بضم العين وكسر الياء المشددة وفتح الياء المشددة هي الكبرياء والزمى) فإن الله يبغضها ويبغض أهلها •

وإذا قدمت على جنود فأحسن صحبتهم وابدأهم بالخير وعدهم إياه (أى بالخير) ، وإذا وعظمتهم فأوجز فإن كثير الكلام ينسى بعضه بعضا ، وأصلح نفسك يصلح لك الناس ، وصل الصلوات لأوقاتها باتمام ركوعها وسجودها والتشبع فيها •

وإذا قدم عليك رسل عدوك فأكرمهم ، وأقلل لبثهم (أى أقالهتهم) حتى يخرجوا من عسكريك وهم جاهلون به ، ولا تريثهم (من التريث) فيروا خلك ويعلموا علمك ، وامنع من قبلك من مصادقتهم ، وكن أنت المتولى لكلامهم ، ولا تجعل شرك لعلانيتك فيخلط أمرك ، وإذا استشرت فاصدق الحديث تصدق المشورة ، ولا تخف من المشير خيرك ، فتؤتى من قبل نفسك واسمر بالليل في أصحابك تأتك الأخبار ، وتكشف عنك الأسرار ، وأكثر من حرسك ، وبددك في عسكريك ، وأكثر مفاجأتهم في محاربتهم بغير علم منهم بك • فمن وجدته غفل عن محروسه فأحسن أدبه وعاقبه في غير أفراط وأعقب (اجعلهم يتعاقبون) بينهم بالليل ، واجعل الذوبة الأولى أكثر من الأخيرة فإنها أيسرها لأقربها من النهار ، ولا تخف من عقوبة المستحق ولا تاجع فيها (من اللجاج) ، ولا تسرع إليها ، ولا تخذلها مدقا (أى لا تجبن فيها) ولا تخفل عن أهل عسكريك فتفسده ولا تجسس عليهم فتفضحهم •

• ولا تكشف الناس أسرارهم واكتف بعلانيتهم •

• ولا تجالس العبائين (من العبث) وجالس أهل الصنيع والوفاء ، وأصدق اللقاء ، ولا تجبن فيجب الناس •

• واجتنب المذلول (الخيانة) فإنه يقرب الفقر ويدفع النضر •

• واستجدون أقواما حبسوا أنفسهم في الصوامع فدعهم وما حبسوا أنفسهم له »

وروى يزيد بن أبي سفيان :

« قال لى أبو بكر لما بعثنى الى الشام :

يا يزيد ! ان لك ذرابة عسيت (من عسى) أن تؤثرهم بالامارة من ولى من أمر المسلمين شيئا فأمر عليهم أحدا محاباه ، فعليه لعنة الله ، لا يقبل الله منه صرفا ولا عدلا (أى التوبة والعوض) حتى يدخله جهنم ، ومن أعطى أحدا حمى الله فقد انتهك فى حمى الله شيئا بغير حقه ، فعليه لعنة الله ، وتبرأت منه ذمة الله عز وجل »

ومن الوصايا السابقة يمكن استخلاص المبادئ التنظيمية التالية :

مبادئ تنظيمية مستخلصة من وصايا الصديق :

— الكفاءة هى أساس اختيار من يتولون أمور الدولة •

وتستخلص هذه القاعدة من وصية الصديق « بأن من ولى أمر المسلمين شيئا فأمر عليهم أحدا محاباة فعليه لعنة الله » •

— لا يجوز للحاكم أن يؤثر ذوى قرياه بالتعيين لتولى أمور الدولة •

ويستخلص ذلك من وصية الصديق « ان لك قرابة عسيت أن تؤثرهم بالامارة »

— العمل العام مما يتقرب به الى الله •

ويستنتج ذلك من وصية الصديق « وأقرب الناس من الله أشدهم تقربا بعمله » •

— يمتضى العاملون بالدولة فى بدء تعيينهم فترة اختبار فان أحسنوا ثبتوا وان أساءوا عزلوا •

وهذا المبدأ ينبع من قول الصديق ليزيد « يا يزيد انى قد وليتك لأهلك وأجرك فان أحسننت زدتك ، وان أسأت عزلتك »

— الولاة وعمال الدولة لا يتكبرون على الرعية ولا يزهون
عنيها .

وذلك مأخوذ من قول الصديق محذرا « فاياك وعييه الجاهلية »

— الوالى والرئيس قدوة لمؤسسيه .

وذلك من وصية الصديق ليزيد « وأصلح نفسك يصلح لك
الناس » .

— صلاح الأعمال العامة يقتضى وجود العلاقات الانسانية
بين الرؤساء والمؤوسين .

وتستفاد هذه القاعدة من قول الصديق ليزيد « واذا قدمت
على جندل فاحسن صحبتهم » وقوله له « واسمر بالليل فى أصحابك »

— وجود نظام الحوافز ضرورى لحسن سير العمل .

ويتضح ذلك من قول الصديق ليزيد بأن يبدأ جنده بالخير
ويعدمهم اياه .

— الايجاز والتركيز فى التعليمات التحريرية والشفوية يسهلان
تنفيذها .

وذلك استنتاجا من قول الصديق ليزيد « واذا وعظتهم (أى
الجنود) فأوجز فان كثير الكلام ينسى بعضه بعضا » .

— نظام رقابة الأعمال يؤدى الى كفاءة أدائها .

وهذا مستخلص من قول الصديق حينما أوصى يزيد بأن يكثر
مفاجأة جنوده فى محارستهم بغير علم منهم بذلك .

— عقاب المقصرين فى مهام الدولة تقتضيه المصلحة العامة .

ويؤخذ ذلك من وصية أبى بكر ليزيد « فمن وجدته غفل عن
محرسته فاحسن أدبه وعاقبه فى غير أفرط » .

— اذا وقع على مقصر عقاب وجب تنفيذه فى وقته ودون خرف
وبغير زيادة .

وذلك ما أمر به أبو بكر يزيد فقال « لا تخف من عقوبة المستحبة ولا تلجج ولا تسرع اليها ولا تخذلها مدقعا » .

— نظم إدارة الأعمال تتلاءم مع طبيعة كل عمل .

وذلك يؤخذ من وصية الصديق ليزيد بتنظيم نوبة الحراسة بين جنده وجعل النوبة الأولى أكثر من الأخيرة فإنها أيسرها لقربها من النهار .

— ندر ما يتصف به الأمراء والولاة وعمال الدولة الخيانة .

فقد أوصى الصديق يزيد بأن يتجنب الغلول فقال « واجتنب الغلول فإنه يقرب الفقر ويدفع النصر » .

— صدق من يستشير ووضوح موضوعه ضروريان لنجاح المشورة .

وهذا ما نصحه به الصديق يزيد فقال له « وإذا استشرت فأصدق الحديث تصدق المشورة ولا تخف عن المشير خبرك فتؤتى من قبل نفسك » .

— لا يتخذ الأمراء والولاة والرؤساء حاشية من دونهم فيألونهم خيالا .

فقد قال الصديق ليزيد « ولا تجالس العبائين وجالس أهل الصدق والوفاء » .

— تقوى الله فيها صلاح الأمر كله .

فقد نصحه الصديق يزيد فقال له « فعليك بتقوى الله فإنه يرى من باطنك مثل الذي يرى من ظاهرك ، وإن أولى الناس بالله أشدهم توليا له » .

وقال له « وصل الصلوات لأوقاتها باتمام ركوعها وسجودها والتخشع فيها » .

الصديق يضرب المثل باختيار الأكفاء للأعمال :

جعل أبو بكر الصديق خالد بن الوليد فى معركة اليرموك أميرا على أبى عبيدة الجراح لأنه أكفأ وأدرى منه بالحرب بالرغم من أن أبا عبيدة كان الأسبق أسلاما وواحدا من بين المبشرين العشرة بالجنة فقال رسول الله صلى الله عليه وسلم :

« أبو بكر فى الجنة ، وعمر فى الجنة ، وعثمان فى الجنة وعلى فى الجنة ، وطلحة فى الجنة والزبير فى الجنة ، وعبد الرحمن بن عوف فى الجنة ، وسعد بن أبى وقاص فى الجنة ، وسعيد بن زيد فى الجنة وأبو عبيدة بن الجراح فى الجنة »

وبالرغم من أن أبا عبيدة أمين الأمة وكان يوم السقيفة أحد الذين رشحهم الصديق للخلافة .

وبذلك استفادت الأمة من كفاءة الأكفاء حتى ولو لم يكونوا من الذروة فى التقوى .

تعبئة الموارد العامة فى عهد الصديق :

تعبئة الموارد العامة من الأهداف الهامة التى ينبغى أن تعمل على تحقيقها إدارة المالية العامة ، ذلك أن الموارد هى المنبع الذى يمول النفقات العامة على أنشطة الدولة المختلفة ، وقد عملت السياسة التى انتهجها أبو بكر الصديق رضى الله عنه على تعبئة موارد الدولة الإسلامية ، فلولاً تصميمه على محاربة الممتنعين عن الزكاة لتوقفت مواردها أو لاقترضت أداؤها على قبائل قليلة من العرب لم تمتنع عن أداء الزكاة كسائر القبائل ولو وهن الصديق رضى الله عنه فى محاربتهم لأشرايت أعناق اليهود والنصارى وطلبوا المعاملة بالمثل فى أمور الجزية والخراج ، كما أن تمسك أبى بكر الصديق رضى الله عنه بسياسة الجهاد أدت الى زيادة الموارد فمن أسلم أدى الزكاة المفروضة ومن أبى من أهل الكتاب وقبل الجزية

أداها لبيت المال ، ومن قاتل المسلمين هزم وتحقق نصر الله وصارت أموالهم غنائم يؤول لبيت مال المسلمين خمسها ، وهكذا عبأ التصميم على الجهاد الموارد العامة للمالية العامة في عهد الخليفة الأول رضى الله عنه .

رقابة المال العسـام في عصر الصديق :

نبعت رقابة الأموال العامة في عهد الصديق من القدوة والتقوى القدوة بالصديق الذى ظل مدة من خلافته بدون أجر يتاجر لينفق على معاشه ، ثم حدد صحابة رسول الله صلى الله عليه وسلم له مرتبا ليتفرغ لشئون الدولة ، ثم يعيش زاهدا فى الأموال العامة وفى الخلقة نفسها ، فيقول وهو فى مرض الموت « ووددت أنى يوم سقيفة بنى ساعدة كنت قذفت الأمر فى عنق أحد الرجلين - يريد عمر وأبا عبيدة - فكان أحدهما أميرا وكنت وزيرا » (٢) .

وتعفف الرؤساء عن الأموال العامة يشيع فى الأمة قدسية المال العام وصيانتته وأداء التزاماته ، كما أن التقوى تولد فى النفوس خشية الله فى الأموال العامة فيحافظ عليها الرؤساء والولاة والعاملون عليها ويؤدى الممولون التزاماتهم طوعية خشية الله ، وقد أدت كل من القدوة والتقوى إلى وجود الأنواع التالية من الرقابة على الأموال العامة فى عهد الصديق وجودا تلقائيا :

رقابة ذاتية :

ولدتها تقوى الخليفة والصحابة والممولين فخشوا الله وعزبوا أن المال العام مال الله فحافظوا عليه ورشدوا انفاقه وأدوا فرائضه لبيت المال .

رقابة سياسية :

حلت محل السلطة التشريعية حاليا في رقابة حركة الأموال العامة للدولة ، وقد قام بها صحابة رسول الله صلى الله عليه وسلم على الأصول التي تعلموها في مدرسته والتي قامت على الزهد في الأموال العامة والاستقامة في السر والعلن ، وكان هؤلاء الصحابة حول الخليفة الأول يبدلون النصح ويقدمون المشورة في أمور الدولة ومنها أمور المال العام .

رقابة الأداء :

كانت آيات القرآن الكريم وأحاديث رسول الله صلى الله عليه وسلم وتمسك الأمة بها بعد وفاة الرسول مباشرة كفيلة بانضباط دورة المال العام واتقان تأدية عملياتها فالاسلام يهتم بجودة الأعمال ويرفع الله جل وعلا الأعمال الصالحة ، استنادا لآية :

« من كان يريد العزة فلله العزة جميعا ، اليه يصعد الكلم الطيب والعمل الصالح يرفعه ٠٠٠) (فاطر / من ١٠) .

ومن الأحاديث النبوية :

« ان الله يحب من أحدكم اذا عمل عملا أن يتقنه »

« ان الخازن المسلم الأمين الذي يعطى ما أمر به كاملا وموفرا طيبة بها نفسه حتى يدفعه الى الذي أمر له به ، أحد المتصدقين » أخرجه الامام أحمد والبخاري ومسلم وأبو داود والنسائي وأبو شيبه في مصنفه .

وعن بريدة الأسلمي رضى عنه عن النخعي صلى الله عليه وسلم

قال :

«من استعملناه على عمل فزقناه رزقا فما أخذ بعد فهو غلول»

الصديق وضع نواة نظام المحاسبة الولاء :

وقد أراد أبو بكر أن يضع نظاما للرقابة على أعمال الولاية ومحاسبتهم فلما قدم معاذ بن جبل أمير اليمن على المدينة .
قال له الصديق : ارفع حسابك

فغضب معاذ وقال : حساب من الله وحساب منكم ؟ والله لا ألي لكم عملا أبدا ، وإن كان الصديق وضع أساس هذا النظام في عهده فقد توسع فيه عمر بن الخطاب ، فكان يحاسب الولاية على أى زيادة في أموالهم .

التوازن المالى أهم أهداف إدارة المالية العامة :

من أهم ما تهدف اليه إدارة المالية العامة لأى دولة هو العمل على توازن ماليتها العامة بحيث لا تسفر الإدارة عن ظهور عجز في ماليتها العامة بسبب زيادة النفقات العامة عن الإيرادات العامة ، لأن العجز لابد أن يغطى لتمويل النفقات العامة التى لم تكف الموارد العامة للدولة لتغطيتها ، وحديثا لتغطية عجز المالية العامة تقوم الدول بالاقتراض من دول أخرى أو من مؤسسات دولية تقوم باقراض الحكومات ، وكثيرا ما ينتج عن الاقتراض الحكومى مشاكل عامة ، فالقروض لها أقساط تحل في سنوات مقبلة فتعتبر عبئا على الأجيال المقبلة ، وتحد من طاقة الدولة في مستقبل السنين من الانطلاق المالى، أن يلتهم سداد تلك الأقساط جزءا هاما من مواردها العامة ، وكثيرا ما توجه الأموال المقرضة لأشباع حاجات أو خدمات عامة لها طبيعة استهلاكية غير إنتاجية فلا تؤدى أموال القروض الى زيادة الانتاج فتدخل الدول فى حلقات التضخم الاقتصادى وما يتبعه من ارتفاع الأسعار وغلاء حاجيات الشعوب خصوصا أصحاب الدخل المحدود والفقراء والساكنين والضعفاء .

لم يحدث أن احتاج الصديق وهو رئيس دولة للجوء للاقتراض، فقد توازن مالىته وحقت فائضا وهو ما سنوضحه فيما يلى :

توازن المالية العامة للدول بين الاقتصاديين القدماء والمحدثين :

كما سبق أن أوضحنا تعدد الدول حديثا موازنات عامة سنويا يظهر في أحد جانبيها تقديرات الإيرادات العامة وفي الجانب الآخر تقديرات النفقات العامة ، فإذا تساوى مجموع الإيرادات مجموع النفقات كانت الموازنة العامة متوازنة توازنا كميا ، وإذا زاد اجمالي الإيرادات العامة عن اجمالي النفقات العامة كان بالموازنة العامة فائض ، والعكس إذا زاد اجمالي النفقات العامة عن الإيرادات العامة أسفرت موازنة الدولة عن عجز .

وكان توازن الموازنة العامة مهل آراء بين الاقتصاديين القدماء والمحدثين .

فقد رأى الاقتصاديون القدماء ألا تزيد الدولة نفقاتها العامة على إيراداتها العامة لأن ذلك يحقق عجزا في الموازنة العامة مما يضطر الحكومة لتفطية هذا العجز عن طريق الاقتراض من المواطنين ، وهذا يؤدي إلى سحب الأموال من الاستثمار الخاص ، وانفاقها في وجوه عامة استهلاكية غير انتاجية مما يحرم المجتمع من زيادات في الدخل القومي كانت ستتحقق لو لم تقترض الدولة هذه الأموال ، فضلا عن أن الحكومة بهذا الانفاق تزيد الطلب على السلع المتاحة فترتفع أسعارها مما يؤدي إلى حدوث التضخم الاقتصادي ، كما أن أقساط القروض تمثل عبئا على الموازنات العامة المستقبلية .

غير أنه في الثلاثينيات عدل الاقتصاديون عن مبدأ التوازن الكمي ونادوا بالتوسع المحسوب في الانفاق الحكومي بزيادة النفقات العامة عن الإيرادات العامة ولو أدى الأمر للاقتراض والقيام بمشروعات عامة تزيد الانتاج وتوظف العمال ، فتحدث توازنا اقتصاديا ، وهو أهم من التوازن الكمي .

فالتوازن الكمي للموازنة العامة للدولة كان هو السائد في القرون الوسطى ، فماذا كان موقف المالية العامة للدولة الإسلامية في عهد الصديق رضى الله عنه ؟ هل كانت متوازنة فكان الانفاق العام

في حدود الموارد العامة ، أم كانت الموارد العامة أكثر من النفقات العامة فحققت فائضا أم العكس زادت النفقات العامة عن الإيرادات العامة فحققت عجزا ؟

المالية العامة في عصر الصديق توازنّت وحققت فائضا وزع منه عطاء على الرعية :

قدم على أبي بكر الصديق رضي الله تعالى عنه مال فقال : من كان له عند النبي صلى الله عليه وسلم عدة فليات فجاءه جابر بن عبد الله فقال : قال لي رسول الله صلى الله عليه وسلم : لو جاء مال البحرين أعطيتك هكذا وهكذا يشير بكفيه فقال له أبو بكر رضي الله عنه : خذ

فأخذ جابر بكفيه ثم عده فوجده خمسمائة

فقال له أبو بكر رضي الله عنه : خذ اليها ألفا

فأخذ جابر ألفا

ثم أعطى أبو بكر رضي الله عنه كل انسان كان مسول الله صلى الله عليه وسلم وعده شيئا .

وبقيت بقية من المال فقسمها بين الناس بالسوية على الصغير والكبير والحر والمملوك والذكر والأنثى ، فخرج على سبعة دراهم وثلاث لكل انسان (٣) .

فلما كان العام المقبل جاء مال كثير هو أكثر من ذلك فقسمه بين الناس فأصاب كل انسان عشرين درهما فجاء ناس من المسلمين فقالوا : يا خليفة رسول الله ، انك قسمت هذا المال فسويت بين الناس

(٢) الخراج لأبي يوسف، ص ٤٢ وفي رأى آخر انها تسعة وفي كتاب

الاموال لأبي عبيد نصف دينار لكل انسان من ٣٣٥ .

ومن الناس أناس لهم فضل وسوابق وقدم ، فلو فضلت أهل السوابق والقدم والفضل بفضلهم ؟

فقال أبو بكر رضى الله عنه ، أما ما ذكرتم من السوابق والقدم والفضل فما أعرفنى بذلك ، وإنما ذلك شيء ثوابه على الله جل ثناؤه ، وهذا معاش ، فالأسوة فيه خير من الأثره (٤) .

وكان أبو بكر رضى الله عنه يقول : وددت أنى اتخلص مما أنا فيه بالكفائف ويخلص لى جهادى مع رسول الله صلى الله عليه وسلم (٥) .

أبو بكر يساوى فى الخطاء بين الأسياء وتابعيهم :

قال أبو قرة : « فسم لى أبو بكر من الفء مثل ما قسم لسيدي » .

وبذلك طبق سنة رسول الله صلى الله عليه وسلم بأن مولى القوم منهم . ذلك أن النبى صلى الله عليه وسلم كان قد بعث رجلا من بنى مخزوم على الصدقة .

فقال لأبى رافع (وهو أحد موالى النبى) : اصحبنى كيما تصيب منها (أى من الصدقة)

قال أبو رافع : لا حتى أتى النبى صلى الله عليه وسلم فأسأله وانطلق فسأله :

فقال صلى الله عليه وسلم : ان الصدقة لا تحل لنا وان موالى القوم من أنفسهم (٦) .

(٤) الخراج لأبى يوسف - مرجع سابق - ص ٤٢ .

(٥) الأموال لأبى عبيد - مرجع سابق - ص ٢٣٥ .

(٦) المرجع السابق ص ٣١١ ويذكر أبو عبيد أباقة تابع ولكنه كان

محررا وليس من العبيد .

الأنصار عارضوا المساواة في العطاء ثم اقتنعوا :

وكان الأنصار من المعارضين لمبدأ المساواة في قسمة غنائم المال العام لأنهم كانوا يرون أن يفضلهم الخليفة ، فهم الذين أروا المهاجرين ونصروا رسول الله صلى الله عليه وسلم وكانوا ملاك المدينة وحكامها وأصحاب أمرها وأموالها قبل الإسلام ، فنزلوا عن الأمر للرسول ثم من بعده للمهاجرين حينما بايعوا أحدهم وهي خليفة رسول الله ، فجاءوا الخليفة

وقالوا له : فضلنا يا خليفة رسول الله

قال : صدقتم ، ان أردتم أن أفضلكم صار ما عملتوه للمدن ، وان صبرتم كان لله عز وجل .

فقالوا . والله ما عملنا الا الله تعالى

فصعد أبو بكر المذبر فحمد الله وأثنى عليه وصلى وسلم على النبي ثم قال :

يا معشر الأنصار ان شئتم تقولوا انا آويناكم في ظلالنا ، وشاطرناكم في أموالنا ونصرناكم بأنفسنا لقلتم ، وان لكم من الفضل عالا يحصيه العد ، وان طال به الأمد فنحن وأنتم كما قال طفيل

جزى الله جعفر حين أزلقت

بنينا فعلنا في الواطئين فزلت

أبوا أن يعملونا ولو أن أمتنا

تلاقى الذي يلقون منا ملت

هم أسكنونا في ظلال بيوتهم

ظلال بيوت أديفات وأظلت

ونزل أبو بكر

وتذكر هو وبعض كبار الأنصار ما كان منهم يوما من أيام الرسول صلى الله عليه وسلم حينما لم يعط الأنصار من غنائم هوزان

فوجدوا عليه في أنفسهم لما صنع ، فجمع الانصار ، وكان مما قاله عليه الصلاة والسلام لهم .

« أما والله لو شئتم لقلتم ولصدقتم ، اتيتنا مكذبا فصدقناكم ومخذولا فنصركم وطريدا فأويناك وعازلا فأسسيناك ، وجدتم في أنفسكم يا معشر الأنصار في لعاعة من الدنيا تألفت بها قوما ليسلموا ، ووكلتم الى اسلامكم ، أفلا ترضون يا معشر الأنصار ، أن يذهب الناس بالشاة والبعير ، وترجعوا برسول الله الى رحاكم ، فوالذي نفس محمد بيده ، لولا الهجرة لكنت امرأ من الأنصار ، ولو سلك الناس شعبا وسلكت الأنصار شعبا ، لسلكت شعبهم الأنصار ، اللهم أرحم الأنصار وابناء الأنصار وابناء الانصار »

فيكي القوم وقالوا : رضينا برسول الله قسما وحظا (٧) .

العدول عن مبدأ المساواة في خلافة عمر :

فلما كان عهد عمر بن الخطاب رضى الله عنه وجاءت أموال الفئوح عدل عن المساواة وفضل .

وقال : لا أجعل من قاتل رسول الله صلى الله عليه وسلم ، كمن قاتل معه ، نفرض لأهل السوايق والقدم من المهاجرين والأنصار مدين شهد بدرا خمسة آلاف ولم يشهد بدرا أربعة آلاف ، وفرض لمن كان له اسلام كاسلام أهل بدر دون ذلك ، أنزلهم على قدر منازلهم من السوايق (٨) .

فمن ذلك يبين أن المالية العامة في عهد أبي بكر كله حقت فائضا مكنته من توزيع معاش على جميع المسلمين بالتساوى بدأ قليلا ثم زاد في السنة الثانية ، وقد توفى في السنة الثالثة من خلافته فلما ألت الخلافة لعمر بن الخطاب رضى الله عنه زاد التوزيع وجعله على قدر منازل الناس من السوايق .

(٧) الطبرى جزء ٣ - مرجع سابق - ص ٩٣ ، ٩٤ .

(٨) الخراج لأبى يوسف ص ٤٢ .

ويرجع توازن المالية العامة في عهد أبى بكر الصديق وتحقيق
فائض للأسباب التالية :

أسباب التوازن المالى فى عصر الصديق وتحقيق فائض :

- صمم أبو بكر الصديق على استئداء بيت المال لحقوق
الفقراء من الزكاة ، فلما امتنع المرتدون عن الأداء حاربهم وانتصر
عليهم فتدفقت أموال الزكاة على بيت المال مما غطى حاجة المستحقين
لها .

- استمرار الصديق فى سياسة الجهاد لاعلاء كلمة الله ونشر
الدين الاسلامى وتحقيق النصر الذى الى غنائم لأموال الأعداء وأتى
بيت مال المسلمين خمس هذه الغنائم على النحو السابق تفصيله .

- كان لسياسة الجهاد اثرها فى زيادة مورد آخر من موارد
بيت المال وهو الجزية اذا تمسك أهل الكتاب بدينهم ورضوا بالصلح
ودفع الجزية وعدم اللجوء للقتال .

- كان ممن يعملون للدولة من لا يتناولون منها أجرا اكتفاء
بثواب الله سبحانه وتعالى ، كنشاط مساعدى الخليفة ونشاط أفراد
السلطة التشريعية والسلطة القضائية على النحو السابق ايضاحه .

- أدت بعض الخدمات العامة للدولة تطوعا بدون نفقة عامة ،
فالخدمات التعليمية مثلا التى تدرج لها الدول حاليا الاعتمادات
الكبيرة لأجور الاساتذة بالجامعات والمعلمين بالمدارس ومعاهد
التعليم المختلفة كان يؤديها الصحابة ابتغاء ثواب الله فيعلمون الناس
ما وعوه وسمعه قرآن كريم وأحاديث نبوية شريفة وتفاصيل
قرآنية وسير الفضوات وفقه المعاملات .

- ساهم فى هذا الفائض ذهب أتى من منجم للذهب ظهر غير
بعيد عن المدينة ، كما أتى الخليفة مال من معدن شمين اكتشف فى
أرض جينة .

— كان المسجد النبوي هو المكان الوحيد للنشاط الحكومي ،
غكفى المالية العامة في عهد أبي بكر الصديق عن ادراج الاعتمادات
للقابلة نفقات انشاء الدواوين العامة والمصالح وأبنية المدارس وانشاء
المحاكم وغيرها كما يتبع حاليا في الموازنات العامة للدولة .

مما سبق يتضح أنه كانت في عهد أبي بكر الصديق رضى الله
عنه عوامل أدت الى زيادة الإيرادات العامة وتقليل وترشيد الانفاق
العام مما أدى الى توازن المالية العامة في عهده وتحقيق فائض وزعه
الخليفة على الناس بالتساوي .

على أن التوازن المالي لم يكن هو التوازن الوحيد في عهد
الصديق رضى الله عنه ، فقد تحققت أنواع أخرى من التوازن وهي :

تحقق التوازن الديني في عهد الصديق بجانب التوازن المالي :

ليس بالتوازن المالي فقط في الدول الاسلامية يتحقق التوازن
العام للدولة والأفراد ، بل لابد أن يكون مصحوبا بالتوازن الديني في
نفوس وقلوب الأمة قولا وعملا ، وفي عهد أبي بكر الصديق لم يكن
تصميمه على أداء الزكاة فقط بهدف حماية الحقوق المالية لمستحقيها ،
وانما كان أساسا لأنها ركن من أركان الدين وعمود من عمده ، فإذا
هوئى هذا الركن ومال هذا العمود ، أدى الى عدم توازن تطبيق
المسلمين لقواعد الاسلام وتعاليمه وعدم الاستجابة لآيات الزكاة في
القرآن وسنن رسول الله صلى الله عليه وسلم بشأنها .

ومما زاد في التوازن الديني للأمة والدولة في عهد أبي بكر
العمل على استمرار الجهاد بعد رسول الله صلى الله عليه وسلم
والنظر بالأموال والأفئدة والاستشهاد في سبيل العقيدة ، فأطمانت
النفوس وزكت القلوب وسمت الأرواح ، ولو كانوا تركوه لضاع
التوازن واضربهم الله بالذل كما قال الصديق في أول خطاب له
والأمرهم الله مذلة في رقابهم لا تنفك عنهم حتى يتوبوا الى الله
ويرجعوا الى ما كانوا عليه من جهاد كما أشار الى ذلك حديث رسول
الله صلى الله عليه وسلم السابق ذكره عند التذويه عن فضل الجهاد :

تحقيق التوازن الاجتماعي في عصر الصديق بجانب التوازن المالي والديني :

ساهمت المالية العامة بجانب التوازن الديني في الحفاظ على التكافل الاجتماعي الذي تركه رسول الله صلى الله عليه وسلم قبل وفاته في مجتمع الدولة الإسلامية ، فقد كفل في عهده الأنصار المهاجرين وكفل الأغنياء الفقراء وكفل القادرون العاجزين ، وكاد صرح من صروح هذا التكافل أن يتصدع وهو 'الزكاة' ، ويقف أثرها الفعال في تدوير الفروق بين الطبقات بما يناله الفقراء والمساكين من حقوق لهم في أموال الأغنياء ، وكاد أثرها في تحرير العبيد وحصولهم على حقوقهم السياسية بما ينشئ على تحريرهم من الزكاة لعنتهم وأداء مكاتبهم أن يتلاشى ، ولكن الصديق حارب وثبت الزكاة فاستمرت في أداء رسالتها في تحقيق التكافل والتوازن الاجتماعي ، فلم يشهد المجتمع الإسلامي طفلة خلافة أبي بكر ما شهدته في آخر أيام عمر بن الخطاب من فروق واسعة بين الأغنياء والفقراء مما جعل أمير المؤمنين عمر بن الخطاب رضى الله عنه يقول في أواخر خلافته (٩) .

« لو استقبلت من أمرى ما استدبرت لأخذت فضول أموال الأغنياء فقسمتها على الفقراء »

ولم يشهد المجتمع الإسلامي ما شهدته في خلافة عثمان بن عفان رضى الله عنه من دعوة صحابي جليل وهو أبو ذر الثخفاري لأغنياء المسلمين بأن في أموالهم حقوقا فوق الزكاة لفقراء المسلمين ولم يشهد تلك الفتنة الكبرى التي وقعت في عهد الخليفة الثالث فأطاحت باستقرار الدولة الإسلامية وتكافل أبنائها (١٠) .

(٩) انظر كتابنا « السياسة المالية لعمر بن الخطاب » طبعة الهيئة العامة للكتاب ص ٢٣٢ .

مميزات عطاء بيت المال في عصر الصديق :

عطاء بيت المال مصدره الإيرادات العامة من الجزية والخراج وليس مصدره الزكاة ولا خمس الغنائم فهي مخصصة لوجوه انفاق محددة وليست لكل المسلمين ، وقد تميز العطاء في عهد الصديق رضي الله ، كما ذكرنا ، أنه قام على المساواة بين الناس ، فلم يكن له الأثر الذي كان لعطاء عمر بن الخطاب والذي قام على أفضلية السابقين في الاسلام . على من جاء بعدهم ، فقد أدى الى توسيع درجات الفنى وتوسيع الفروق بين الأغنياء والفقراء مما جعل عمر بن الخطاب يقول قولته السابقة ويقول أيضا بشأن العطاء :

« والله لئن بقيت الى هذا العام المقبل لألحقن آخر الناس بأولهم ولأجعلنهم بيانا واحدا » (١١) .

وبذلك أراد أن يرجع لسياسة الصديق التي قامت على المساواة في عطاء بيت المال للمسلمين .

عطاء بيت المال خير من تكوين احتياطي عام :

إذا فاضت الإيرادات العامة للدول الحديثة عن نفقاتها العامة وحقت فائضا فإنه يرحل للسنوات التالية كاحتياطي عام لمقابلة أى نقص في الموارد العامة أو زيادة طارئة في النفقات العامة ، مما يدعو للتساؤل لماذا لم يبق الصديق الفائض لمقابلة أى عجز مستقبل ؟ يبدو أن الصديق كان يتأسى برسول الله صلى الله عليه وسلم الذي

(١٠) انظر كتابنا « السياسة المالية لعثمان بن عفان » الهيئة العامة للكتاب ص وما بعدها .

(١١) انظر كتابنا « السياسة المالية لعمر بن الخطاب » - مرجع سابق - ص ٢٣٢ .

كان يكره أن تبيت عند أموال عامة ، وكان يسرع في توزيعها (١٢) وكان يعتقد أن أساس رخاء الأمة الإسلامية هو تقوى أبنائها أولا وذلك استنادا لقول الله جل وعلا .

« ولو أن أهل النفرى آمنوا واتقوا لفتحنا عليهم بركات من السماء والأرض ولكن كذبوا فأخذناهم بما كانوا يكسبون » (الاعراف / ٩٦) .

وقد قال قائل بعد خلافة أبي بكر لأُمير المؤمنين عمر بن الخطاب « لو تركنا في بيت الأموال عدة لكون أن كان »

فغضب وقال « كلمة ألقاها الشيطان على فيك وقانى الله تنزهنا ، وهى فتنة لمن بعدى . بل أعد لهم ما أمرنا الله ورسوله ، طاعة الله ورسوله فهى عدتنا التى بها أفضيت الى ما ترون ، فإن كان هذا المال ثمن دين أحكم هلكتم » (١٣) .

عطاء الصديق لوجه الله تعالى :

كان عطاء الصديق نقياً لوجه الله سبحانه وتعالى ، فلم يكن لتحقيق أغراض سياسية كما حدث في عهد بنى أمية بعد الخلفاء الراشدين حينما كانوا يمنحون العطاء لمن والاهم وإلى ملكهم ويمنعونهم ريعه عن طوائف أخرى من المسلمين كانت تعتقد أن اتباع عالى بن أبى طالب رضى الله عنه أحق من بنى أمية بالحكم .

صحابي يمتنع عن أخذ عطاء بيت المال :

عن سعيد بن المسيب وعروة بن الزبير أن حكيم بن حزام رضى الله عنه قال :

سألت رسول الله صلى الله عليه وسلم فأعطاني

(١٢) انظر كتابنا « السياسة المالية للرسول » - مرجع سابق -

ص ١٩٤ .

(١٣) انظر كتابنا « السياسة المالية لعمر بن الخطاب » - مرجع

سابق - ص ٢٠٥ .

ثم قال نى : يا حكيمة ان هذا المال خضر حلو فمن أخذه بسخاوة نفس بورك له فيه ، ومن أخذه بإشراف نفس^(١٤) لم يبارك له فيه ، وكان كالذى يأكل ولا يشبع ، واليد العليا^(١٥) خير من اليد السفلى^(١٦) .

قال حكيمة : فقلت يا رسول الله الذى بعثك بالحق لا أرزا^(١٧) أحدا بعدك شيئا حتى أفارق الدنيا .

فكان أبو بكر يدعو حكيما لمعطيه العطاء فيأبى أن يقبل منه شيئا^(١٨) .

وبذلك ضرب حكيمة المثل في التعفف عن حقه المشروع في الأموال العامة ، أين هذا مما يحدث الآن من محاولات للبيع للثراء من الأموال العامة بكل الطرق ، فبعض المؤتمنين على الأموال العامة يختلسون منها ، وبعض العاملين في الأمور العامة يضحون بأموالها ويضيعون حقوقها المالية في سبيل مال مرام يحصلون عليه أو منفعة غير مشروعة تعود عليهم أو لارضاء هادب نفوذ أو للتقرب لذى جاه ، فإله من ورائهم محيط .

صحابى آخر يوزع عطاءه ويأكل من عمل يده :

كان سلمان الفارسي يوزع عطاءه - وكان في أيام عمر بن الخطاب وقيرا - ويرفض أن يناله منه درهم واحد ويقول :

« أشتري خوصا بدرهم فأعمله ، ثم أبيعه بثلاثة دراهم ، فأعيد درهما فيه ، وأنفق درهما على عيالى ، وأتصدق بالثالث ٠٠ ولى أن عمر بن الخطاب نهاني عن ذلك ما انتهيت »^(١٩) .

(١٤) إشراف النفس أى بتطلب النفس وتطمعها اليه وحرصها الشديد

(١٥) العليا أى المنفعة .

(١٦) السفلى أى السائلة .

(١٧) أى لا آخذ من أحد بعدك شيئا من ماله .

(١٨) صحيح البخارى جزء ٥ - مرجع سابق ص ١٢ .

(١٩) رجال حول الرسول - خالد محمد خالد - طبعة ثالثة - ص ٥٩ .

عجوز ترد عطاء أبي بكر :

أرسل الصديق عطاء بيت المال مع زيد بن ثابت الى امرأة
عجوز .

فقالت لزيد : ما هذا ؟

قال زيد : مال قسمه أبو بكر بين النساء

قالت : أترشونني في ديني

قال زيد : لا

قالت : أتخافون أن أدع ماأنا عليه (أي تترك الاسلام)

قال زيد : لا .

قالت : والله لا آخذ منه شيئاً (٢٠)

(٢٠) الصديق أول الخلفاء - عبد الرحمن الشراوى - الفصل

الفصل الثمانى

اعداد موازنة عامة للدولة فى عهد الصديق

المالية العامة فى عهد الصديق كانت كاملة الأركان :

مما سبق يتضح أن المالية العامة الاسلامية فى عهد الصديق كانت متكاملة الأركان :

فهى مالية عامة لدولة لها سلطاتها الثلاث التنفيذية والتشريعية والقضائية .

وهى مالية عامة لها مواردها العامة المتعددة المتميزة .
وهى مالية عامة لها نفقاتها العامة المخصصة وغير المخصصة .

وهى مالية عامة لها ادارتها المالية التى حققت توازنهـا وفائضها الذى وزع على أفراد الأمة وبذلك تكون قابلة للتطور لتستوعب أى مستحدث فى الفن المالى العام مادام لا يتعارض مع الدين .

امكانية اعداد موازنة عامة للدولة فى عهد الصديق :

وفى ضوء تكامل أركان المالية العامة الاسلامية فى عهد الصديق يمكن بلورة عناصرها لاعداد موازنة عامة ، مع أن نظام الموازنات

العامة لم يعرف ويطبق الا فى القرن الثامن عشر ، أى بعد خلافة أبى بكر الصديق رضى الله عنه بمئات السنين ، ولو فرض وأعدت فى عهد الصديق هذه الموازنة العامة كان سيراعى طبيعة الموارد المخصصة وهى الزكاة وخمس الغنائم من أنها توجه حصيلتها لوجوه الاتفاق المحددة لها بالقرآن ، اذ لا يجوز لآى دولة اسلامية أن تخالف أحكامه بعدم مراعاة هذا التخصص ، أما الموارد غير المخصصة وهى الجزية والخراج فهى مطلقة تنفق منها الدولة على سسائر النفقات العامة لإدارة الدولة ولتأدية الخدمات العامة لتحقيق رعاية الشعب .

وكان سيراعى كذلك أن إيرادات الزكاة إيرادات محلية تؤخذ من أغنياء الولاية وتنفق على فقرائها طبقا لوصية رسول الله صلى الله عليه وسلم لمعان حين بعثه الى اليمن ليدعوهم الى الاسلام والصلوة فقال « فاذا أقروا لك بذلك فقل لهم ان الله فرض عليكم صدقة أموالكم تؤخذ من أغنيائكم فترد على فقرائكم » .

وبناء عليه فان الموازنة للدولة لو أعدت فى عهد الصديق لتكونت من الموازنات العامة التالية :

الموازنة العامة للمزكاة :

وايراداتها العامة من متحصلات الزكاة وأوجه نفقاتها العامة محددة بالقرآن وهى للفقراء والمساكين والعاملين عليها والمؤلفة قلوبهم والغارمين وفى سبيل الله وابن السبيل .

وتكون عبارة عن موازنتين موازنة محلية للمزكاة وموازنة مركزية يؤول إليها ما فاض من أموال الزكاة المحصلة من الأغنياء عن حاجة مصارفها المحلية وتنفقه الحكومة المركزية على الوجوه المحددة بالقرآن للمزكاة أيضا ولكن على مستوى الدولة الاسلامية ، وان كان فى عهد الصديق وبسبب الردة أتته القبائل بعد انتصاره

عليها وأدت اليه الزكاة^(١) فكان جمعها مركزيا للخليفة نفسه ولربما صرفها على فقراء ومساكين نفس أنقبائل^(٢) .

الموازنة العامة لخمس الغنائم :

وايراداتها العامة من خمس الغنائم الذى يؤول لبית المال وينفق منها في الوجوه التى حددها القرآن ، وهى بعد موت الرسول صلى الله عليه وسلم لليتامى والمساكين وابن السبيل والكراع والسلاح ، لأن أبابكر الصديق وجه سهم الرسول وذى القربى للكراع والسلاح

كما سسبق أن رأينا ، وهذه الموازنة العامة بطبيعتها موازنة عامة مركزية .

الموازنة العامة للجزية والخراج :

ومواردها من الجزية والخراج ويمثل جانب النفقات العامة فيها كل ما أنفقه الصديق رضى الله عنه على المصالح العامة على النحو السابق ايضاحه وهى الاجور ونفقات الحج ونفقات الفتوح الاسلامية واية نفقات تكون استلزماتها استكمال نفقات التكافل الاجتماعى اذا لم تكف موارد الزكاة^(٣) .

تبويب الموازنة العامة في عهد الصديق رضى الله عنه :

لا تظهر النفقات العامة والايادات العامة في الموازنات العامة الحديثة مجملة بل تظهر مبنوية طبقا لاسس مختلفة تختار كل دولة

(١) انظر الطبرى جزء ٣ - مرجع سابق - ص ٢٤٧

(٢) لذلك صورنا فيما بعد الموازنة العامة للزكاة مركزية .

(٣) كان من الممكن تصوير أيضا موازنة عامة مستقلة للضوائج وتركات

من وارت له وهى تخص للفقراء ، ولكن لم يصادفتنا ما يثبت تحقيق موارد منها في عهد الصديق .

الأساس الذى تراه ملائما لها ، فاذا اخترنا أحد هذه الأسس وهو التقسيم طبقا لطبيعة الإيراد وطبيعة النفقة ، يمكن تقسيم الإيرادات العامة للدولة الإسلامية ونفقاتها العامة في عهد الصديق إلى الأيواب التالية :

تقسيم الإيرادات العامة هي :

باب (١) إيرادات الزكاة

باب (٢) إيرادات خمس الغنائم

باب (٣) إيرادات الجزية

باب (٤) إيرادات الخراج

تقسيم النفقات العامة هو :

باب (١) ويشتمل على أنواع الأجور العامة التى تدفعها الدولة للعاملين بها .

باب (٢) ويشتمل على جميع النفقات الجارية خلاف ما سبق في الباب الأول اللازمة لإدارة الدولة والاعانات التى تعطى للمستحقين والاعطيات التى منحت للمسلمين في عهد الصديق رضى الله عنه (٤) .

وفي ضوء ما سبق تكون الموازنة العامة للدولة في عهد الصديق رضى الله عنه على النحو التالى :

(٤) من المعتاد أن يفرد باب ثالث للنفقات العامة ذات الطبيعة الرأسمالية ولكن لم يصادفنا ما يثبت اتفاق من هذا القبيل في عهد الصديق .

الموازنة العامة للزكاة للدولة الإسلامية عن السنة الثانية عشرة هجرية (٥)

المبلغ	الايرادات العامة
درهما	
٠٠٠	باب (١) ايرادات الزكاة
٠٠٠	اجمالي

المبلغ	الذفقات العامة
درهما	
٠٠٠	باب (١) رواتب العاملين على الزكاة
٠٠٠	باب (٢) نفقات جارية وتشمل اعانات
٠٠٠	الفقراء
٠٠٠	المساكين
٠٠٠	المؤلفة قلوبهم
٠٠٠	في الرقاب
٠٠٠	الغارمين
٠٠٠	في سبيل الله
٠٠٠	ابن السبيل
٠٠٠	اجمالي

(٥) لم يعرف التقويم الهجري الا في عهد عمر بن الخطاب ولكن لو عرف الموازنات العامة في عهد الصديق لتوصل المختصون للتقويم الهجري .

٢٧٣

(١٨ م - السياسة المالية)

الموازنة العامة لخمس الغنائم للدولة الإسلامية
عن السنة الثانية عشرة هجرية

المبلغ	الايرادات العامة
درهما	
	باب (٢) ايرادات خمس الغنائم
...	١/٥ غنائم موقعة ...
...	١/٥ غنائم موقعة ...
...	١/٥ غنائم موقعة ...
...	١/٥ غنائم موقعة ...
...	١/٥ غنائم موقعة ...
...	اجمالي

المبلغ	النفقات العامة
درهما	
	باب (٢) نفقات جارية
...	اعانات لليتامى
...	اعانات للمساكين
...	اعانات لأبناء السبيل
...	شراء كراع وسلاح
...	اجمالي

الموازنة العامة للجزئية والخراج للدولة الاسلامية عن السنة الثانية عشرة هجرية

المبلغ	الايرادات العامة
	درهما
	٠٠٠
	باب (٣) ايرادات الجزئية
	٠٠٠
	باب (٤) ايرادات الخراج
	٠٠٠
	اجمالي

المبلغ	النفقات العامة
	درهما
	٠٠٠
	باب (١) ايرادات الزكاة
	باب (١) راتب الخليفة ورواتب العاملين بالدولة
	٠٠٠
	باب (٢) نفقات جارية (مصاريف ادارة الدولة
	والخدمات العامة واقامة الشعائر
	واعانات وعطاء من غير الزكاة وشراء
	السلاح والعتاد من غير موازنة خمس
	الغنائم
	٠٠٠
	اجمالي

تصور دورة الموازنة العامة لو أعدت في عهد الصديق^(٦) :

ولو كان نظام انوازات العامة معروفا في عهد الصديق لمرت الموازنة العامة بمراحل دورتها التى تمر بها الموازنات العامة للدول الحديثة وهى :

مرحلة الاعتماد :

وكان سيعيد الموازنة في عهد الصديق أبو عبيدة الجراح رضى الله عنه باعتباره أنه عرض نفسه على الخليفة ليعاونه في المسائل المالية ، كما سبق أن أوضحنا ، وكان سيندب لمعاونته فى الاعداد من يراهم صالحين للقيام بالمهمة .

مرحلة الاعتماد :

بعد أن تعد السلطة التنفيذية في الدول حاليا مشروع الموازنة العامة للدولة ترسله للسلطة التشريعية ممثلة في المجالس النيابية لمناقشة المشروع وابداء الرأى في محتوياته واجراء مآثره من تعديلات أو رفضه ، فإذا أجازت السلطة التشريعية مشروع الموازنة العامة ، اعتمده وصار قابلا للتنفيذ بعد الاعتماد .

وفي عهد الصديق ، سبق أن أوضحنا أن جماعة الصحابة كانت تكون السلطة التشريعية ، فلو كان نظام الموازنات العامة معروفا في عهد الصديق رضى الله عنه ولو أعد مشروع الموازنة العامة للدولة لمر على جماعة الصحابة وهم أهل الشورى لمناقشته واجازته بعد تبادل الرأى وبذلك يعتمد ويصبح قابلا للتنفيذ .

(٦) يرجع لكتابنا الموازنة العامة للدولة ص ١٠٩ وما بعدها - طبعة
ثالثة - الهيئة المصرية العامة للكتاب .

مرحلة التنفيذ :

بعد أن يعتمد مشروع الموازنة العامة في الدول حاليا يحال للسلطة التنفيذية لتنفيذ ما فيه بمعرفة السلطة التنفيذية وممثليها ، وفي عهد الصديق لو كان نظام الموازنات العامة معسروفا وأعدمت مشروع موازنة الدولة بعد اعداده لقام بالتنفيذ الخليفة نفسه ومعاونوه ممن كانوا يقومون بالكتابة له كعثمان بن عفان رضى الله عنه وآخرون ، وكان سيقوم الولاة ممن سبق التنويه عنهم بالمساهمة في هذا الشأن .

وهكذا يتضح أن المالية العامة الاسلامية في عهد الصديق كانت مكتملة لدرجة أنها كانت قادرة على استيعاب وتطبيق أحد النظم المالية الأساسية التي طبقت بعد ذلك العهد بمئات السنين وهو نظام الموازنات العامة .

مبادئ الموازنة العامة في عصر الصديق (٧) :

وكانت ستتحقق في عهد الصديق لو أعد موازنة عامة للدولة نفس المبادئ التي تتسم بها الموازنات العامة حاليا بعد اعدادها وهي :

السنوية :

فتعد الموازنة العامة حاليا بصفة عامة عن فترة زمنية تبلغ سنة هجرية وقد أمكن اعداد موازنة عامة عن سنة في عهد الصديق .

الشئوع :

في الموازنات العامة الحالية لا يجوز تخصيص ايراد عام معين لنفقة عامة محددة بل تمول الايرادات العامة النفقات العامة بصفة عامة شائعة ودون تخصيص ، الا ما استثنى بنص .

(٧) المرجع السابق - الصفحات ٢٩ وما بعدها .

وقد تبين في الموازنة العامة التي تصورها اعدادها في عهد الصديق أن الإيرادات العامة للجزية والخراج شائعة وغير مخصصة لنفقات محددة .

وأنة تطبيقا للنصوص القرآنية خصصت إيرادات الزكاة لنفقات محددة وكذلك الشأن في إيرادات خمس الغنائم .

الشمول :

ومعناه أن تشمل الموازنة العامة للدولة جميع إيراداتها العامة ونفقاتها العامة ، فلا يجوز الانفاق خارج الاعتمادات الموضحة بالموازنة العامة وهو مبدأ كان من السهل الأخذ به لو أعدت الموازنة العامة في عهد الصديق الذي تميز بحزمه في قيادة أمور الأمة .

الوضوح :

الأموال العامة وإيراداتها العامة الموضحة بالموازنة العامة هي أموال الشعب والحكومات نائية عنه ، لذلك تعتمد الدول حاليا على إيضاح محتويات الموازنات العامة سنويا وإعلانها بكافة الطرق ليعرف الشعب مصير أمواله .

وكانت موازنة الدولة الإسلامية في عهد الصديق سديتدم بالوضوح لأن المال العام في الإسلام مال الله والشعب مستخلف عليه . فكان الصديق سيتناولها في خطبه ، وكان الصحابة يعلمون ويوضحون ويشرحون للشعب .

المرونة :

تتضمن الموازنات العامة حاليا تأشيرات تتيح مرونة مسار العمليات المالية بحيث لا تصادف عقبات تحول دون تنفيذها ما ورد من اعتمادات بالموازنة العامة .

والمالية العامة الإسلامية تتسم بطبيعتها بالمرونة ، فإذا لم تكف موارد الموازنة العامة للزكاة للانفاق على مصارفها المدة بالقرآن ، يمكن تغطية النقص والانفاق على بعض هذه المصارف أو كلها من الموازنة العامة للجزية والخراج فمواردها عامة غير مخصصة لنفقات محددة بالذات ، كذلك الشأن في موازنة خمس الغنائم ، يمكن الانفاق على النفقات المحددة لها من إيرادات الجزية والخراج إذا لم تكف موارد الخمس لنفقاتها المخصصة ومن المرونة في المالية العامة الإسلامية أيضا أنه يمكن الانفاق العام على فتوح الإسلام من مصادر عدة وهي :

سهم في سبيل الله من أموال الموازنة العامة للزكاة •

سهم الرسول وسهم ذوي القربى بعد وفاته صلى الله عليه وسلم وذلك من إيرادات الموازنة العامة لخمس الغنائم •

إيرادات الموازنة العامة للجزية والخراج فيمكن توجيه جزء منها لنفقات السلاح والخيول والعتاد •

التوازن :

وقد أوضحنا فيما سبق التوازن الكمي والتمويل بالعجز في الموازنات العامة حاليا كما سبق أن أوضحنا أن المالية العامة الإسلامية في عهد صديق توازنت وحقت فائضا مكنه من توزيع فئات من العطاء على المسلمين •

مبدأ الإسلامية من المبادئ الأساسية للموازنة العامة في عهد الصديق :

على أن الموازنة العامة للدولة في عهد الصديق كانت ستتحدى بمبدأ هام لا يتحقق في بعض الموازنات العامة حاليا ، وهو مبدأ « الإسلامية » لأن الدولة كانت إسلامية ، القرآن دستورها وسنة رسول الله صلى الله عليه وسلم قانونها ، ورئيس الدولة وهو الخليفة

من المساهمين فى نشر الاسلام ، والسلطة التشريعية مكونة من صحابة تعلموا فى مدرسة الرسول ، وشعب المسلمين قريب العهد برسول الاسلام ، والاسلامية الحق تنشئ مبادئ هامة للمالية العامة فيه قوامها وهى :

الترشيد :

تطبيقا لقول الله جل وعلا فى ترشيد الأموال عموما ومنها المال العام :

« ولا تؤولوا السرفاء أموالكم التى جعل الله لكم قياما »
(النساء / من ٥)

الأمانة :

اشاعة مبدأ الاسلامية فى الأموال العامة يعصمها من الخيانة والاختلاس والسرقة ويحيطها بأمانة الحكام والعاملين والمتعاملين معها وذلك استنادا لقول الله جل وعلا فى أكثر من آية وفيما يلى نماذج منها :

« يا أيها الذين آمنوا لا تخونوا الله والرسول وتخونوا أماناتكم وأنتم تعلمون » (الأنفال / ٢٧)

« ان الله يأمركم أن تؤدوا الأمانات الى أهلها وإذا حكمتم بين الناس أن تحكموا بالعدل ان الله نعما يعظكم به ، ان الله كان سميعا بصيرا » (النساء / ٥٨)

« والسارق والسارقة فاقطعوا أيديها جزاء بما كسبا نكالا من الله ، والله عزيز حكيم » (المائدة / ٣٨)

التبوء :

بالمعمل الجاد الدؤوب والانتاج المستمر المتزايد يزداد الدخل القومى للأمة وتزداد إيراداتها العامة وتنمو مالياتها العامة وذلك

كله يدعو اليه مبدأ الاسلاميه ، ولهذا المبدأ - بجانب هذه الوسائل العملية للنماء - وسائل أخرى معنوية لزيادة ثروات الأمم ونماؤها .

فالله جل وعلا يقول :

« ومن يتق الله يجعل له مخرجا ويرزقه من حيث لا يحتسب »
(الطلاق / من ٢ ، ٣)

ويقول سبحانه وتعالى :

« فقلت استغفروا ربكم انه كان غفارا ، يرسل السماء عليكم مدرارا ، ويمددكم بأموال وبنين ويجعل لكم جنات ويجعل لكم أنهارا ،
(نوح / ١٠٠ ، ١١ ، ١٢)

ويقول جل وعلا أيضا :

« وياقوم استغفروا ربكم ثم توبوا اليه يرسل السماء عليكم مدرارا ويزدكم قوة الى قوتكم ولا تقولوا مجرمين » - (هود / ٥٢)

التهنئة :

سبق أن ذكرنا عند الكلام عن الانفاق أن بعض الماليات العامة غير الاسلامية تجبى أنواعا من الإيرادات العامة من مصادر غير طيبة كإيرادات من ضرائب على الميسر أو الخمر أو من فوائد ربوية أو من سلب خيرات دول ضعيفة مستعمرة وغير ذلك .

والاسلام يشترط في الأموال العامة كما في الأموال الخاصة أن تكون من كسب طيب فيمنع أي مال من الخمر والميسر ويمحق الربا ويؤتم اكل الأموال بالباطل .

فيقول جل وعلا ناهيا عن الخمر والميسر :

« انما الخمر والميسر والأنصاب والأزلام رجس من عمل الشيطان فاجتنبوه لعلكم تفلحون » (المائدة - ٩٠)

ويقول سبحانه وتعالى ناهيا عن الربا :

« يا أيها الذين آمنوا اتقوا الله وذروا ما بقى من الربا إن كنتم مؤمنين فإن لم تفعلوا فأنذروا بحرب من الله ورسوله ، وإن تيتم فلکم رؤوس أموالکم لا تظلمون ولا تظلمون » (البقرة / ٢٧٨ ، ٢٧٩) .

ويقول جل وعلا ناهيا عن أكل الأموال بالمبطل :

« ولا تأكلوا أموالكم بينكم بالمبطل وتدلوا بها إلى الحكام لتأكلوا فريقا من أموال الناس بالاثم وأنتم تعلمون » (البقرة / ١٨٨)

وغير ذلك، من المبادئ العامة الخيرة التي يضئفها مبدأ
الإسلامية على المالىات العامة للدول التي تلتزم بقواعد الإسلام في
عمليات أموالها العامة .

الفصل الثالث

مرض الصديق ووصاياه عن المال العام قبل موته

مرض الصديق ووصاياه عن المال العام قبل موته :

توفى أبو بكر الصديق رضى الله عنه وهو ابن ثلاث وستين سنة في جمادى الآخرة يوم الاثنين لثمان بقين منه (١) وسبق أن أوضحنا أن خلافته سنتان وثلاثة أشهر وعشر ليال ، وقيل أن خلافته سنتان وأربعة أشهر إلا أربع ليال (٢) ، وقيل أن سبب وفاته أن اليهود سمته فأكل طعاما مسموما سدم سنة ، فمات بعد سنة ، وقالوا أن سبب وفاته أنه اغتسل في يوم بارد فحم خمسة عشر يوما لا يخرج إلى الصلاة ، وكان يأمر عمر بن الخطاب أن يصلى بالناس (٣) .

وتمثل في مرضه بالبيتين التاليين من الشعر :

(١) الطبرى - جزء ٣ مرجع سابق ص ٤٢١ .

(٢) المرجع السابق ص ٤٢٠ .

(٣) الطبرى - جزء ٣ مرجع سابق ص ٤١٩ .

وكل ذى ابل — وروث

وكل ذى سلب مسد

وكل ذى غيبة يثوب

وغائب الموت لا يثوب

وكان آخر ما قاله « رب توفنى مسلما والحقنى بالصا

ومن وصاياه فى سرى الموت وصايا كان لها علاقة يا
وهى :

اختيار أبى بكر الخليفة بعده كان خيرا وبركة على المال ا
لما مرض أبو بكر مرضه الذى توفى به دعا عبد ال
عوف :

فقال : أخبرنى عن عمر

فقال : يا خليفة رسول الله ، هو والله أفضل من رأى
رجل ، ولكن فيه غلظة -

فقال أبو بكر : ذلك لأنه يرانى رقيقا ، ولو أفضى
لترك كثيرا مما هو عليه ، ويا أبا محمد قد رمقته ، فر
غضبت على الرجل فى الشئ أرانى الرضا عنه ، وإذا لنت
الشئ عليه ، لا تذكر يا أبا محمد مما قلت لك شيئا -

قال : نعم

ثم دعا أبو بكر عثمان بن عفان رضى الله عنهما

قال أبو بكر : يا أبا عبد الله ، أخبرنى عن عمر

(٤) المرجع السابق ص ٤٢١ .

(٥) الصديق أبو بكر - محمد حسين هيكل ص ٣٢٩ .

قال : أنت أخبر به

فقال أبو بكر : على ذاك يا أبا عبد الله !

قال عثمان : اللهم علمي به أن سريره خير من علانيته ، وأن
نيس فينا مثله .

قال أبو بكر رحمه الله : رحمك الله يا أبا عبد الله ، لا تذكر مما
ذكرت لك شيئاً .

قال : أفعل

فقال له أبو بكر : لو تركته ما عدوتك ، وما أدري لعله تاركه ،
والخيرة له ألايلي من أموركم شيئاً ولوددت أني كنت خلوا من
أموركم ، وأنى كنت فيمن مضى من سلفكم ، يا أبا عبد الله ، لا تذكر
مما قلت لك من أمر عمر ولا مما دعوتك له شيئاً (٦) .

وأشرف أبو بكر على الناس

وقال : أترضون بمن أستخلف عليكم ؟ فأنى والله ما ألوت من
جهد الرأي ، ولا وليت ذا قرابة ، وإنى قد استخلفت عمر بن الخطاب ،
فاسمعوا له وأطيعوا .

فقالوا : سمعنا وأطعنا

ودعا أبو بكر عثمان

فقال : أكتب

بسم الله الرحمن الرحيم

هذا ما عهد أبو بكر بن أبي قحافة الى المسلمين

أما بعد .

ثم أغمى عليه

(٦) الطبري - مرجع سابق - ص ٤٢٨ ، ٤٢٩ .

هكذب عثمان :

« أما بعد فإني قد استخلفت عليكم عمر بن الخطاب . ولم ألكم خير منه »

ثم أفاق أبو بكر فقال : اقرأ على

فقرأ عثمان عليه

فكبر أبو بكر وقال : أراك خفت ان يختلف الناس أن أقبلت نفسي في غشيتي

قال عثمان : نعم

قال أبو بكر : جزاك الله خيرا عن الاسلام وأهله

وأقرأها أبو بكر رضى الله عنه(٧)

وكان نقش خاتم أبى بكر رحمه الله « نعم القادر الله »(٨)

وكان أبو بكر موفقا في اختيار عمر فكان استخلافه خيرا وبركة على الاسلام والمسلمين بصفة عامة وعلى بيت المال والمال العام بصفة خاصة .

ففي عهد عمر زادت الإيرادات العامة زيادة كبيرة نتيجة زيادة أموال الزكاة بدخول مسلمين جدد في الاسلام وزادت أموال الغنائم نتيجة الانتصارات المتوالية في فتوحات الاسلام ، وزادت حصيلة الجزية من أهل الكتاب بعد أن علت هيبة الدولة وزادت قوتها ، ولم يوزع أراضي الفتوح بين الفاتحين قتلت للدولة وآل لبيت مال المسلمين خراجها ، وأضاف إلى إيرادات بيت المال إيرادات جديدة من عشور التجارة وأدت النفقات العامة دورها في تمويل الجهاد وأداء الخدمات العامة وحماية الدين وتعمير المساجد وأداء الفرائض

(٧) الطبرى - جزء ٣ - مرجع سابق ص ٤٢٩ .

(٨) الطبرى - جزء ٣ - مرجع سابق ص ٤٢٧ .

واقامة المدن الجديدة وانشاء خليج بين مصر والجزيرة العربية على
النحو السابق ذكره .

وكان لادارته المالية العامة تخطيطا وتنظيما ورقابة دورها في
تحقيق فائض مالى كبير مكنه من توزيع عطاء مرتفع على
المسلمين^(٩) .

رد الصديق أجره لبيت المال :

لما حضرت الصديق الوفاة قال :

« ردوا ما عندنا من مال المسلمين ، فانى لا أصيب من هذا المال
شيئا وان أراضى التى بمكان كذا وكذا للمسلمين بما أصبت من
أموالهم » .

فدفع ذلك الى عمر رضى الله عنه ولقوحا وعبدا وقطيفة ما
تسارى خمسة دراهم .

فقال عمر : لقد أنعب من بعده

وقال أبو بكر أيضا : أنظروا كم أنفقت منذ وليت من بيت المال
فأقضوه عنى .

فوجدوا مبلغه ثمانية آلاف درهم فى ولايته^(١٠)

وبذلك رد أبو بكر أجره الذى أخذه من بيت مال المسلمين تعففا
وزهدا ، وقدم لبيت المال أرضا كان يملكها حدها فى وصيته .

أين هذا من بعض الملوك والرؤساء فى الأزمنة الحديثة ينالون
خلال رئاستهم من الأموال والمنافع والمزايا والمخصصات مايفوق
أجر ولايتهم فيثرون بطرق غير مشروعة ، ويتركون لورثتهم من

(٩) للتفاصيل يرجع لكتابنا « السياسة المالية لعمر بن الخطاب »
مطابع الهيئة المصرية العامة للكتاب .

(١٠) الطبرى - جزء ٣ - مرجع سابق ص ٤٢٣ .

يعدهم ثروات سلبت بعضها أو كلها من الأموال العامة ، وشعوبهم
فى فقر مدقع وتخلف مطبق .

بيت المال لا يتحمل نفقات تكفين أبى بكر ولا دفته :

تتحمل خزائن الدول حاليا نفقات تجهيز وتكفين وتشسييع
جنازات الرؤساء والملوك وسط مظاهر عامة تلقى على الدول أعباء
مالية وقد تفادى أبو بكر الصديق رضى الله عنه ذلك كله ، ففى مرضه
حدث ابنه أم المؤمنين عائشة رضى الله عنها .

فقال : فى كم كفن النبى صلى الله عليه وسلم ؟

قالت : فى ثلاثة أثواب .

قال : اغسلوا ثوبى هذين - وكانا ممشقين (١١) - وابتاعوا
لى ثوبا آخر

قلت : يا أبة ، انا موسرون !

قال : أى بنيه الحى أحق بالجديد من الميت ، وإنما هما
للمهلة (١٢) والصديد (١٣) .

وأوصى أن يدفن الى جنب النبى صلى الله عليه وسلم ، فحمل
على السرير الذى حمل عليه رسول الله صلى الله عليه وسلم ونفذوا
وصيته فدفنوه الى جنب رسول الله صلى الله عليه وسلم ، وجعل
رأسه عند كتفى الرسول ، وألصقوا اللحد بلحد النبى صلى الله عليه
وسلم ، وجعل قبره مثل قبر النبى صلى الله عليه وسلم مسطحا ورش
عليه الماء (١٤) .

(١١) الثوب المشق : المصبوغ بالمزهر .

(١٢) المهلة : القريح والصديد الذى يلدب من الجسد .

(١٣) الطبرى جزء ٣ ص ٤٢١ .

(١٤) الطبرى - جزء ٣ - مرجع سابق ص ٤٢٣ .

ومكذا كما صاحب الصديق الذبي في الحياة وفي القار صاحبه
ميتا في القبر .

وقد ارتجت المدينة لوفاة ابي بكر .

وابنه على بن ابي طالب فقال :

« رحمك الله يا ابا بكر ! كنت والله أول القوم اسلاما ، وأخلصهم
ايمانا ، وأشدهم يقينا وأعظمهم غنى ، وأحفظهم على رسول الله
صلى الله عليه وسلم ، وأحديهم على الاسلام ، وأحماهم عن أهله ،
وأنسبهم برسول الله خلقا وفضلا وهديا وسمتا ، فجزاك الله عن
الاسلام عن رسول الله وعن المسلمين خيرا . صدقت رسول الله
حين كذبه الناس ، وواسيته حين يخلوا ، وقمت معه حين قعدوا ،
وسماك الله في كتابه صديقا فقال « والذي جاء بالصدق وصدق به »
يريد محمدا ويريدك ، كنت والله للاسلام حصنا ، وللكافرين ناكبا ،
ولم تضلل حجتك ، ولم تضعف بصيرتك ، ولم تجبن نفسك ، كالجبيل
لا تحركه العواصف ، ولا تزيله القواصف . كنت كما قال رسول الله
صلى الله عليه وسلم ضعيفا في بدنك ، قويا في دينك ، متواضعا في
نفسك ، عظيما عند الله ، جليلا في الأرض كبيرا عند المؤمنين ، لم
يكن لأحد عندك مطمع ولا هوى ، فالضعيف عندك قوى ، والقوى
عندك ضعيف ، حتى تأخذ الحق من القوى وتأخذه للضعيف ، فلا
حرما الله أجرك ، ولا أضلنا بعدك ! » (١٥) .

وابنته ابنته عائشة أم المؤمنين فقالت :

« نضر الله يا أبت وجهك ، وشكر لك صالح سعيك ، فقد كنت
للدنيا مذلا ، ولأبناك عنها ، وللآخرة معزا باقبالك عليها ، ولئن كان
أعظم المصائب بعد رسول الله صلى الله عليه وسلم رزك ، وأكبر
الأحداث بعده فقدك ، ان كتاب الله عز وجل ليعبنا بالصبر عنك حسن
العوض . وأنا منتجة من الله موعده فيك بالصبر عنك ، ومستعينة

(١٥) الصديق أبو بكر - محمد حسين هيكل - طبعة سنادسة ص ٣٣٠ .

كثرة الاستغفار لك ، فسلام الله عليك ، توديع غير قالية لحياتك ولا زارية على القضاء فيك « (١٦) .

وقال عمر بن الخطاب حين دخل على أبي بكر بعد موته :

« يا خليفة رسول الله ! لقد كلفت القوم بعدك تعباً ووليتهم نصيباً .
فهيئات من شق غبارك ، فكيف للحاق بك » (١٧) .

ونحن بعد مئات السنين من موت الصديق نقول :

« رحمك الله يا صديق ثبت الزكاة فحفظت حقوق الفقراء والضعفاء والمحتاجين ، ورفعت لواء الجهاد فآل لبیت المال نصيبه من غنائم النصر فرعيت به اليتامى وأبناء السبيل والمساكين ، وأرجعت أهل الكتاب إلى الاعتدال بعد أن مالوا ، فأدوا الجزية عن يد وكانوا صاغرين ، ودعمت أمر خراج الأرض بسنة الرسول خاتم النبيين ، ورشدت الانفاق العام فكنت من المقسطين ، وأحسننت الإدارة المالية وعفقت عن مال الله الذي آتاه الأمة ، فكنت من الحسنيين ، ووازنتم مالية الدولة ومنحت المسلمين عطاء متساوياً فكنت من الموفقين ، فجزاك الله ثوابه الذي وعده الصديقين .

وصلى الله على سيدنا محمد وآله وصحبه أجمعين ،

تم بعون الله

قطب إبراهيم محمّد

بعض المراجع

- القرآن الكريم
- معجم ألفاظ القرآن الكريم :
- المجلد الأول والثانى - صادر عن مجمع اللغة العربية - الهيئة العامة للتأليف والنشر .
- المنتخب فى تفسير القرآن الكريم :
- صادر عن المجلس الأعلى للشئون الاسلامية .
- مختصر تفسير ابن كثير :
- محمد على الصاوى - دار القرآن الكريم ببيروت .
- صحيح البخارى :
- تأليف أبى عبد الله محمد بن اسماعيل البخارى - المجلس الأعلى للشئون الاسلامية
- المنتخب من السنة :
- الجلد السادس - صادر عن المجلس الأعلى للشئون الاسلامية

- تاريخ الطبرى :

لأبى جعفر محمد بن جرير الطبرى - طبعة ثانية - دار المعارف

- صفوة السيرة الحمديّة :

لفضيلة الشيخ أحمد حسن الباقورى - طبعة معهد الدراسات
الاسلامية بالقاهرة .

- السيرة النبوية لأبن هشام :

أبى محمد عبد الملك بن هشام المعافرى - طبعة دار الجبل
ببيروت .

- الخلفاء الراشدون :

د . عبد المقصود قصار وآخرون - مطبعة دار الطباعة
الحمديّة .

- مع الخلفاء الراشدين فى الاسلام :

عبد الخالق أبو رابية - طبعة المجلس الأعلى للشئون
الاسلامية .

- مدرسة الرسول صلى الله عليه وسلم :

عبد المنعم حماده - أصدره المجلس الأعلى للشئون الاسلامية

- الأموال :

لأبى-عبيد القاسم بن سلام تحقيق محمد خليل هراس ١٣٩٦ هـ
١٩٧٦ م - دار الفكر للطباعة والنشر والتوزيع .

- الخراج :

للقاضى أبى يوسف يعقوب بن ابراهيم صاحب الامام أبى
حيفة - المطبعة السليمانية .

- المالية العامة للدولة الإسلامية :
قطب ابراهيم محمد - اصدار معهد الدراسات الاسلامية
- الموازنة العامة للدولة :
قطب ابراهيم محمد - طبعة ثالثة - الهيئة المصرية العامة للكتاب
- السياسة المالية للرسول :
قطب ابراهيم محمد - الهيئة المصرية العامة للكتاب
- السياسة المالية لعمر بن الخطاب :
قطب ابراهيم محمد - الهيئة المصرية العامة للكتاب
- السياسة المالية لعثمان بن عفان :
قطب ابراهيم محمد - الهيئة المصرية العامة للكتاب
- عبقرية الصديق :
عباس محمود العقاد - دار المعارف بمصر - ١٩٦١
- الصديق أبو بكر :
محمد حسين هيكل - دار المعارف بمصر - الطبعة السابعة
- رجال حول الرسول :
خالد محمد خالد - دار الريان للتراث
- مفكرات في نظام الحكم والادارة في الدولة الاسلامية :
المستشار عمر الشريف - طبعة معهد الدراسات الاسلامية

ـ الجهـسـسـاـه :

للدكتور أحمد محمد الحوفى ـ المجلس الأعلى للشئون
الاسلامية .

ـ الصديق أول الخلفاء :

عبد الرحمن الشرقاوى .

ـ خالد بن الوليد :

تأليف اللواء أغا ابراهيم اكرم

ترجمة الأستاذ اسماعيل كشميرى ـ اصدار المجلس الاعلى
للشئون الاسلامية .

ـ عبقريه خالد :

عباس محمود العقاد ـ طبعة ١٩٧٠ ـ وزارة التربية والتعليم

الفهرس

الصفحة

مقدمة ٥

الباب الأول :

تولى الصديق دولة ناشئة ومالية عامة مهتزة : ٩

الفصل الأول :

تولى الصديق أمور مالية عامة مهتزة ودولة اسلامية
ناشئة ١١

الفصل الثاني :

صفات الصديق وضرورة بعضها لمعالجة المالية العامة
المهتزة ٣٥

الباب الثاني :

الدولة الاسلامية وسمات سسياستها المالية فى عهد
الصديق ٥٥

الفصل الاول :

نظام الدولة الاسلامية فى عهد الصديق ٥٧

٢٩٥

الصد

الفصل الثاني :

سمات السياسة المالية للدولة الإسلامية في عهد
الصدديق ٧

الباب الثالث :

٩ ثبت الصدديق الزكاة بالجهاد وأدارها بسنة الرسول .

الفصل الأول :

١ تثبيت الصدديق الزكاة وإيراداتها بالجهاد

الفصل الثاني :

٣ مجاهدون جاهدوا لتثبيت الزكاة مع الصدديق

الفصل الثالث :-

١ إدارة الصدديق الزكاة بسنة الرسول

الباب الرابع :

٥ الإيرادات العامة في عهد الصدديق من : خمس الغنائم
والجزية ، والخراج

الفصل الأول :

٧ استمرار الإيرادات العامة من خمس الغنائم في عهد
الصدديق

الفصل الثاني :

٣ توالى الإيرادات العامة من الجزية في عهد الصدديق

الفصل الثالث :

٣ سنة الرسول توجه خراج الأرض في عهد الصدديق

الصفحة

الفصل الرابع :

مناقشة الإيرادات العامة في عهد الصديق في ضوء
الفن المالى الحديث ٢٠٧

الباب الخامس :

الانفاق العام في عهد الصديق ٢١٩

الفصل الأول :

النفقات العامة المخصصة في عهد الصديق ٢٢١

الفصل الثاني :

النفقات العامة غير المخصصة في عهد الصديق ٢٢٩

الباب السادس :

ادارة الصديق للمالية العامة وتوازنها ووصاياه
المالية ٢٤٤

الفصل الأول :

ادارة الصديق للمالية العامة حققت التوازن ٢٤٥

الفصل الثاني :

اعداد موازنة عامة للدولة في عهد الصديق ٢٦٩

الفصل الثالث :

مرض الصديق ووصاياه عن المال العام قبل موته ٢٨٣

بعض المراجع ٢٩١

٢٩٧

(السياسة المالية)

رقم الايداع ١٩٨٩/٨٢٠٨

الترقيم الدولى ٤ - ٢٢٧٣ - ٠١ - ٩٧٧

الهيئة المصرية العامة للكتاب

❁ هذا الكتاب

— تولى الصديق رضى الله عنه دولة الإسلام الناشئة وقد ادعى البعض النبوة ، وارتمد البعض عن أداء الزكاة ، وتربص أهل الكتاب يأملون التوقف عن دفع الجزية وسداد الخراج .

— مال بعض الصنابة للتهدة ولكن الصديق صمم وواجه بالجهاد المدعين والمرتدين والمتربصين حتى تحقق النصر المبين وهلك مدعو النبوة وعادت الزكاة والجزية والخراج وسائر الإيرادات العامة تتدفق طائفة لبیت مال المسلمين . وبذلك استقرت مالية الدولة الإسلامية ، فأدارها الصديق بسياسة عامة رشيدة التزمت أحكام القرآن المجيد وسنن الرسول الأمين فتوازنت وتوازن معها مجتمع المسلمين وعقيدتهم ، وأصبحت المالية العامة الإسلامية نموذجاً صالحاً للتطبيق في كل زمان ومكان .